

أزهار الرياض في أخبار عياض

وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض

تأليف

الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

(٩٨٦ - ١٠٤١ هـ)

طبعة مزيّدة ومنقّحة

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الثاني

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
1431هـ-2010
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد - القاهرة
25922620-25938411 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

المقرى، احمد بن محمد احمد بن يحيى ، 1584-1631
ازهار الرياض فى اخبار عياض
تأليف : شهاب الدين احمد بن محمد المقرئ التلمسانى ، تحقيق: على عمر
ط1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2010
2 مج ، سم
تدمك : 2-496-341-977-978
1- المحدثون المغاربة
2- القاضي عياض ، عياض بن موسى بن عياض
أ- عمر، على (محقق)
ب- العنوان

ديوى: 922.13

رقم الابداع: 16752



obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

القاضى النباهى

أما القاضى النباهى فهو على بن عبد الله بن محمد بن محمد^(١) بن عبد الله بن الحسن الجذامى الملقبى النباهى، أبو الحسن الشهير بابن الحسن، قاضى الجماعة بغرناطة، الإمام العالم العلامة، كان رحمه الله من أكابر المشهورين بها، ممن له الفصاحة والبلاغة والجلالة، إلى الاتصاف بالعلم والمعرفة، والتفنن فى العلوم معقولها ومنقولها.

ذكره ابن الخطيب فى الإحاطة وأثنى عليه، وذكر أن ولادته عام ثلاثة عشر وسبع مئة، على ما ذكره بعضهم، وتأخرت وفاته عن ابن الخطيب، بحيث إنه كان حياً عام اثنين وتسعين وسبع مئة.

وقال ابن الخطيب فى ترجمة السلطان ابن الأحمر ما نصه^(٢):

ثم قدم للقضاء الفقيه الحسيب أبا الحسن، وهو عين الأعيان بمالقة، المخصوص برسم التجلة، والقيام بالعقد والحل، فسدد وقارب، وحمل الكل، وأحسن مصاحبة الخطبة والخطبة، وأكرم المشيخة، مع النزاهة، ولم يقف فى حسن التأتى على غاية؛ فاتفق على رجاحته، ولم يقف فى النصح عند غاية؛ أعانه الله. انتهى ملخصاً^(٣).

(١) فى سائر الأصول: «على بن محمد بن عبد الله» والمثبت رواية ابن الخطيب فى الإحاطة

ج ٤ ص ٨٨، والمقرى فى نفح الطيب ج ٦ ص ١١٩.

(٢) انظر فى ذلك: نفح الطيب ج ٥ ص ١٢١.

(٣) نفح الطيب ج ٥ ص ١٢١.

وكم بين ما قال فيه هنا وبين ما فى «الكتيبة الكامنة» من تلقيه
بجعسوس، ووصمه بما لا يليق سماعه. وعلى كل حال فقد انتصف كل
واحد منهما من صاحبه بلسانه، وعفو الله وراء الجميع^(١).

وقال فى حقه الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج فى فهرسته:

الشيخ الفقيه الراوية، قاضى الجماعة بالأندلس وخطيبها، أبو الحسن؛
أخذ عن أبى محمد عبد الله بن أحمد التجيبى الموطأ والشفاء وأكثر
الصحيحين؛ وعن الخطيب أبى جعفر الطنجالى، والقاضى العارف أبى
القاسم بن سعيد الحميدى، والوزير أبى بكر بن الحكيم، والقاضى أبى جعفر
أحمد بن عبدالحق، والحاج الراوية أبى القاسم بن المهنى^(٢)؛ وقرأ على الفقيه
الحاج أبى القاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمى بعض مختصر ابن
الحاجب، والتسهيل البديع فى اختصار التفريع؛ والحاج أبى عبد الله محمد
ابن على السكونى، والخطيب أبى عبد الله الساحلى، والقاضى أبى الحاج
المنتشاقرى. قدم رسولاً لفاس عام سبعة وستين، ثم عام ثمانية وثمانين.
انتهى.

قلت: تقدم من كلام ابن خلدون أنه جاء رسولاً فى شأن ابن الخطيب،
وذلك خلاف هذين التاريخين معاً، فتأمل.

وله رحمه الله بحث فى مسألة الدعاء بعد الصلاة، رام فيه الرد على
الشيخ الإمام أبى إسحاق الشاطبى، حسبما نقله صاحب المعيار. ومن تأليفه
رحمه الله: «كتاب المراقبة العليا، فى مسائل القضا والفتيا» فى جزأين، وهو

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ١٢١، والكتيبة الكامنة ص ١٤٦.

(٢) انظر فى ابن المهنى: نفح الطيب ج ٥ ص ٦٠٤.

كتاب ممتع إلى الغاية، وقفت على الجزء الأول منه، وقد ذكر فى أثناءه أخبار سلفه رحمه الله، ولم أقف من أمره على غير ما ذكرته فى هذا الموضوع. وقد قدمنا أنه كان مع السلطان أبى عبدالله بن الأحمر المخلوع حين رجع إلى طلب ملكه من المغرب؛ ورأيت لبعض المتأخرين وصفه بالقاضى الأجل ذى الوزارتين. والله أعلم.

ابن زمرك

وأما ابن زمرك فهو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحى، أبو عبد الله، ويعرف بابن زمرك. هكذا ذكر غير واحد من المحققين، وسيأتى فى كلام ابن الأحمر حذف «محمد» فيما بين «أحمد» و«يوسف»، ولعله من باب النسبة إلى الجد، والله أعلم.

قال ابن الخطيب فى الإحاطة^(١): ولد هذا الفاضل بغرناطة، ونشأ بها، وهو من مفاخرها، وكان صدرًا من صدور طلبة الأندلس، وأفراد نجائها، مختصا مقبولا، هشا خلوبا، عذب الفكاهة، حلو المجالسة، حسن التوقيع، خفيف الروح، عظيم الانطباع، شره المذاكرة، فطنًا بالمعاريض، حاضر الجواب، شعلة من شعل الذكاء، تكاد تحتدم جوانبه، كثير الرقة، فكها غزلا، مع حياء وحشمة، جوادًا بما فى يده، مشاركًا لإخوانه؛ نشأ عفا طاهرا، كلفًا بالقراءة، عظيم الدؤب، ثاقب الذهن، أصيل الحفظ، ظاهر النبل، بعيد مدى الإدراك، جيد الفهم؛ اشتهر فضله، وذاع أرجه، وفشا خبره، واضطلع بكثير من الأغراض، وشارك فى جملة من الفنون، فأصبح متلقف كرة البحث،

(١) الإحاطة ج ٢ ص ٣٠٠.

وصارخ الحلقة، وسابق الحلبة، ومظنة الكمال؛ ثم ترق في درج المعرفة والاطلاع، وخاض لجة الحفظ، وركض قلم التسويد والتقييد والتعليق، ونصب نفسه للناس متكلمًا فوق الكرسي [المنصوب]^(١)، وبين الحفل المجموع، مستظهرًا بالفنون التي بعد فيها شأوه، من عربية وبيان، وما تقذف به لجة النقل من أخبار وتفسير، متشوقًا مع ذلك إلى السلوك مصاحبًا للصوفية، آخذًا نفسه بارتياض ومجاهدة؛ ثم عانى الأدب، فكان أملك به. ورحل في طلب العلم والازدياد، فترقى إلى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب أبي سالم بن أبي الحسن، وعرف في بابه بالإجادة، ثم رجع مع السلطان ابن الأحمر في طلب ملكه، فلطف محله منه، وخصه بكتابة سره، [وثابت الحال، ودالت الدولة، وكانت له الطائلة، فأقره على رسمه]^(٢)، معروف الانقطاع والصاغية، كثير الدالة، مضطلعًا بالخطة: خطأ، وإنشاء، ولسنًا، ونقدًا؛ فحسن منابه، واشتهر فضله، وظهرت مشاركته، وحسنت وساطته، ووسع الناس تخلقه، وامتد في ميدان النظم والنثر بابه، فصدر عنه من المنظوم قصائد بعيدة الشأو في مدى الإجادة، من الأغراض المتعددة، من ميلاديات وغيرها، وهو بحاله الموصوفة إلى الآن، أعانه الله وسدده.

وأخذ العربية^(٣) عن رحلة الوقت في فنها، أبي عبد الله بن الفخار؛ ثم على إمامها القاضي الشريف، إمام الفنون اللسانية، أبي القاسم محمد بن أحمد الحسنى؛ والفقهاء والعربية على الاستاذ المفتى أبي سعيد بن لب؛

(١) تكملة عن الإحاطة ٣٠٢/٢، والنفع ١٤٦/٧.

(٢) ما بين الحاصرتين من الإحاطة ج ٢ ص ٣٠٢.

(٣) الإحاطة ج ٢ ص ٣٠٢.

واختص بالفقيه المحدث الصدر أبى عبد الله بن مرزوق، روى عنه كثيراً؛ ولقى الحافظ القاضى أبا عبد الله المقرئ لما قدم الأندلس رسولا، وذاكره؛ وقرأ الأصول على أبى على منصور الزواوى؛ وروى عن القاضى أبى البركات ابن الحاج، والمحدث أبى الحسين بن التلمسانى، والخطيب ابن اللوشى، والمقرئ أبى عبد الله بن بيش؛ وقرأ بعض الفنون العقلية بفاس على الشريف الرحلة أبى عبد الله العلوى التلمسانى، واختص به اختصاصاً لم يخل فيه من استفادة، وحنكة فى الصناعة.

وأما شعره فمترام^(١) إلى نمط الإجادة خفاجى النزعة، كلف بالمعانى البديعة، والألفاظ الصقيلة، غزير المادة.

مولده فى رابع عشر شوال عام ثلاثة وثلاثين وسبع مئة.

انتهى كلام ابن الخطيب.

وأورد له ابن الخطيب فيما يرجع إلى الفخر قوله - قال ابن الخطيب^(٢): ولقد صدق -:

ولائمتى فى الجود والجود شيمتى جبلت على إشارها يوم مولدى
ذرينى فلو أنى أُخلد بالغنى لكنت ضنيناً بالذى ملكت يدى
وأورد له أيضاً قوله^(٣):

لقد علم الله أنى امرؤ أجرر ثوب العفاف القشيب

(١) الإحاطة ج ٢ ص ٣٠٣.

(٢) الإحاطة ج ٢ ص ٣٠٩.

(٣) الإحاطة ج ٢ ص ٣٠٩.

فكم غمض الدهر أجفانه وفازت قداحي بوصل الحبيب
وقيل رقيبك في غفلة فقلت أخاف الإله الرقيب
وله أيضاً رحمه الله^(١):

ما لى بحمل الهوى يدان من بعد ما أعوز التدانى
أصبحتُ أشكو من زمانٍ ما بتُ منه على أمانٍ
ما بال عينيك تسجمان والدمعُ يرفضُ كالجُمان
ما ذاك والإلف عنك وإنٍ والبعدُ من بعده كَوانى؟
يا شِـقْـقِـوة من هوانٍ لججتُ فى أبْحُر الهوان
لم يَثْنِـنِـى عن هواك ثانٍ يا بُغِيَّةَ القلب قد كفانى
انتهى .

ثم أظلم الجو بينه وبين ابن الخطيب، وتولى مكانه بعد فراره كما قدمناه؛ وحظى عند ابن الأحمر جداً، وبقي على ذلك مدة.

قلت: وقد رأيت بتلمسان كتاباً ملوكياً من تأليف بعض سلاطينها بنى الأحمر، وهو حفيد ابن الأحمد المخلوع، سلطان الأندلس، الذى كتب له ابن زمرك المذكور بعد ابن الخطيب، أورد فيه كلام ابن زمرك، وسماه: «البقية والمدرك»، من شعر ابن زمرك، وهو سفر ضخمة، ليس فيه إلا نظمه فقط؛ وذكر فيه أن ابن زمرك مات قتيلاً بعد التسعين وسبع مئة، فكان ذلك الواقع له مساوياً لما وقع لابن الخطيب شيخه، حسبما قدمناه.

(١) الإحاطة ج ٢ ص ٣١٠.

ونص ما قيدت من ذلك الكتاب من أوله :

«أما بعد^(١) ما يجب من حمد الله تعالى في كل حال، وشكره على ما أولى ويسر من صلاح الأحوال؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الأنبياء، وسيد الأرسال، والرضا عمن له من صحب وأنصار وآل؛ فإن من المعلوم أن الأدب له بالنفس علاقة تؤديه إلى الاستحسان، وتؤثر من اشتهر به بالملاحظة بلحظ الحظ مع تعاقب الأحيان؛ ولا خفاء أن أيام مولانا الجدد المقدس، الغنى بالله، تولاه الله برضوانه، كانت غرراً في وجوه الأيام، ومواسم تجمع الطم والرم من الرؤساء الأعلام؛ الآخذين بأعنة الكلام، السابقين في حلبة النشار والنظام؛ وأن الفقيه الرئيس المدرك، الناظم الناصر أبا عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك؛ عفا الله عنه - وحسبك بمن ارتضاه مولانا [الجد]^(٢) رحمه الله لكتابته، وصرفه في الوجوه المتعددة من رسالته وحبابته؛ فكان بذلك خليقاً، لما جمع فيه من أدوات الكمال علماً وتحقيقاً؛ وإدراكاً ونُبلاً، وفقها وأصولاً، وفروعاً وأدباً وتحصلاً، وبياناً وتفسيراً ونظماً وترسيلاً - لما كان قد أخفت الأيام سنى صبحه، وخابت وسائل نصحه، وعادت بعدوانها بعد فوز قدحه؛ وعثر بين أقدام أقوام لا يعرفون أى ذخرفقدوا، ولا أى مطلق من تصرفاته الجميلة قيدوا؛ مستبصرين بالجهل فى دياجى غيهم، معجبين بما ارتكبوه من جياذ بغيهم؛ جميعهم يلحظه بمقل دامية، وألفاظ حامية؛ يصابحونه بأوجه خلت عن الوجاهة، سيماها الحسد، وضميرها السخط بما قدره الواحد الصمد.

(١) أورده المقرئ فى نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٢ .

(٢) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٣ .

[فخرٌ على الألاء لم يُوسد كأن جبينه سيفٌ صَقِيلُ
فيا لله من أشلاء هنالك ضائعة، وأعلاق غير مصونة، ووسائل
مخفورة؛ وأذمة قطعت أرحامها، ولم يرع ذمامها؛ وعاثت الأيدي الفاتكة
حيثُ على بنيه، وارتكبوها شنعاء في أهله وذويه] (١).

هل كان إلا حيا تحيا العبادُ به هل كان إلا قذى في عين ذى عورٍ (٢)
إن قال قولا ترَ الأبصارَ خاشعةً لِمَا يُخَبِّرُ من وَحْيٍ ومن أثرٍ
يا لهف نفسي لو قد كنتُ حاضره غداة جُرْعَه أدهى من الصَّبرِ
لَمَا تركتُ له شِلوا بِمَضِيعَةٍ ولا تولَّى صريعَ الناب والظُّفرِ
وكان ما كان مما لست أذكره فظنَّ خيرًا ولا تسأل عن الخبرِ

وإن سأل سائل عن الخبر الذى ألمعنا بذكره، وضمنا هذا البيت ذرواً (٣)
من فظيع أمره؛ فذلك عند ما نسب صاحب الأمر إليه ما راب، وتله
[وابنيه] (٤) للجبين معفرين بالتراب؛ وصدمه فى جنح الليل والمصحف بين
يديه، يتوسل بآياته، ويتشفع بعظيم بركاته، فأخذته السيوف، وتعاورته
الحتوف؛ وأذهبه سليباً قتيلاً، مُصَيِّراً مصراع منزله كثيراً مهيلاً، وكنا على بُعد
من هذه الآزفة التى أورثت القلوب شجناً طويلاً؛ وذكرنا بعناية مولانا
[الجد] (٥) الغنى بالله بجانبه أعظم ذكرى، فأغرينا برثائه خلداً وفكراً؛ وارتجلنا

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٦ ص ١٦٣ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٤ .

(٣) ذرواً: طرَقاً .

(٤) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٤ .

(٥) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٤ .

عند ذكره الآن هذه الأبيات إشارة مقنعة، وكناية فى السلوان مطمعة؛ وأرضينا بالشفقة أو داءه، وأرغمنا بتأبينه أعداءه. ولما تبلج الصبح لذى عينين، وتلقينا راية الفرج بالراحتين؛ عطفنا على أبنائه عواطف الشفقة، وأطلقنا لهم ما عاثت الأيدى عليه صلةً لرحم طالما أضاعها من جهل الأذمة، وأخفر عهود تخدمه لمن سلف من الأئمة؛ وصرفنا للبحث والتفتيش وجوه آمالنا، وجعلنا ضم ما نشرته الحوادث من منظوماته من أكيد أعمالنا؛ وكان تعلق بمحفوظنا جملة وافرة من كلامه، مشتملة على ما راق وحسن من نثاره ونظامه؛ فأضفنا ذلك إلى ما وقع عليه اجتهدنا من رقاعه، الحائلة المنتهبة بأيدي النوائب، الدائرة المستلبة بتعدى النواهب؛ فخلص من الجملة قلائد عقيان، وعقود در ومرجان؛ ترتاح النفوس النفيسة لأنشادها، وتحسد الأبصار الأسماع عند إيرادها؛ إلى ما يتخللها من تخليد مآثر سلفنا، والإشادة بعظيم ملكنا؛ فشرعنا فى تقييد أوابدها الشاردة، وإحياء رسومها البائدة؛ كلفنا بالأدب؛ لوضوح فضله، وتأدية لما يجب من رعاية أهله.

ولنبداً بالتعريف^(١) بحال هذا الرئيس المنبه عليه، ونظهر ما كنا نضمه من الميل إليه، فى كل ما له أو عليه، فنقول:

هو الفقيه الكاتب، الفذ الأوحد، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن يوسف الصريحى، ويعرف بابن زمرك؛ أصله من شرق الأندلس، وسكن سلفه بالبيازين من غرناطة، وبها ولد؛ فنشأ ضيلاً كالشهاب يتوقد، مختصر الجرم والأعين بإطالة فواضله تشهد، ومكتب الفتة القرآنية يؤثره بالجناب الممهد، فاشتغل أول نشأته بطلب العلم، والدعوب على

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٥.

القراءة، وأخذ نفسه بملازمة حلقات التدريس، ولم يبلغ حد وجوب المفترضات إلا وهو متحمل الرواية، وملتمس لفائد الدراية، مصابح كل يوم أعلام العلوم، ومستشهد بمصابيح الحدود العلمية والرسوم. فافتتح أبواب الكتب النحوية بالإمام أبي عبد الله ابن الفخار، الآية الكبرى فى فن العربية، وتردد الأعوام العديدة إلى قاضى الجماعة أبى القاسم الشريف؛ فأحسن الإصغاء، وبذ النحاة البلغاء، بما أوجب رثاءه عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الفريدة، التى أولها:

«أغرى سراة الحى بالإطراق»

حسبما تأتى مستوفاة إن شاء الله تعالى. واهتدى إلى طريق الخطبة ومناهج الصوفية، بالخطيب المعظم أبى عبد الله بن مرزوق، الوافد على مولانا الجلد أبى الحجاج رضى الله عنه فى عام ثلاثة وخمسين وسبع مائة، وإليه جنح، وإياه قصد، عند تغربه إلى المغرب، فى دولة السلطان أبى سالم، فتَوَجَّهَ بالعمامة التى ارتجل بين يديه فيها:

توجتنى بعمامته توجت تاج الكرامته
فروض حمداك يزهى منى بسجع الحمامه

وأخذ علم الأصلين عن الحافظ الناقد أبى المنصور الزواوى، وبرع فى الأدب، أثناء الانقطاع وأول الطلب لأبى عبد الله بن الخطيب، ولكن لم يحمد بينهما المآل. واقتدى فى العلوم العقلية بالشريف أبى عبد الله التلمسانى، قدوة الزمان؛ وحصلت له الإجازة والتحديث بقاضى الجماعة، وشيخ الجملة، أبى البكرات بن الحاج، وبالخطيب البليغ أبى عبد الله اللوشى، وبالخطيب الورع أبى عبد الله بن بيش العبدري، رضى الله عن

جميعهم. وبواجب محافظتنا على عهدهم، إذ نحن واردون بالإجازة التامة عذب وردهم، وصل سببنا بهم الكثير من شيوينا، مثل الإمام المعظم أبى محمد عبد الله بن جزى، ومعلمنا الثقة المجتهد أبى الله الشريشى، والقاضى الإمام أبى عبد الله محمد بن على بن علاق، وغيرهم رحمة الله عليهم. لذلك صار صدرًا فى نوادى طلبة الأندلس، وأفراد نجباؤها؛ فما شاءه المحاضر يجده فى خضله^(١)، ويتلقاه من باهر فضله؛ فكاهاة ومجالسة أنيقة ممتعة، ومحادثة أريضة مزهرة، وجوابًا مطبقا للمفصل، وذهنا سابقا لإيضاح المشكل؛ مع انقياد الطبع، وإرسال الدفعة، فى سبيل الخشوع والركة، ورشح الجبين عند تلقى الموعدة، وصون الوجه بجلباب الحياء، ومقابلة الناظر إليه بالاحتشام، والمبادرة للاستدعاء، على طهارة، وبذل وسع، وكرم نفس، لم يعهد أجمل مشاركة منه لإخوانه، ولا أمتع منه بجاهه، إلى مبالغة فى الهشة والمبرة والإيثار بما منح، وجنوح إلى حب الصالحين، ذلك بالانضواء إلى شيخ الفرق الصوفية، الولى أبى جعفر بن الزيات، وأخيه الفاضل الناسك شيخنا أبى مهدى، قدس الله مغناه، وسواهما من أهل الأندلس والعدوة، وحمله أشد الحمل على كل ملبس^(٢) كأبى زكرياء البرغوطى وسواه.

ومن تنديراته^(٣) - زعموا - على أبى الحسن المحروق لميله عنه:

ولد الفقر والرباط ولكن نفسه للسلوك ذات افتقار

وخطب الأدب يافعا وكهلا، وحاز علمه إدراكًا ونبلًا.

(١) الخضل: اللؤلؤ.

(٢) ملبس: مخطط. وفى الأصل: متلبس.

(٣) فى الأصل: «تنديراته» والمثبت رواية المقرئ فى نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٧.

ولما كانت الحادثة على مولانا الجد رحمه الله، واجتاز إلى المغرب، كما تقرر فى غير هذا، كلف به، وأنس إليه، لحلاوة منطق، ورفع استيحاش، ومراوضة خلق؛ ثم كرم الله وجهه فى صحبة ركابه، فعلت منزلته، ولطف محله.

وقفنا^(١) على رقعة من رقاعه وهو يبدئ فيها ويعيد، ويقول: «خدمته سبعا وثلاثين سنة، ثلاثة بالمغرب، وباقيها بالأندلس، وأنشدته فيها ستا وستين قصيدة، فى ستة وستين عيداً، وكل ما فى منازل السعيدة، من القصور والرياض والدمار^(٢) والسبيكة، من نظم رائق، ومدح فائق، فى القباب والطاقت والطرز وغير ذلك [فهو لى]^(٣)، وكانت أواكله وأواكل ابنه مولاى أبا الحجاج وهما كبيراً ملوك أهل الأرض. وهنأت بكذا وكذا قصيدة، وفوض لى فى عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين، وصلاح النصارى عقدته تسع مرات، ألخسة فوض إلى ذلك»؟

قلنا: صدق فى جميع ما ذكره، والعقود بذلك شاهدة له.

وخصه عام ثلاثة وسبعين بكتابة سره، واستعمله بعد أعوام فى السفارة بينه وبين ملوك عصره، فحمد منابه، ونمت أحواله، ورغد جنابه. وكان هنالك بعض تقولات تشين وجه اجتهاده، وتومئ بما احتقبه من سوء مقاصده، وما صرفه من قبيح أغراضه، وهاجت الفتنة، فكانت سفارته أعظم أسبابها^(٤).

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٧.

(٢) الدمار: القرية أو الكفر.

(٣) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٧.

(٤) نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٨.

وعند الأشد من عمره عرضت لأفكاره تقلبات، وأقعدته عن قداح السياسة آفات مختلفات، وأشعرته حدة ذهنه أن يتخبط^(١) فى أشراك وقعات؛ فقد بجامع مالقة، ثم بمسجد الحمراء، ملقيا على الكرسي فنونا جمّة، وعلوما لم يزل يتلقاها عن أولياء التعظيم والتجلة، فانحاز إلى مادة أمم بمالقة طما منهم البحر، وتراءى لأبصارهم وبصائرهم الفخر؛ وكان التفسير أغلب عليه لفرط ذكائه، وما [كان]^(٢) قيده وحصله أيام قراءته [وإقراءه]^(٣)؛ فما شئت من بيان، وإعجاز قرآن؛ وآيات توحيد وإخلاص، ومناهج صوفية تؤذن بالخلاص، يوم الأخذ بالنواص. مراراً عدة سمع ما يلقيه ولى الأمر ويا شدة البلوى التى أذاقه مرها، وأمطاه إلى طية الهلاك ظهرها، ويا قرب ما كان الفوت، والحسام الصلت، من تباعد هذه القرب التى ألغيت^(٤).

قلنا^(٥): لقد جمع جواد القلم، فأطلقنا^(٦) ونحن نشير إلى هذا الرئيس وتبدل طباعه، بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطلاعهم؛ وإحراز شيم أدت إلى علو مقداره، واستقامة مداره؛ فآل عمر مولانا جدنا إلى النفاد، ورمت رئيس كتابه هذا أسهم الحساد؛ فظهر الخفى، وسقط به الليل على سرحان قد طالما جرب الوفى والصفى.

(١) فى الأصل: «أنه متخبط» والمثبت رواية نفح الطيب ٢١٨/٧.

(٢) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ٢١٨.

(٣) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٨.

(٤) فى الأصل: «التى ألفت» وبهامشه: «وفى العبارة غموض» والمثبت من نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٨.

(٥) نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٨.

(٦) يعنى أطلقنا له العنان.

وكان من شأنه الاستخفاف بأولياء الأمر من حجاب الدولة، والاسترسال في الرد عليهم بالطبع والجبلة مع الاستغراق في غمار الفتن أندلساً وغرباً، ومراعاة حظوظ نفسه استيلاء وغصبا؛ أما الجراءة فانتضى سيوفها، وأما إكفاء السماء على الأرض فقواصم نوع صنوفها، وأما المجاهدة فوقف بميدان الاعتراض صفوفها، وأما المجاملة فنكر معروفها. أداه هذا النبأ العظيم إلى سكنى المعتقل بقصبة ألمرية، وعلى الأثر كان الفرج قريبا، وسطور المؤاخذة قد أوسعها العفو تضريبا. ونالته هذه المحنة عند وفاة مولانا الجد الغنى بالله وكانت وفاته غرة شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وسبع مائة - لأسباب يطول شرحها، أظهرها شراسة في لسانه، واغترار^(١) بمكانه، وتضريب بين خدام السلطان وأعوانه، فكبا لليدين وللنفس، إلى أن من الله يسراحه، وأعادته إلى الحضرة في أول شهر رمضان المعظم عام أربعة وتسعين وسبع مائة، فكان ما كان من وفات مولانا الوالد رحمه الله، وقيام أخينا [محمد]^(٢) مقامه بالأمر، فاستمر الحال أياما قلائل، وقدم للكتابة الفقيه ابن عاصم لمدة من عام، ثم أعاد المذكور إلى خطته، وقد دمثت بعض أخلاقه، وخدمت شراسته. وحلا بعض مذاقه، فما كان إلا كلاً وكَيْتً، وإذابه قد ساء مشهداً وغيباً، وأوسع الضمائر شكا وريبا، وغلبت الإحن عليه. وغلت مراجلها لديه؛ وصار يتقلب على جمر الغضى، وتبرم بالقضا؛ ويظهر النصح وفي طيه التشفى، ويسم نفسه بالصلاح، ويعلم بالخشوع، ويشير بأنه الناصح الأمين، ويتلو قول الله سبحانه: ﴿... وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩)﴾

(١) في الأصل: «واعتزاز» والمثبت رواية نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٩.

(٢) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٩.

[الأعراف]. ورتب على المشتغلين كبيرهم وصغيرهم ذنباً لم يقتترفوها، ونسب إليهم نسبا من التضييع لم يعرفوها، وانهم احتجوا الأموال، وأساءوا الأعمال والأقوال؛ فلم يظفر من ذلك بكبير طائل، ولا حصل على تفاوت أعداده على حاصل؛ هذا على قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية، وعدم اضطلاع بالأمور [الجبائية]^(١) فمن نفس يروع سرايبها، ويكدر بالامتحان والامتحان شربها؛ ومن ضارعة خاشعة لله سلبت، وطولبت بغير ما اكتسبت، وتعدت الأيدي إلى أقوام جلة سعدوا بشقائه، وامتحنوا وهم المبرءون من تزويره واعتدائه وسيسألون يوم لا يغنى مال ولا بنون؛ وصار يصرف أغراضه، ويظهر أحقاده بين إفصاح بما كان الإعجام خيراً من إلقائه، وأن عمر المسكين المستضعف لا حاجة في طول بقاءه؛ إلى مجاهرة عهد منه أيام شببته نقيضها، وانعكس في شاخته تصريحها المنعص وتعريضها؛ لا يريح نفسه من جهد ولا يقف من اللجاجة عند حدّ. وقد كان ثقل سمعه فسأت إجابته وطغت أخلاقه فسئم الناس وساطته وربما استحلف؛ فلم يكن بين اللازمة واللازمة إلاّ الحنث عن قصد وغير قصد، ودعا على نفسه وأبنائه بإنجاز وعد وأن يقبض الله ولهم قاتل عمد. فسبحان القاهر فوق عباده، الرحيم بهذا الشخص وبالأموات من شيعته وأولاده.

فاستمر^(٢) على ذلك إلى إحدى الليالي، فهلك [في جنح الليل]^(٣) في جوف داره على يدي مخدومه؛ تلقاه - زعموا - عند الدخول عليه وهو بالمصحف رافع به يديه؛ فجذّله السيوف، وتناولته الحتوف؛ ففضى عليه

(١) التكملة من نفع الطيب ج ٧ ص ١٦٩ .

(٢) النفع ٧ / ١٧٠ .

(٣) التكملة من نفع الطيب ج ٧ ص ١٧٠ .

وعلى من وجد من خدامه وابنيه: كل ذلك بمراى عين من أهله وبناته، ولم يتقوا الله فيه حق ثقاته؛ فكانت أنكى الفجائع وأفظع الوقائع؛ وساءت القالة وعظم المصائب وكل شىء إلى أجل نافذ وكتاب^(١).

ولما تلخصت هذه المقدمة بين يدى نظامه، وتم جميع ما أبرزه البحث والاجتهاد من خير كلامه؛ اخترنا له اسماً يوافقه، ويوضح مشاركته، وهو «البقية والمدرك من شعر ابن زمرك». أما البقية فلما بقى بعد هلاكه وتخطته الحوادث وشح الدهر بإمساكه؛ والمدرك: لأجل ما ترك فى مبيضاته، ولم يخرجها فى حياته. وهانحن ننظم درره الرائقة ونطلع فى مراتب التأليف كل شارقة.

فمن ذلك قوله^(٢) فى ذكر غرناطة العلية، وتهنئة مولاه الجد رحمه الله عليه ببعض المواسم العيدية؛ ووصف كرائم من جياده وآثار ملكه وجهاده:

يا من يحن إلى نجد وناديهـا	غرناطة قد ثوت نجد بواديهـا
قف بالسبيكة وانظر ما بساحتها	عقيلة والكثيب الفرد جاليها
تقلدت بوشاح النهر وابتسمت	أزهارها وهى حلى فى تراقيها
وأعين النرجس المطلول يانعة	ترقرق الطل دمعاً فى مآقيها
وأفترّ ثغر أقاح من أزهارها	مقبلاً خد ورد من نواحيها
[كأنما الزهر فى حافاتها سحراً]	دراهم والنسيم اللدن يجيها ^(٣)

(١) بعدها فى نفح الطيب: «انتهى كلام ابن الأحمر فى كتابه» وهو الذى سبق باسم «البقية والمدرك من شعر ابن زمرك».

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ١٧١.

(٣) ما بين حاصرتين تكملة من نفح الطيب.

وانظر إلى الدوح والأنهار تكنفها
 كم حولها من بدور تجتنى زهرا
 حصباؤها لؤلؤ قد شف جوهره
 [نهر المجرّة] (٢) والزهر المطيف به
 يزيد حسناً على نهر المجرّة قد
 يدعى المنجم رائيه وناظره
 إنّ الحجاز مغانيه بأندلسٍ
 فتلك نجد سقاها كل منسجم
 [وبارق وعذيب كل مبتسم] (٤)
 وإن أردت ترى وادى العقيق فرد
 وللسبيكة تاج فوق مفرقها
 كأن حمراءها والله يكلؤها
 إنّ البدور لتيجان مكللة
 لكنها حسدت تاج السبيكة إذ
 بروجها لبروج الأفق مخجلة

[مثل الندامى سواقيها] (١) سواقيها
 فتحسبت الزهر قد قبلن أيديها
 والنهر قد سال ذوبا من لآليها
 زهر النجوم إذا ما شئت تشبيها
 أغناهه در حبابٍ عن دراريها
 مسميات أبانتها أساميها
 ألفاظها طابقت منها معانيها
 [من الغمام يحييها فيحييها] (٣)
 من الثغر يحليها مجليها
 دموع عشاقها حمراً جواريتها
 تود در الدرارى لو تحليها
 ياقوتة فوق ذاك التاج يعليها
 جواهر الشهب فى أبهى مجاليها
 رأت أزهاره زهراً يجليها
 فشهبها فى جمال لا تضاهيها

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٧١ .

(٢) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٧١ .

(٣) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٧١ .

(٤) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٧١ .

تلك القصور التي راقت مظاهرها
لله الله عينا من رأى سحراً
والصبح في الشرق قد لاحت بشائره
تهوى إلى الغرب لما هالها سحر
وساجع العود في كف النديم إذا
يبدى أفانين سحر في ترنمه
يجسه ناعم الأطراف تحسبها
مقاتل بلحاظ قوس حاجبها
فباكر الروض والأغصان مائلة
لم يرقص الدوح بالأكمام من طرب
وأسمعتها فنون السحر مبدعة
غرناطة آتس الرحمن ساكنها
أعدى نسيمهم لطفا نفوسهم
فخلد الله أيام السرور بها
وروض المحل منها كل منبجسٍ
يحكى الخليفة كفا كلما وكفت
تغنى العُفاة وقد أمت مكارمه
لها بنان فما غيث يساجلها

تهوى النجوم قصوراً عن معاليها
تلك المنارة قد رقت حواشيها
والشهب تستن سبباً في مجاريها
وغمض الفجر من أجفان واشيها
ما استوقفت ساجعات الطير يغريها
يصبى العقول بها حسنا ويسببها
لآلئاً وهى نور فى تلاليفها
ترمى القلوب بها عمداً فتصميمها
يشنى النفوس لها شوقاً تشيها
حتى شدا من قيان الطير شاديها
ورق الحمام وغناها مغنيها
باحث بسر معانيها أغانيها
فرقة الطبع طبع منه يعديها
صفراً عشياتها بيضاً لياليها
إذا اشتكت بغليل الجذب يرويها
بالجود فوق موات الأرض يحييها
عن السؤال وبالإحسان تغنيها
جوداً ولا سحبه يوما تدانيها

فإن تصب سحبه بالماء حين همت
يأيها الغيث أنت الغوث في زمن
إن الرعايا جزاك الله صالحة
إن الخلائق في الأقطار أجمعها
فكل مصلحة للخلق تحكمها
إذا تيممت أرضاً وهي مجدبة
يا رحمة بثت الرُّحْمَى باندلس
في فضل جودك قد عاشت مشيختها
في طول عمرك يرجو الله آمالها
عوائد الله قد عودت أفضلها
سل السعود وخل البيض مغمدة
لله أيامك الغر التي اطردت
لله دولتك الغراء إن لها
هيهات أن تبلغ الأعداء مأربة
هذى سيوفك في الأجفان نائمة
سريرة لك في الإخلاص قد عرفت
لم تحتجب شهب الآفاق عن بصر
يا بن الملوك وأبناء الملوك إذا

بسجد ولُجِنٍ صاب هاميتها
ملوكه تلفت لولا تلافيتها
ملكت شرقاً وغرباً من يراعيتها
سوائم أنت في التحقيق راعيها
وكل صالحة في الدين تنويها
فرحمة الله بالسقيا تحييها
لولاك زلزلت الدنيا بمن فيها
في ظل أمنك قد نامت ذرايعها
بنصر ملكك يدعو الله داعيتها
لتبلغ الخلق ما شاءت أمانيتها
واضرب بها فرية التلثت تفريها
فيها السعود بما ترضى ويرضيها
لكافلاً من إله العرش يكفيها
في جريها وجنود الله تحميها
والمشركون سيوف الله تفنيها
حسنى عواقبها حتى أعاديتها
إلاً وهديك الأبصار يهديها
تدعو الملوك إلى طوع تلبئها

أبناء نصر ملوك عز نصرهم
هم المصاييح نور الله موقدها
هم النجوم وأفق الهدى مطلعها
هم البدور كمال ما يفارقها
قضت قواضيها أن لا انقضاء لها
وخلدت في صفاح الهند سيرتها
وأورثتك جهاداً أنت ناصره
كم موقف ترهب الأعداء موقفه
ثارت عجاجته واليوم محتجب
وللأسنة شهب كلما غربت
وللسيوف بريق كلما لمعت
أطلعت وجهاً تريك الشمس غرته
من أين للشمس نُطق كله حكم
لك الجياد إذا تجرى سوابقها
إذا انبرت يوم سبق في أعتتها
من أشهب قد بدا صباحا تراع له
إلا التي في لجام منه قيدها
وأوسعوا الخلق تنويها وترفيها
تضئ للدين والدنيا مشاكيتها
فوزا لمهديها عزا لهاديها
هم الشموس ظلام لا يواريتها
وأمضت الحكم في الأعداء مواضيها
وأسنت عن عواليها معاليها
والأجر منك يرضيها ويحظيها
والخيل تردى ووقع السمر يرديةا
والنقع يؤثر غما من دياجيها
في الدارعين تجلت من عواليها
ترجى الدماء وريح النصر يزجيها
تبارك الله ما شمس تساميها
يعيدها كل حين منك مبديها
فللرياح جياد ما تجاريها
ترى البروق طلاحاً لا تباريها
شهب السماء فإنَّ الصبح يخفيها
فإنه سامها عزاً وتنويها

أَوْ أَشْقَرُ مَرَّعَن^(١) شَقَرُ الْبُرُوقِ وَقَدْ
أَوْ أَحْمَرُ جَمْرِهِ فِي الْحَرْبِ مَتَقَدَّ
لَوْنُ الْعَقِيقِ وَقَدْ سَالَ الْعَقِيقُ دَمًا
أَوْ أَدْهَمُ مِثْلُ صَدْرِ اللَّيْلِ تَنْعَلُهُ
إِنْ حَارَتْ الشَّهْبُ لَيْلًا فِي مَقْلَدِهِ
أَوْ أَصْفَرُ بِالْعَشِيَّاتِ ارْتَدَى مَرَحًا
مَمُوهٌ بِنُضَارٍ تَاهَ مِنْ عَجَبٍ
وَرُبَّ نَهْرٍ حَسَامٍ رَاقٍ رَائِقُهُ
تَجْرَى الرِّءُوسُ حَبَابًا فَوْقَ صَفْحَتِهِ
وَذَابِلٌ مِنْ دَمِ الْكَفَّارِ مَشْرَبُهُ
وَكَمْ هَلَالٌ لِقُوسٍ كَلِمًا نَبْضَتْ
أُتْمَةُ الْكَفْرِ مَا يَمُتُ سَاحَتُهَا
يَا دَوْلَةَ النَّصْرِ هَلْ مِنْ مَبْلَغٍ دَوْلًا
[أَوْ مَبْلَغٍ سَالَفِ الْأَنْصَارِ مَأْلُكَةً
أَنَّ الْخِلَافَةَ أَعْلَى اللَّهِ مَظْهَرُهَا
يَا بَنَ الَّذِينَ لَهُمْ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ

أَبْقَى لَهَا شَفَقًا فِي الْجَوِّ تَنْبِيهَا
يَعْلُو لَهَا شَرٌّ مِنْ بَأْسٍ مَذْكِيهَا
بِعَظْفِهِ مِنْ كِمَاةٍ كَرَّ يَدْمِيهَا
أَهْلُهُ فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ يَبْدِيهَا
فَصَبَحَ غُرْتُهُ بِالنُّورِ يَهْدِيهَا
وَعَرَفَهُ بِتَمَادِي اللَّيْلِ يَنْبِيهَا
فَلَيْسَ يَعْذَمُ تَمْوِيهَا وَلَا تَيْهَا
مَتَى تَرْدُهُ نَفُوسُ الْكَفْرِ يَرْدِيهَا
وَمَا جَرَى غَيْرَ أَنَّ الْبَأْسَ يَجْرِيهَا
يَجْنِي الْفَتْوحَ وَكَفَّ النَّصْرَ تَجْنِيهَا
تَرَى النُّجُومَ رَجُومًا فِي مَرَامِيهَا
إِلَّا وَقَدْ زَلْزَلَتْ قَسْرًا صِيَاصِيهَا
مَضِيْنٌ أَنْكَ تَحْيِيهَا وَتَنْسِيهَا
وَاللَّهُ بِالْخُلْدِ فِي الْفِرْدُوسِ يَجْزِيهَا^(٢)
أَبْقَتْ لَنَا شَرْفًا وَاللَّهُ يَبْقِيهَا
مَفَاخِرَ وَلِسَانَ الدَّهْرِ يَمْلِيهَا

(١) فِي الْأَصْلِ: «أَوْ أَشْقَرُ مَرَّعِبٍ شَقَرٌ» وَلَا وَجْهَ لَهُ. وَالثَّبْتُ رَوَايَةُ نَفْحِ الطَّيِّبِ ج ٧ ص

(٢) التَّكْمِلَةُ مِنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ ج ٧ ص ١٧٥.

أنصار خير الورى مختار هجرته
 أسمتهم الملة السمحاء تكرمة
 ففى حنين وفى بدر وفى أحد
 ولتسأل السير المرفوع مسندها
 مآثر خلد الرحمن أثرتها
 ماذا يجيد بليغ أو ينمقه
 له الجهاد به تسرى الرياح إلى
 تحدى الركاب إلى البيت العتيق به
 بشائر تسمع الدنيا وساكنها
 كفى خلافتك الغراء منقبة
 وقد أفاد بنيه الدهر تجربة
 إذا رميت سهام العز صائبة
 شكراً لمن عظمت منا مواهبه
 عما قريب ترى الأعياد مقبلة
 وتبلغ الغاية القصوى بشائرها
 فاهناً بما شئت من صنع تُسرّ به
 مولاي خذها كما شئت بلاغتها
 جيران روضته أكرم بأهلها
 أنصارها وبهم عزت أواليها
 تلفى مفاخرهم مشهورةً فيها
 فعن مواقفهم تروى مغازيها
 [ينصُّها]^(١) من كتاب الله قاريها
 من الكلام ووحى الله تاليها
 ممالك الأرض من شتى أقاصيها
 فمكة عمرت منه نواديها
 إذا دعا باسمك الأعلى مناديها
 أنَّ الإله يوالى من يواليها
 أنَّ السعود تعادى من يعاديها
 فما رميت بل التوفيق راميها
 وإن تعد فليس العد يحصيها
 من الفتوح ووفد النصر حاديها
 فقد أظلت بما ترضى مباديها
 وانو الأمانى فالأقدار تدنيها
 ولو تباع لكان الحسن يشريها

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٧٥ .

أرسلتها حيثما الأرواح مرسلة
جاءت تهنيك عيد الفطر معجبة
البشر في وجهها واليمن في يدها
لو رصع البدر منها تاج مفرقه
فإن تكن بنت فكرى وهو أوجدها
في روض جودك قد طوقنى منّا
ولو أعرت لسان الدهر يشكرها
بقيت للدين والدنيا إمام هدى
والسعد يجرى لغايات تؤملها
ومن ذلك أيضاً قوله هناء لمولانا الجد رحمه الله بالفتح المغربى للسلطان
أبى العباس بن السلطان أبى سالم المرينى^(١):

هى نفحة هبت من الأنصار
فى بشائرها وبشارة الدنيا بها
هبت على قطر الجهاد فروحت
وسرت وأمر الله طى برودها
مرت بأدواح المنابر فانبرت
أهدتك فتح ممالك الأمصار
مستمع الأسماع والأبصار
أرجاءه بالنفحة المعطار
يهدى البرية صنع لطف البارى
خطباؤها [مفتنة]^(٢) الأطيّار

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ١٧٢ .

(٢) التكملة من نفح الطيب ج ٥ ص ١٧٣ .

حنت معارجها إلى أعشارها
لو أنصفتك لكللت أدواحها
فتح الفتوح أتاك في حلل الرضا
كم آية لك في السعود جلية
كم حكمة لك في النفوس جلية
كم من أمير أم بابك فانشئ
أعطيت أحمد راية منصوره
أركبته في المنشآت كأنما
من كل خافقة الشراع مصفق
ألقت بأيدي الريح فضل عنانها
مثل الجياد تدافعت وتسابقت
لله منها في المجاز سوابح
لما قصدت بها مراسى سبتة
لما رأت من صبح عزمك غرة
ورأت جبيننا دونه شمس الضحى
فأفضت فيها من نذاك مواهبها
وأريت أهل الغرب عزم مغرب
وخطبت من فاس الجديدة عقيلة

لما سمعن بها حنين عشار
تلك البشائر يانع الأزهار
بعجائب الأزمان والأعصار
خلدت منها عبرة استبصار
خفيت مداركها عن الأفكار
يدعى الخليفة دعوة الإكبار
بركاتها تسرى من الأنصار
جهزته في وجهة لمزار
منها الجناح تطير كل مطار
فتكاد تسبق لمحة الأبصار
من طافح الأمواج في مضمار
وقفت عليك الفخر وهى جوارى
عظفت على الأسوار عطف سوار
محفوفة بأشعة الأنوار
لبّتك بالإجلال والإكبار
حسنت مواقعها على التكرار
قد ساعدته غرائب الأقدار
لبّتك طوع تسرع وبدار

ما صدقوا متن الحديث بفتحها
وتسمعوا الأخبار باستفتاحها
قولوا لقرد فى الوزارة غره
أسكنته من فاس جنة ملكها
حتى إذا كفر الصنيعة وازدرى
جرعت نجل الكأس كأساً مرة
كفر الذى أوليته من نعمة
فطرحته طرح النواة فلم يفز
لم يتفق لخليفة مثل الذى
لم أدر والأيام ذا عجائب
ألواء صبح فى ثنيه مشرق
وشهاب أفق أم سنان لامع
ومناقب مولى الإمام محمد
فاق الملوك بهمة علوية
لو صافح الكف الخضيب بكفه
والشهب تطمع فى مطامع أفقها
سل بالمشارك صبحها عن وجهه
حتى رأوه فى متون شفار
والخبر قد يغنى عن الأخبار
حلم مننت به على مقدار
متنعماً منها بدار قرار
بحقوقها ألحقته بالنار
دست إليه الحتف فى الإسكار
لا تأنس النعماء بالكفار
من عز مغريه بغير فرار
أعطى الإله خليفة الأنصار
تردادها يحلوا على التذكار
أم راية فى جحفل جرار
ينقض نجماً فى سماء غبار
قد أشرقت أم هن زهر درارى
من دونها نجم السماء السارى
فخرت بنهر للمجرة جارى
لو أحرزت منه منيع جوار
يفتر منه عن جبين نهار

سل بالغمام صوبها عن كفه
[سل بالبروق صفاحها عن عزمه]^(١)
قد أحرز الشيم الخطيرة عندما
إن يلق ذو الإجرام صفحة صفحه
يا من إذا هبت واسم حمده
[يا من إذا افترت مباسم بشره
يا من إذا طلعت شمس سعوته
قسما بوجهك فى الضياء وإنه
قسما بعزمك فى المضاء وإنه
لسماح كفك كلما استوهبته
لله حضرتك العلية لم تزل
كم من طريد نازح قذفت به
بلغته ما شاء من آماله
صيرت بالإحسان دارك داره
والخلق تعلم أنك الغوث الذى
كم دعوة لك فى المحول مجابة

[تنبيك عن بحرٍ بها زخار]^(١)
تُخبرك عن أمضى شبا وقرار
أعطى العزائم صهوة الأخطار
فسح القبول له خطأ الأعمار
أزرت بعرف الروضه المعطار
وهب النفوس وعاش فى الإقتار]^(٢)
تعشى أشعتها قوى الأبصار
شمس تمد الشمس بالأنوار
سيف تجرده يد الأقدار
يزرى بغيث الديمة المدرار
يلقى الغريب بها عصار التسيار
أيدى النوى فى الفقر رهن سفار
فسلا عن الأوطان بالأوطار
متعت بالحسنى وعقبى الدار
يصفى عليها وافى الأستار
أغرّت جفون المزن باستعبار

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٥ ص ١٧٤ .

(٢) التكملة من نفح الطيب ج ٥ ص ١٧٤ .

جادت^(١) مجارى الدمع من قطر الندى
فأعاد وجه الأرض طلقا مشرقا
يا من مآثره وفضل جهاده
حطت البلاد ومن حوته ثغورها
فلرب بكر للفتوح خطبتها
وعقيلة للكفر لما رعتها
أذهبت من صفح الوجود كيائها
عمروا بها جنات عدن زخرفت
صبحت منها روضة مطلولة
واسودّ وجه الكفر من خزي متى
ولرب روض للقنا متأود
مهما حكّت زهر الأسنة زهره
متوقد لهب الحديد بحدّه
فبكل ملتفت صقال مشهر
فى كف أروع فرق نهّد سابع
من كل منحفض بلمحة بارق
من أشهب كالصبح يطلع غرة

فرعى الربيع لها [حقوق الجار]^(٢)
متضاحكا بمباسم النوار
تحدى القطار بها إلى الأقطار
وكفى بسعدك حاميا لذمار
بالمشرفيّة والقنا الخطار
أخرست من ناقوسها المهذار
ومحوتها إلّا من التذكار
ثم انثنوا عنها ديار بوار
فأعدتها للحين موقد نار
ما احمر وجه الأبيض البتار
ناب الصهيل به عن الأطيّار
حكّت السيوف معاطفها الأنهار
تصلى به الأعداء لفح أوار
قداح زند للحفيظة وارى
متموج الأعطاف فى الإحضار
حمل السلاح به على طيار
فى مستهل العسكر الجرار

(١) فى الأصل: «جارت» والمثبت من نفح الطيب.

(٢) التكملة من نفح الطيب ج ٥ ص ١٧٥.

أو أدهم كالليل إلا أنه
أو أحمر كالجمر يذكي شعلة
أو أشقر حلى الجمال أديمه
أو أشعل راق العيون كأنه
شهب وشقر فى الطراد كأنها
عودتها أن ليس تقرب منها
يأيها الملك الذى أيامه
يهنى لواءك أن جـدك زاحف
لا غرو أن فقت الملوك سيادة
السابقون الأولون إلى الهدى
متهللون إذا النزىل عراهم
من كل وضاح الجبين إذا احتبى
قد لاث صباحا فوق بدر بعدما
فاسأل ببدر عن مواقف بأسهم
لهم العوالى عن معالى فخرها
وإذا كتاب الله يتلو حمدهم
يا بن الذين إذا تذوكر فخرهم

لم يرض بالجوزاء حلى عذار
وقد ارتقى من بأسه بشار
وكساه من زهو جلال نضار
غلس يخالط سدفه بنهار
روض تفتح عن شقيق بهار
حتى يخالط [بالدم الموار]^(١)
غرر تلوح بأوجه الأعصار
بلواء خير الخلق للكفار
إذ كان جدك سيد الأنصار
والمصطفون لنصرة المختار
سفروا له عن أوجه الأقمار
تلقاه معصوبا بتاج فخر
لبس المكارم وارتدى بوقار
فهم تلافوا أمره ببيدار
نقل الرواة عوالى الأخبار
[أودى القصور بمنة الأشعار
فخروا بطيب أرومة ونجار

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٥ ص ١٧٥ .

حقاً لقد أوضحت من آثارهم^(١) لما أخذت لدينهم بالشار
أصبحت وارث مجدهم وفخارهم ومشرف الأعصار والأمصار
صادرا في الفتح عن ورد المنى رد ناجح الإيراد والإصدار
واهناً بفتح جاء يشتمل الرضا جذلان يرفل في حلى استبشار
وإليها ملء العيون وسامة حيتك بالأبكار من أفكارى
تجرى حداة العيس طيب حديثها يتعللون به على الأكوار
إن مسهم لفح الهجير أبلهم منه نسيم ثنائك المعطار
وتميل من أصغى لها فكأننى عاطيته منها كئوس عقار
قذفت بحور الفكر منها جوهرها لما وصفت أناملا ببحار
لا زلت للإسلام سترا كلما أم الحجيح البيت ذا الأستار
وبقيت يا بدر الهدى تجرى بما شاءت علاك سوابق الأقدار
انتهى ما تعلق به الغرض من هذا التأليف الملوكى وقد أتي به بحروفه
من أوله إلى هذا الموضع وتتبعه يطول ولكنى أنتقى منه نبذة زائدة على ما
سبق من مواضيع شتى فنقول:

قال المؤلف رحمه الله: ومن ذلك^(٢) أثناء وجهه مولانا الجد رحمه الله
لتجديد الدولة الأحمدية صدر عام تسعة وثمانين وسبع مئة:

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٥ ص ١٧٥ .

(٢) نفح الطيب ج ٥ ص ١٧٧ .

هب النسيم على الرياض مع السحر
 ورمى القضيبي دراهما من نوره
 نثر الأزهار بعد ما نظم الندي
 قم هاتها والجو أزهر باسم
 إن شجها بالماء كف مديرها
 نارية نورية من ضوئها
 لم يبق منها الدهر إلا صبغة
 من عهد كسرى لم يفض ختامها
 كانت مذايب التبر فيما قد مضى
 جدد بها عرس الصبوح فإنها
 وابلل بها رَمَق^(١) الأصيل عشية
 محمرة مصفرة قد أظهرت
 من كف شفاف تجسد نوره
 تهوى البدور كمالها وتود أن
 قد خط عذاره في خده
 والى عليك بها الكئوس وربما
 سكر الندامى من يديه ولحظه
 فاستيقظت في الدوح أجفان الزهر
 فاعتاض من طل الغمام بها درر
 يا حسن ما نظم النسيم وما نثر
 شمسا تحل من الزجاجاة في القمر
 ترمى من شهب الحباب بها شرر
 يقدر السراج لنا إذا الليل اعتكر
 قد أرعشت في الكأس من ضعف الكبر
 إذ كان يذخر كنزها فيما ذخر
 فأحالتها ذوب اللجين لمن نظر
 بكر تحييها الكرام مع البكر
 والشمس من وعد الغروب على خطر
 خجل المريب يشوبه وجل الحذر
 من جوهر لألاء بهجته بهر
 لو أوتيت منه المحاسن والغرر
 قلمان من آس هناك ومن شعر
 يسقيك من كأس الفتور إذا فتر
 متعاقب مهما سقى وإذا نظر

(١) في الأصل: «ريق» والمثبت رواية نفح الطيب ج ٥ ص ١٧٨ .

حيث الهديل مع الهدير تناغيا
والقضب مالت للعنان كأنها
متلاعبات فى الحلى ينوب فى
والنرجس المطلول يرنو نحوها
والنهر مصقول الحسام متى يرد
تجرى على الحصباء وهى جواهر
هل هذه أم روضة البشرى التى
لم أدر من شغف بها وبهذه
جاءت بها الأجفان^(٢) ملء ضلوعها
ومسافر فى البحر ملء عنانه
قادته نحوك بالخطام كأنه
وأراه دين الله عزة أهله
يا فخر أندلس وعصمة أهلها
كم معضل من دائها عاجته
ماذا عسى يصف البليغ خليفة
ورثت هذا الفخر يا ملك الهدى

فالطير تشدو فى الغصون بلا وتر
وفد الأجرة قادمين من السفر
وجناتهن الورد حسنا عن خفر
بلوا حظ دمع الندى منها انهمر
درع الغدير مصفقا فيه [صدر]^(١)
متكسرا من فوقها مهما عثر
فيها لأرباب البصائر معتبر
من منها فتن القلوب ومن سحر
ملء الخواطر والمسامع والبصر
وافى مع الفتح المبين على قدر
جمل يساق إلى القياد وقد نفر
بك يا أعف القادرين إذا قدر
لله سرٌّ فى اختصاصك قد ظهر
فشفيت منه بالبدار وبالبدر
والله ما أيامه إلا غرر
عن كل من آوى النبى ومن نصر

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٥ ص ١٧٨ .

(٢) الأجفان: المراكب .

من شاء يعرف فخرهم وكمالهم
 أبناءهم أبناء نصر بعدهم
 مولاي سعدك والصبح تشابه
 هذا وزير الغرب عبد آبق
 كفر الذى أوليته من نعمة
 إن لم يمت بالسيف مات بغيظه
 ركب الفرار مطية ينجو بها
 وكذا أبو حمو وكان حمامه
 بلغته - والله أكبر شاهد -
 حتى إذا جحد الذى أوليته
 فى حاله والله أعظم عبرة
 فاصبر تنل أمثالها فى مثله
 رد حيث شئت مسوغا ورد المنى
 لا زلت محروسا بعين كلاءة
 ومنها، وقد أضاف إلى ذلك من التغزل طوع بداره، وحجة اقتداره
 فقال:

والعود فى كف النديم بسر ما تلقى لنا منه الأنامل قد جهر^(١)

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ١٧٩ .

غنى عليه الطير وهو بدوحه
 عود ثوى حجر القضيب رعى له
 لا سيما لما رأى من ثغره
 ويظن أن عذاره من آسه
 يسبى القلوب بلفظه وبلحظه
 قد قيده لأنسنا أوتاره
 لم يبل قلبى قبل سمع غناؤه
 جس القلوب بجسسه أوتاره
 نمت لنا ألعانه بجميع ما
 يا صامتا والعود تحت بنانه
 أغنى غناؤك عن مدامك يا ترى
 باحت أناملك اللدان بكل ما
 ومقاتل ما سل غير لحاظه
 دانت له منا القلوب بطاعة
 والآن غنى فوقه ظبى أغر
 أيام كانا فى الرياض مع الشجر
 زهرا وأين الزهر من تلك الدرر
 ويظن تفاح الحدود من الثمر
 [وَأَفْتَتِي] ^(١) بين التكلم والنظر
 كالظبى قيد فى الكناس إذا نفر
 بمعذر سلب العقول وما اعتذر
 حتى كأن قلوبنا بين الوتر
 قد أودعت فيه القلوب من الفكر
 يغنيك نطق الخبر فيه عن الخبر
 هل من لحظك أم بنانك ذا السكر
 كان المتيم فى هواه قد ستر
 والرمح هز من القوام إذا خطر
 والسيف يملك ربه مهما قهر

ثم قال بعد إيراد جملة من كلامه :

وقال شاكرنا لنعمة وصلته من مولانا رحمه الله عليه فى عاشوراء :
 مولاي يابن السابقين إلى العلا والرافعين لواءها المنشورا

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٥ ص ١٧٩ .

إن لوحقوا فى المعلوات فإنهم
 أو فوخروا فى المكرمات فإنهم
 أبناء أنصار النبى وصحبه
 والمؤثرين وربنا أثنى بها
 فاضت علينا من نذاك غمائم
 من كف شفاف الضياء تخاله
 نعم منوعة تعدد وفرها
 فى موسم للدين قد جددته
 أضعاف ما أهديتنا من منة
 وعلى الطريق بشائر محمودة
 ثم قال: ومن لفظه فى وصف القرنفل الصعب الاجتناء بجبل الفتح
 وقد وقع له مولانا الغنى بالله بذلك فارتجل قطعاً منها:

أتونى بنوار يروق نضارة
 وجاءوا به من شاهق متمنع
 رعى الله منى عاشقا متقنعا
 وإن هب خفاق النسيم بنفحة
 كخذ الذى أهوى وطيب تنفسه
 تمنع ذلك الظبى فى ظل مسكنه
 بزهر حكى فى الحسن خد مؤنسه
 حكى عرفه طيباً قضى بتأنسه
 ومنها:

رعى الله زهراً يتسمى لقرنفل
 حكى عرف من الهوى وإشراق خده

ومنبته فى شاهق متمنع
أميل إذا الأغصان مالت بروضة
وأهفو لخفاق النسيم إذا سرى
ومنها:

يقر بعينى أن أرى الزهر يانعاً
وما أبصرت عينى كزهر قرنفل
تمنع فى أعلى الهضاب لمجتنٍ
وفى جبل الفتح اجتنوه تفاعلاً
[وما ضر ذاك الغصن وهو مرنح
إذا ما ثنى نحو المتيم عطفه]^(١)

ثم قال^(٢): ومن قصائده التى يود الصباح سناها، والنسيم اللدن رقة
معناها يهنئ مولانا الجد رضى الله عنه، عند وصول خالصة مقامه، وكبير
خدامه، القائد خالد، رحمه الله تعالى، من تلمسان بالهدية، وتجديد المقاصد
الودية، ووافق استئناف راحة من الذات العلية، ومن فروع دوحته الزكية:

أدرها ثلاثاً من لحاظك واحبس
إذا ما نهانى الشيب عن أكؤس الطلا
عذيرى من لحظ ضعيف وقد غدا
وروض شباب ماس غصن قوامه
فقد غال منها السكر أبناء مجلس
تدير على الخمر منها بأكؤس
يُحكّم منا فى جسوم وأنفس
وفتح فيه اللحظ أزهار نرجس

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٧٧ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ١٧٨ .

وما زال ورد الخد وهو مضعف
وكم جال الطرف فى روض حسنه
أما وليالى الوصل فى روضة الصبا
لئن نسيت تلك العهود أحبتى
وحاشا لنفسى بعد ما افتر فودها
وألبسها ثوب الوقار خليفة
وجدد للفتح المبين مواسما
وأورثه العلياء كل خليفة
فيا زاجر الأظعان وهى ضوامر
إذا جئت من دار الغنى بربه
فإن شئت من بحر السماحة فاغترف
أمولاى والى السعد منك ولاية
إذا شئت أن ترمى القصي من المنى
فترمى بسهم من سعودك صائب
أهنيك بالإبلال ممن شفاؤه
ودعنى أرد يمناك فهى غمامة
أقبل منها راحة إثر راحة

يعير أقاح الشجر طيب تنفس
يقيده فيه العذار بسندس
ومألف أحبابى وعهد تأنسى
فقلبى عهود العامرية ما نسى
من الشيب عن صبح به متنفس
[به لبس الإسلام أشرف ملبس]^(١)
أقام بها الإيمان أفراح معرس
نماه إلى الأنصار كل مقدس
بغير الفلا والوحش لم تتأنس
مناخ العلا والعز فانزل وعرس
وإن شئت من نور الهداية فاقبس
أنارت بها الأكوان جذوة مقبس
تدور لك الأفلاك مرفوعة القسى
سديد لأغراض الأمانى مقرطس
شفاؤك فاشكر من تلاقى وقدس
تبخل صوب العارض المتبجس
أتتك بها الركبان من بيت مقدس

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٧٨ .

ومن نسب الفتح المبين ولادة
فَيَأْيُهَا المولى الذى بكماله
[لَا مَنَّةَ] ^(١) موسى من عوادى سميه
بعثت بيمون النقيية، فى اسمه
فجاءك بالمال العريض هدية
وشفعها بالصفافنات كأنها
تنص من الإشراف جيد غزالة
لك الخير، موسى مثل موسى كلاهما
فلا زلت فى ظل النعيم وكل من
عليك سلام مثل حمدك عاطر
ثم قال بعد ذكر كثير من نظمه وبعض ميلادياته ^(٢):

وأنشد فى مولد عام خمسة وستين:

لعل الصبا إن صافحت روض نعمان
وماذا على الأرواح وهى طليقة
وما حال من يستودع الريح سره
وكالطيب أستقره فى سنة الكرى
تؤدى أمان القلب عن ظبية البان
لو احتملت أنفاسها حاجة العانى
ويطلبها وهى النوم بكتمان
وهل تنفع الأحلام غلة ظمان

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٧٩ .

(٢) نفح الطيب ج ٥ ص ٤٦ .

أسائل عن نجد ومرمى صبابتي
وأبدى إذا ريح الشمال تنفست
عرفت بهذا الحب لم أدر سلوة
فيا صاحبي نجوى والحب غاية
وراءكما ما اللوم يثنى مقادتي
وإني وإن كنت الأبي قياده
ولا زلت أرعى العهد فيمن يضيعه
فلا تنكر ما سامنى مضض الهوى
لى الله إما أومض البرق فى الدجى
وإن سل من غمد الغمام حسامه
ترأى بأعلام الثنية باسمًا
أسامر نجم الأفق حتى كأننا
ومما أناجى الأفق أعديه بالجوى
ويرسل صوب القطر من فيض أدمعى
وضاعف وجدى رسم دار عهدتها
على حين شرب الوصل غير مصرد
لئن كدرت عيني الطلول فإنها
ولم أر مثل الدمع فى عرصاتها

ملاعب غزلان الصريم بنعمان
شمائل مرتاح المعاطف نشوان
وإنى لمسلوب الفؤاد بسلوان
فمن سابق جلى مداه ومن وانى
فإنى عن شان الملامة فى شان
ليأمرنى حب الحسان وينهانى
وأذكر إلفى ما حييت وينسانى
فمن قبل قد أودى بقيس وغيلان
أقلب تحت الليل مقلة وسنان
برى كبدى الشوق الملم وأضنانى
فأذكرنى العهد القديم وأبكانى
وقد سدل الليل الرواق حليفان
فأرعى له سرح النجوم ويرعانى
ويقدح البرق من نار أشجانى
مطالع شهب أو مراتع غزلان
وصفوف الليالى لم يكدر بهجران
تمت إلى قلبى بذكر وعرفان
سقى تربها حين استهل وأظمانى

ومما شجاني أن سرى الركب موهناً
غوارب في بحر السراب تخالها
على كل نضو مثله فكأنما
ومن زاجر كوماء مخطفة الحشى
نشاوى غرام يستميل رءوسهم
أجابوا نداء البين طوع غرامهم
يؤمنون من قبر الشفيع مثابة
إذا نزلوا من طيبة بجواره
[بحيث علا الإيمان وامتد ظله
مطالع آيات مثابة رحمةٍ
هنالك تصفو للقبول موارد
هناك تؤدى للسلام أمانة
يناجون عن قربٍ شفيعهم الذى
لئن بلغوا دونى وخلفت أنه
وكم عزيمةٍ منيتُ نفسى صرفها
إلى الله نشكوها نفوساً أبيه
ألا ليت شعرى هل تساعدنى المنى

تقاد به هوج الرياح بأرسان
وقد سبحت فيه مواخر غربان
رمى منهما صدر المفازة سهماً
توسد منها فوق عوجاء مرنان
من النوم والشوق المبرح سكران
وقد تبلغ الأوطار فوقة أوطان
تطلع منها جناة ذات أفنان
فأكرم مولى ضم أكرم ضيفان
وزان حلى التوحيد تعطيل أوثان^(١)
معاهد أملاك مظاهر إيمان
يسقون منها فضل عفو وغفران
يحييهم عنها بروح وريحان
يؤمله القاصى من الخلق والدانى
قضاء جرى من مالك الأمر ديان
وقد عرفت منى مواعد ليان
تحيد عن الباقي وتغتر بالفانى
فأترك أهلى فى رضاه وجيرانى

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٥ ص ٤٨ .

وأقضى لُبانات الفؤاد بأن أرى
إليك رسول الله دعوة نازح
غريب بأقصى الغرب قيد خطوه
يجد اشتياقا للعقيق وبانه
وإنَّ أومض البرق الحجازى موهنا
فيا مولى الرحمى ويا مذهب العمى
بسطت يد المحتاج يا خير راحم
وسيلتى العظمى شفاعتك التى
فأنت حبيب الله خاتم رسله
وحسبك أنَّ سماك أسماءه العلا
وأنت لهذا الكون علة كونه
ولولاك للأفلاك لم تجل نيراً
خلاصة صفو المجد من آل هاشم
وسيد هذا الخلق من نسل آدم
وكم آية أطلعت فى أفق الهدى
وما الشمس يجلوها النهار لمبصر
وأكرم بآيات تحديتنا بها

أعفر خدى فى ثراه وأجفانى
خفوق الحشى رهن المطامع هيمان
شباب تقضى فى مراح وخسران
ويصبو إليها ما استجد الجديان
يردد فى الظلماء أنه لهفان
ويا منجد الغرقى ويا منقذ العانى
وذنبى أَلْجَانى إلى موقف الجانى
يلوذ بها عيسى وموسى بن عمران
وأكرم مخصوص بزلفى ورضوان
وذاك كمال لا يشاب بنقصان
ولولاك ما امتاز الوجود بأكوان
ولا قلدت [لباتهن بشهبان]^(١)
ونكتة سر الفخر من آل عدنان
وأكرم مبعوث إلى الإنس والجان
يَين صباح الرشد فيها ليقظان
بأجلى ظهوراً أو بأوضح برهان
ولا مثل آيات لمحكم فرقان

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٥ ص ٤٨ .

وماذا عسى يثنى البليغ وقد أتى
فصلى عليك الله ما انسكب الحيا
وأيد مولانا ابن نصر فإنه
أقام - كما يرضيك - مولدك الذى
سَمِيَّ رسول الله ناصر دينه
ووارث سر المجد من آل خزرج
ومرسلها ملء الفضاء كتائبًا
حدائق خضر والدروع غدائر
تجاوب فيها الصاهلات وترتمى
فمن كل خوار العنان قد ارتمى
وموردها ظمأى الكعوب ذوابلا
ولله منها والرُبوع مـواحل
إذا أخلفت الناس الغمام وأمحلوا
إمام أعاد الملك بعد ذهابه
فغادر أطلال الضلال دوارسًا
وشيدها والمجد يشهد دوله
وراق من الشجر الغريب ابتسامه
لك الخير ما أسنى شمائلك التى

ثناؤك فى وحى كريم وقرآن
وما سجعت ورقاء فى غصن البان
لأشرف من ينمى لملك وسلطان
به سفر الإسلام عن وجه جذلان
معظمه فى حال سر وإعلان
وأكرم من تنمى قبائل قحطان
تدين لها غلب الملوك بإذعان
وما أنبتت إلا ذوابل مران
جوانبها بالأسد من فوق عقبان
به كل مطعام العشيات مطعان
ومصدرها من كل أملد ريان
غمام ندى كفت به المحل كفان
فإن نداه والغمام لسيان
إعادة لا نابى الحسام ولا وانى
وجدد للإسلام أرفع بنيان
محافلها تزهى بيمن وإيمان
وهز له الإسلام أعطاف مزدان
يقصر عن إدراكها كل إنسان

ذكاء إياس فى سماحة حاتم وإقدام عمرو فى بلاغة سحبان
أمولاي ما أنسى مناقبك التى هى الشهب لا تحصى بعدٌ وحسبان
فلا زلت يا غوث البلاد وأهلها مبلغ أوطار ممهد أوطان
ثم قال بعد سرد ميلادية، وأنشد ذلك فى مولد سنة سبع وستين وسبع
مئة وألم فى أخرياتها بوصف المشور الأسنى، الرفيع المبنى:

زار الخيال [بأيمن الزوراء] فجلا سناء غياهب الظلماء^(١)
وسرى مع النسومات يسحب ذيله فأتت تنم بعنبر وكباء
هذا وما شئ ألد من المنى إلا زيارته مع الإغفاء
بتنا خيالين التحفنا بالضنى والسقم ما نخشى من الرقباء
حتى أفاق الصبح من غمراته وتجاذبت أيدى النسيم ردائى
يا سائلى عن سر من أحييته السر عندى ميت الأحياء
تالله ما أشكو المحبة والهوى لسوى الأحبة أو أموت بدائى
يا زين^(٢) قلبى لست أبرح عانيًا أرضى بسقمى فى الهوى وعنائى
أبكى وما غير النجيع مدامعى أذكى ولا ضرر سوى أحشائى
أهفو إذا تهفو البروق وأنشئ لسرى النواسم من ربا تيماء
بالله يا نفس الحمى رفقا بمن أغريته بتنفس الصعداء

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٧٩ وما بين حاصرتين منه .

(٢) فى نفح الطيب ج ٧ ص ١٨٠ «يادين قلبى» .

عجبا له يندى على كبدى وقد
يا ساكنى البطحاء أى لبانةٍ
أترى النوى يوما تخب قداحها
فى حيكم قمر فؤادى أفقه
لم تنسنى الأيام يوم وداعه
أبكى وييسم والمحاسن تنجلى
يا نظرة جادت بها أيدى النوى
من لى بثانية تنادى بالأسى:
ولرب ليل بالوصال قطعته
أنسيت فيه القلب عادة حلمه
وجريت فى طلق التصابى جامحا
أطوبى شبابى للمشيب مراحلا
يا ليت شعرى هل أرى أطوى إلى
فتطيب فى تلك الربوع مدائحى
حيث النبوة نورها متألق
حيث الرسالة فى ثنية قدسها
حيث الضريح أكرم مرسل
المصطفى والمرضى والمجتبى

أذكى بقلبى جمرة البرحاء
لى عندكم يا ساكنى البطحاء
ويفوز قدحى منكم بلقاء
تفديه نفسى من قريب نائى
والركب قد أوفى على الزوار
فعلقت بين تبسم وبكاء
حتى استهلته أدمعى بدماء
«قدك اتئد أسرفت فى الغلواء»
أجلو دجاءه بأوجه الندماء
وحثت فيه أكؤس السراء
لا أنثنى لمقادة النصحاء
برواحل الإصباح والإمساء
قبر الرسول صحائف البيداء
ويطول فى ذلك المقام ثوائى
كالشمس تزهى فى سنى وسناء
وفعت لهدى الخلق خير لواء
فخر الجود وشافع الشفعاء
والمنتقى من عنصر العلياء

خير البرية مجتباها ذخرها
 تاج الرسالة ختمها وقوامها
 لولاه للأفلاك ما لاحت بها
 ذو المعجزات الغر والآى التى
 وكفأك رد الشمس بعد غروبها
 والبدر شق له وكم من آيةٍ
 وبليلة الميلاد كم من رحمة
 قد بشر الرسل الكرام ببعثه
 أكرم بها بشرى على قدر سرت
 أمسى بها الإسلام يشرق نوره
 هو آيه الله التى أنوارها
 والشمس لا تخفى مزية فضلها
 يا مصطفى والكون لم تعلق به
 يا مظهر الحق الجلى ومطلع النـ
 يا ملجأ الخلق المشفع فيهم
 يا آسى المرضى ومتجعج الرضا
 أشكو إليك وأنت خير مؤمل
 إنى مددت يدى إليك تضرعاً
 ظل الإله الوارف الأفـياء
 وعمادها السامى على النظراء
 شهب تنير دياجى الظلماء
 أكبرن عن عدٍ وعن إحصاء
 وكفأك ما قد جاء فى الإسراء
 كأنامل جادات ينبع الماء
 نشر الإله بها ومن نعماء
 وتقدم الكهان بالأنباء
 فى الكون كالأرواح فى الأعضاء
 والكفر أصبح فاحم الأرجاء
 تجلو ظلام الشك أى جلاء
 إلا على ذى المقلة العمياء
 من بعد أيدى الخلق والإنشاء
 نور السننى السافر الأضواء
 يا رحمة الأموات والأحياء
 ومؤاسى الأيتام والضعفاء
 داء الذنوب وفى يدك دوائى
 حاشى وكلا أن يخيب رجائى

إِنَّ كُنْتَ لَمْ أَخْلَصْ إِلَيْكَ فَإِنَّمَا
 وبسعد مولاى الإمام محمد
 ظل الإله على البلاد وأهلها
 غوث العباد وليث مشتجر القنا
 كالدهر فى سطواته وسماحه
 رقت سجاياه وراقت مجتلى
 كالزهر فى إيراقيه والبدر فى
 يا بن الألى إجمالهم وجمالهم
 أنصار دين الله حزب رسوله
 يا بن الخلائف من بنى نصر ومن
 من كل من تقف الملوك ببابه
 قوم إذا قادوا الجيوش إلى الوغى
 والعز مجلوب بكل كتيبة
 يا وارثا عنها مناقبها التى
 يا فخر أندلس وعصمة أهلها
 كم خضت طوع صلاحها من مهمم
 تهدى بها حادى السرى بعزائم
 يا رافع لواء الفخر غير مدافع
 خلصت إليك محبتى وندائى
 تعد الأمانى أن يتاح لقائى
 فخر الملوك السادة الخلفاء
 يوم الطعان وفارج الغماء
 تجرى صباه يزعزع ورخاء
 كالنهر وسط الروضة الفيحاء
 إشراقه والزهر فى اللألاء
 فلق الصبح وواكف الأنواء
 والسابقين بحلبة العلياء
 حاطوا ذمار الملة السمحاء
 يستمطرون سحائب النعماء
 فالرعب رائدهم إلى الأعداء
 والنصر معقود بكل لواء
 تسمو مراقيها على الجوزاء
 يجزيك عنها الله خير جزاء
 لا تهتدى فيه القطا للماء
 تهدى نجوم الأفق فضل ضياء
 واسحب ذيول العزة القعساء

واهناً بمبناك السعيد فإنه
لله منه هالة قد أصبحت
تتأبها طير الرجاء فتجتني
لله منه قبة مرفوعة
راقت بدائع وشيها فكأنها
عظمت ميلاد النبي محمد
أحييت ليلك ساهرا فأفدتنا
يا أيها الملك الهمام المجتبي
من لى بأن أحصى مناقبك التى
وإليك منى روضة مطلولة
فافسح لها أكناف صفحك إنها
بكر أت تمشى على استحياء

قال: وأنشد من ذلك فى مولد عام ثمانية وستين وقد كان مولانا رضى
الله عنه أبى أن يرسل العنان فى مدح مقامه مبالغة فى توقير جانب المصطفى
ﷺ وإعظامه فلهذا القصد الأدبى الكريم أتى من المدح السلطانى فى آخرها
الملتصم القريب واكتفى من القلادة بما أحاط بالتريب ومدّ القول فى ذكر
الرسول وعجائب مجده حسبما اقتضاه الاختيار من مولانا كافاً الله جميل
قصده، آمين:

هذا الصباح صباح الشيب قد وضحا
للدهر لونان من نور ومن غسق
سرعان ما كان ليلاً فاستنار ضحى
هذا يعاقب هذا كلما برحا

وتلك صبغته أعدى بنيه بها
ما ينكر المرء من نور جلا غسقا
إذا رأيت بروق الشيب قد بسمت
يلقى المشيب بإجلال وتكرمة
أما ومثلى لم ييرح يُعلّله
والبرق ما لاح فى الظلماء مبتسما
فما له بقريب الشيب من قبل
يأبى وفائى أن أصغى لِلْإِثْمَةِ
يأهل نجد سقى الوسمى ربكم
ما للفضاد إذا هبت يمانية
يا حبذا نسمة من أرضكم نفحت
يا جيرة تعرف الأحياء جودهم
ما شملت بارقة من جو كاظمة
فى ذمة الله قلبى ما أعلله
كم ليلة والدجى راعت جوانبها
سريتها ونجوم الأفق فيه طفت
بسابع أهتدى ليلا بغرته
والسحب تنثر در الدمع من فرق

إذا تراخى مجال العمر وانفسحا
ما لم يكن لأمانى النفس مطرحا
بمفرق فمحيّا العيش قد كلحا
مَنْ قد أعدَّ من الأعمال ما صلحا
من النسيم عليل كلما نفحا
من جانب السفح إلا دمه سفحا
من بعد ما لام فى شأن الهوى ولحا
وأن أطيع عذولى غش أو نصحا
غيثا ينيل غليل الترب ما اقترحا
تهديه أنفاسها الأشجان والبرحا
وحبذا ربرب من جوكم سنحا
ما ضر من ضن بالإحسان لو سمحا
إلا وبّت لزند الشوق مقتدحا
بالقرب إلا وعاد القرب منتزحا
قلب الجبان فما ينفك مطرحا
جواهرها وعباب الليل قد طفحا
والبدر فى لجو الظلماء قد سبحا
والجو يخلع من برق الدجى وشحا

ما طالبت همتي دهرى بمعلوة
 ولا أدرت كئوس العزم مغتبقا
 هذا وكل الذى نلت من أمل
 كم يكدح المرء لا يدرى منيته
 وارحمنا لشبابى ضاع أطييه
 أليس أيامنا اللاتى سلفنا لنا
 إنا إلى الله، ما أولى المتاب بنا
 الحق أبلج والمنجاة عن كذب
 يا ويح نفس توانت عن مراشدها
 نرجو الخلاص ولم تنهج مسالكها
 يا رب صفحك يرجو كل مقترف
 يا رب لا سبب أرجو الخلاص به
 فما لجأت له فى دفع معضلة
 ولا تضايق أمر فاستجرت به
 يا هل تبلغنى مشواه ناجية
 حيث الربوع بنور الوحي أهلة
 حيث الرسالة تجلو من عجائبها
 حيث النبوة تتلو من غرائبها
 إلا بلغت من الأيام مقترحا
 إلا أدرت كئوس العز مصطبحا
 مثل الخيال تراءى ثمت انتزحا
 أليس كل امرئ يجزى بما كدحا
 فما فرحت به قد عاد لى ترحا
 منزلا أعلمت فيها الخطا مرحا
 لو أن قلبا إلى التوفيق قد جنحا
 والأمر لله والعقبى لمن صلحا
 وطرفها فى عنان الغى قد جمحا
 من باع رشدا بغى قلما ربحا
 فأنت أكرم من يغفو ومن صفحا
 إلا الرسول ولطفا منك إن نفحا
 إلا وجدت جناب اللطف منفسحا
 إلا تفرج باب الضيق وانفتحا
 تطوى بى القفر مهما امتد وانفسحا
 من حلها احتسب الآمال مقترحا
 من الجمال بنور الله متضححا
 ذكرا يغادر صدر الدين منشرحا

حيث الضريح بما قد ضم من كرم
يا حبذا بلدة كان النبي بها
يا دار هجرته يا أفق مطلعته
من هاشم في سماء العز مطلعة
من آل عدنان في الأشراف من مضر
من عهد آدم ما زالت أوامره
عناية سبقت قبل الوجود له
يا مصطفى وكمام الكون ما فتقت
لولاك ما أشرقت شمس ولا قمر
صدعت بالنور تجلو كل داجية
يا فاتح الرسل لو يا خاتمها شرفا
دنوت للخلق بالألطاف تمنحها
كالشمس في الأفق الأعلى مجرتها
كم آية لرسول الله معجزة
إن ردت الشمس من بعد الغروب له
يا نعمة عظمت في الخلق منتهى
الله أعطاك ما لم يؤتته أحد
حبيبه مصطفىاه مجتباة وفي

قد بذ في الفخر من ساد ومن نجحا
يلقى الملائك فيها آية سرحا
لى فيك بدر بغير الفكر ما لمحا
أكرم به نسبا بالعز متشحا
من محتد تطمح العلياء إن طمحا
تسام بالمجد من آبائه الصرحا
والله لو ووزنت بالكون ما رجحا
يا محبتي وزناد النور ما قدحا
لولاك ما راقى الأفلاك ملتحمحا
حتى نهج الحق واتضححا
بوركت مختتما قدست مفتتحا
والقلب في العالم العلوى ما برحا
والنور منها إلى الأبصار قد وضحا
تكل عن منتهائها ألسن الفصحا
قد ظللته غمام الجو حيث نحا
ورحمة تشمل الغادين والروحا
والله أكرم من أعطى ومن منحنا
هذا بلاغ لمن حلاك ممتدحا

أثنى عليك كتاب الله ممتدحا
قد أبعدتنى ذنوبى عنك يا أملى
لعل رحماك والأقدار سابقة
نفس شعاع وقلب خان أضلعه
إذا البروق أضاءت والغمام هَمَتْ
لم لا أحن وهذا الجذع حن له
كم ذا التعلل والأيام تطلنى
ما أقدر الله أن يدنى على شحط
يا سيد الرسل يا نعم الشفيع إذا
أنت المشفع والأبصار شاخصة
جاش العلا وجميل الظن يشفع لى
عساك يا خير من ترجى وسائله
ما زال معترفا بالذنب معذرا
عسى البشر غداة الروح يسمعنى
لا تياسن فإن الله ذو كرم
صلى الإله على المختار صفوته
وأيد الله مولانا بعصمته
وهنا الدين والدنيا على ملك
فأين يبلغ فى عليك من مدحا
فجهدى اليوم أن أهدي لك المدحا
تدنى محبا بأقصى الغرب منتزحا
مما يعانى من الأشواق قد برحا
فزفرتى أذْكِتْ أو مدمعى سفحا
لما تباعد عن لقياء وانتزحا
كأنها لم تجد عنك ممتدحا
وأن يقرب بعد البين من نرحا
طال الوقوف وحر الشمس قد لفحا
أنت الغياث وهول الخطب قد فدحا
أن يخفق السعى منى يعد ما نجحا
تنجى غريقا ببحر الذنب قد سبحا
لعلّ حبك يمحو كل ما اجترحا
بشرى تعود لى البؤسى بها فرحا
وحبك العاقب الماحى الذنوب محا
ما العارض انهل أو ما البارق التمحا
بأى باب إلى العلياء قد فتحا
لسعده الطائر الميمون قد سنحا

أنا الضمين لمكحول بغرته ألا ترى عينه بؤسا ولا ترحا

مولاي خذها كما شاءت بلاغتها غراء لم تعدم الأحجال والقزحا

كأن سرب قوافيها إذا سنحت طير على فنن الإحسان قد صدحا

قال: ومن إغذارياته المحكمة نسقا ووصفا، المتناهية في كل فن حسن

تحلية غريبة ووصفا - حسبما اقتضاه ملاحظة النسبة الرفيعة لصنائع مولانا

رحمة الله عليه، واحتفاله المناسب لعز ملكه من تعميم الخلق بالجفلى في

دعواهم واستدعاء أشرف الأمم من أهل المغرب وسواهم، تفننا في مكارم

متعددة أيامها على أصالة المجد معربة وإغراء لهم الملك بما يتمم الأمن من

أوضاع مغربة ومباهاة بعرض الجيوش للعدو الكافر، ومكاثرا من ممالك دولته

بالعدد الوافر، مما أجم اللسن الذكى عيا، وغادر الإغذار الذنوني منسيا، كافأ

الله أبوته المولوية عنا وعن آبائنا، وتلقى بالقبول الكفيل بتجديد الرضوان، ما

نصل إليه من خالص دعائنا إنه منعم جواد قوله في الصنيع المخلص من ذلك

بمولانا الوالد قدس الله روحه وذلك سنة أربع وستين وسبع مئة:

معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا وأن يشغل اللوم بالعذل باليا^(١)

دعاني أعط الحب فضل مقادتي ويقضى على الوجد ما كان قاضيا

ودون الذى رام العواذل صبوة رمت بى فى شعب الغرام المراميا

وقلب إذا ما البرق أومض موهنا قدحت به زندا من الشوق واريا

خليلى إنى اليوم طارقة النوى شقيت بمن لو شاء أنعم باليا

وبالخيف يوم النفر يا أم مالك تخلفت قلبى فى حبالك عانيا

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٤٨.

وذو أُشْرِ عذب الثنايا مخصر
أحوم عليه مادجا الليل ساهرا
يمضى ظلام الليل ما بين أضلعي
أجيرتنا بالرمل والرمل منزل
ولم أر ربعا منه أقضى لبانة
سقت ظله الغر الغوادي ونظمت
أبشكم أى على النأى حافظ
أناشدكم والحر أوفى بعهده
هل الود إلا ما تحاماه كاشح
تأوبنى والليل يذكى عيونه
وقد مثلت زهر النجوم بأفقهها
خيال على بعد المزار ألم بى
عجبت له كيف اهتدى نحو مضجعى
رفعت له نار الصبابة فاهتدى
ومما أجد الوجد سرب على النقى
نزعن عن الأحاظ كل مسدد
ولما تراءى السرب قلت لصاحبي
حذارك من سقم الجفون فإنه

يسقى به ماء النعيم الأقاحيا
وأصبح دون الورد ظمآن صاديا
إذا البارق النجدى وهنا بدا ليا
مضى العيش فيه بالشبيبة حاليا
وأشجى حمامات وأحلى مجانيا
من القطر فى جيد الغصون لآليا
ذمام الهوى لو تحفظون ذماميا
ولن يعدم الإحسان والخير جازيا
وأخفق فى مسعاه من جاء واشيا
ويسحب من ذيل الدجنة ضافيا
حبابا على نهر المجرة طافيا
فأدركنى من لم أكن عنه ساليا
ولم يبق منى السقم والشوق باقيا
وخاض لها عرض الدجنة ساريا
سوانح يصقلن الطلى والتراقيا
فغادرن أفلاذ القلوب دواميا
وأيقنت أنَّ الحب ما عشت دائيا
سيعدى بما يعىي الطبيب مداويا

وإنَّ أمير المسلمين محمّدا
تضئ النجوم الزاهرات خلاله
معال إذا ما النجم صوب طالبا
يسابق علوى الرياح إلى الندى
ويغضى عن العوراء إغضاء قادر
هما يروع الأسد فى حومة الوغى
مناقب تسمو للنفخار كأنما
إذا استبق الأملاك يوما لغاية
بهرت فأخفيت الملوك وذكرها
جلوت ظلام الظلم من كل معتد
هديت سبيل الله من ضل رشده
أفدت وحتى الملك مما أفدته
وقد عرفت منها مرين سوابقا
وكان أبو زيان جيدا معطلا
لك الخير لم تقصد بما قد أفديته
فما تكبر الأملاك غيرك آمرا
ولا تشكى الأيام من داء فتنة
وأندلساً أوليت ما أنت أهله

ليعدى نداه الساريات الهواميا
وينفث فى روح الزمان المعاليا
مبالغها فى العز خلف وانيا
وتفضح جدوى راحتيه الغوادية
ويرجع فى الحلم الجبال الرواسيا
كما راعت الأسد الظباء الجوازيا
تجبرى إلى المجد النجوم الجواريا
أبيت وذاك المجد إلا التناهيها
ولا عجب فالشمس تخفى الدرايا
ولا غرو أن تجلو البدور الدياجيا
لا زلت مهديا إليها وهاديا
وطوقت أشراف الملوك الأياديا
تقر لها بالفضل أخرى اللياليا
فزيتته حتى اغتدى بك حاليا
جزاء ولكن همة هى ما هيا
ولا ترهب الأشراف غيرك ناهيا
فقد عرفت منك الطبيب مداويا
وأوردتها وردا من الأمن صافيا

تلافت هذا الثغر وهو على شفى
ومن بعد ما ساءت ظنون بأهلها
فما يأمّلون العيش إلاّ تعللا
عطف على الأيام عطف راحم
فأنس من تلقائك الملك رشده
وقفت على الإسلام نفسا كريمة
فرأى كما انشق الصباح وعزمة
وكانت رماح الخط خمصا ذوابلا
وأوردت صفح السيف أبيض ناصعا
لك العزم تستجلى الخطوب بهديه
إذا أنت لم تفخر بما أنت أهله
ويهنئك دون العيد عيد شرعته
أقمت به من فطرة الدين سنة
صنيع تولى الله تشييد فخره
تود النجوم الزهر لو مثلت به
وما زال وجه اليوم بالشمس مشرقا
على مثله فليعقد الفخر تاجه
به يعمر الأنواء كل مفوه

وأصبحت من داء الحوادث شافيا
وحاموا على ورد الأمانى صواديا
ولا يعرفون الأمن إلاّ أمانيا
وألبستها ثوب امتنانك ضافيا
ونال بك الإسلام ما كان راجيا
تصد عدوا عن حماه وعاديا
كما صقل القين الحسام اليمانيا
فأنهلت منها فى الدماء صواديا
فأصدرته فى الروع أحمر قانيا
ويلفى إذا تبو الصوارم ماضيا
فما الصبح وضاح المشارق عاليا
تبث به فى الخالقين التهانيا
وجددت من رسم الهداية عافيا
وكان لما أوليت فيه مجازيا
وقضت من الزلفى إليك الأمانيا
سرورا به والليل بالشهب حاليا
ويسمو به فوق النجوم مراقيا
ويحدو به من بات بالفقر ساريا

ويوسف فيه بالجمال مقنع
وأقبل قد شاب الحياء مهابة
وأقدم لا هيابة الحفل واجما
شمائل فيه من أبيه وجده
فيا علقا أشجى القلوب لو اننا
جريت فأجريت الدموع تعطفنا
وكم من ولى ودون بابك مخلص
وصيد من الحيين أبناء قيلة
بهاليل غر إن أعدوا لغارة
فو الله لولا أن توخيت سنة
لكانت بها للأعوجيات جولة
وتترك أوصال الوشيح مقصدا
ولما قضى من سنة الله ما قضى
أفضنا نهنى منك أكرم منعم
فيهنى صفاح الهند والبأس والندى
ويهنى البنود الخافقات فإنها
كأنى به يشفى الصوارم والطبى
كأنى به قد توج الملك يافعا

كأن له من كل قلب مناجيا
ويقلب وجه البدر أزهر باهيا
ولا قاصرا فيه الخطا متوانيا
ترى العز فيها مستكنا وباديا
فدينك بالأعلاق ما كنت غاليا
وأطلعت فيها للسرور فواشيا
يفديه بالنفس النفيسة واقيا
تكف العوادي أو تبيد الأعاديا
أعادوا صباح الحى أظلم داجيا
رضيت بها أن كان ربك راضيا
تشيب من الغلب الشباب النواصيا
ويضض الطبى حمر المتون دواميا
وقد حسدت منه النجوم المساعيا
أبى لعميم الجود إلا تواليا
وسمر العوالى والعناق المذاكيا
سيعقدها فى ذمة النصر غازيا
ويحطم فى لأم الضلال العواليا
وجمع أشات المكارم ناشيا

وقضى حقوق الفخر فى ميعة الصبا وأحسن من دين الكمال التقاضيا
 ما هو إلاّ السعد إن رمت مطلعا وسددت سهما كان ربك راميا
 فلا زلت يا فخر الخلافة كافلا ولا زلت يا خير الأئمة كافيا
 ودمت قرير العين منه بغبطة وكان له رب البرية واقيا
 نظمت له حر الكلام تائما جعلت مكان الدر فيها القوافيا
 لآل بها باهى الملوك نفاسة وجلت لعمرى أن تكون لآليا
 أرى المال يرميه الجديدان بالبلى وما إن أرى إلاّ المحامد باقيا
 ثم قال: ومن ذلك ما أنشد فى الصنيع الثانى المختص بعمّينا السيدين
 الأميرين سعد ونصر، رحمة الله عليهما، وأجاد فى وصف الجند والجرد
 والطلبة وغرائب الأوضاع^(١).

أللمحة من بارق متبسم أرسلته دمعا تخرج بالدم
 ولنفحة تهفو ببيانات اللوى يهفو فؤادك عن جوانح مغرب
 هى عادة عذرية من يوم أن خلق الهوى تعتاد كل متيم
 قد كنت أعذل ذا الهوى من قبل أن أدرى الهوى واليوم أعذل لؤمى
 كم زفرة بين الجوانح ما ارتقت حذر الرقيب ومدمع لم يسجم
 إن كان واشى الدمع قد كتم الهوى هيهات واشى السقم لما يكتم
 ولقد أجد هواى رسم دارس قد كاد يخفى عن خفى توهم

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٨٤ .

وذكرت عهدا فى حماه قد انقضى
ولربما أشجى فؤادى عنده
لا أخرب الله الطلول فطالما
يا زاجر الأظعان يحفزها السرى
لترى دموع العاشقين برسمها
دمن عهدت بها الشبيبة والهوى
وكتيبة للشوق قد جهزتها
ورفعت فيها القلب بندا خافقا
فأنا الذى شاب الحماسة بالهوى
فطعنت من قد القوام بأسمر
يا قاتلَ اللهُ الجفون فإنها
ظلمت قتيل الحب ثم تبينت
يا ظبية سنحت بأكناف الحمى
ما ضر إذ أرسلت نظرة فاتك
فرايت جسما قد أصيب فؤاده
ولقد خشيت بأن يقاد^(١) بجرحه
كم خضت دونك من غمار مفازة

فأطلت فيه ترددى وتلومى
ورقاء تنفث شجوها بترسم
أشجى الفصيح بها بكاء الأبكم
قف بى عليها وقفه المتلوم
حمرا كحاشية الرداء المعلم
سقيا لها ولعهدها المتقدم
أغزو بها السلوان غزو مصمم
وأريت للعشاق فضل تهمم
لكن من أهوى مضايق مقدمى
ورميت غنج اللحاظ بأسهم
مهما رمت لم تخط شاكلة الرمى
للسقم فيها فترة المتظلم
سقى الحمى صوب الغمام المسجم
أن لو عطفبت بنظرة المترحم
من مقلتيك وأنت لم تتأثمى
فوهبت لحظك ما أحلك من دمي
لا تهتدى فيها الليوث لمجثم

(١) يقاد: من القود، وهو القصاص.

والنجم يسرى من دجاء بأدهم^(١)
والبدر فى صفح السماء كأنه
والزهر زهر والسماء حديقة
والليل مربرد الجوانح قد بدا
فكأنا فلق الصباح وقد بدا
ملك أفاض على البسيطة عدله
هو منتهى آمال كل موفق
لاحت مناقبه كواكب أسعد
ولقد تراءى بأسه وسماحه
مثل الغمام وقد تضاحك برقه
أنسى سماحة حاتم وكفاك فى
سير تسير النيرات بهديها
فالبدر دونك فى علا وإنارة
ولك القباب الحمر ترفع للندى
يذكرى الكباء بها كأن دخانه
ولك العوالى السمر تشرع للعدا
ولك الأيادى البيض قد طوقتها

رحب المقلد بالثريا ملجم
مرآة هند وسط لج ترتقى
فتقت كمائم جناحها عن أنجم
فيه الصباح كغرة فى أدهم
مرأى ابن نصر لاح للمتوسم
فالشاة لا تخشى اعتداء الضيغم
هو مورد الصادى وكتر المعدم
فرأت ملامح نوره عين العمى
فأتى الجلال من الجمال بتوهم
فأفاد بين تجهم وتبسم
يوم اللقاء ربيعة بن مكدم
وتعير عرف الروض طيب تنسم
والبحر دونك فى ندى وتكرم
فترى العمائم تحتها كالأنجم
قطع السحاب بجوها المتغيم
فتخر صرعى لليدين وللهم
صيد الملوك ذوى التلاد الأقدم

(١) الأدهم: الأسود، وهو من أوصاف الخيل.

شيم يقر الحاسدون بفضلله
ورث السماحة عن أبيه وجده
نقلوا المعالى كابرا عن كابر
وتسّموا رتب العلاء بحقها
يا آل نصر أنتم سرج الهدى
الفاتحون لكل صعب مقفل
والباسمون إذا الكماة عوابس
أبناء أنصار النبی وحزبه
سل عنهم أحدا وبدرا تلفهم
وبفتح مكة كم لهم فى يومه
أقسمت بالحرم الأمين ومكة
لولا مآثرها وفضل عَلاهم
ماذا عسى أثنى وقد أثنت على
يا وارثا عنها مآثرها التى
يا فخر أندلس لقد مدت إلى
أما سعودك فى الوغى فتكفلت
وافيت هذا الشعر وهو على شفى
ورعيته بسياسة دارت على

والصبح ليس ضياؤه بمكتم
فالأكارم ابن الأكرم ابن الأكرم
كالرمح مطرد الكعوب مقوم
بأب وجد فى الخلافة وابنم
فى كل خطب قد تجهم مظلم
والفارجون لكل خطب مبهم
والمقدمون على السواد الأعظم
وذوى السوابق والجوار الأعصم
أهل الغناء بها وأهل المغنم
بلواء خير الخلق من متقدم
والركن والبيت العتيق وزمزم
ما كان يعزى الفضل للمتقدم
عليائهم آى الكتاب المحكم
قد شيدت للفخر أشرف معلم
علياك كف اللائذ المستعصم
بسلامة الإسلام فاخلد واسلم
فشفيت معضل دائه المستحكم
مخططه دور السوار بمعصم

كم ليلة قد بت فيها ساهرا
 يا مظهر الألفاف وهى خفية
 لله دولتك التى آثارها
 ما بعد يومك فى المواسم بعد ما
 وافتك أشراف البلاد بيومه
 صرفوا إليك ركابهم وتيمموا
 وتبوءوا منه بدار كرامة
 وددت نجوم الأفق لم مثلت به
 والروض مختال بحلة سندس
 ورياحه نسمت بنشر لطيمة
 وأريتنا فيه عجائب جمّة
 أرسلت فيه سرعان الجياد كأنها
 من كل منحفض بخرقة بارق
 طرف يشك الطرف فى استثباته
 ومسافر فى الجو تحسب أنه
 تهدى الأمان إلى العيون النوم
 ومهب ريح النصر للمتبسم
 سير الركاب لمنجد أو مُتهم
 أتبع عيد الفطر أكرم موسم
 من كل ندب للعلا مُتَسَمِّ
 من بابك المنتاب خير ميمم
 فالكل بين مقرب ومنعم
 لتفوز فيه برتبة المستخدم
 من كل موشى الرقوم منعّم
 وأقاحه بسمت بثغر مُلثم^(١)
 لم تجر فى خلد ولم تتوهم
 أسراب طير فى التنوفة حوم
 قد كاد يسبق لمحة المتوهم
 فكأنه ظن بصدر مرجم
 يرقى إلى أوج السماء بسلم

(١) فى الأصل: «مثلث» وبهامشه: «فى الأصلين وبعض نسخ نفح الطيب: مسلم، وفى
 النسخة الخطية من نفح الطيب «مثلث» وظاهر أن كلا اللفظين محرف عما أثبتناه. والمثلث:
 المفالج الأسنان.

هذا والمثبت من نفح الطيب ج ٧ ص ١٨٧ (ت: إحسان عباس) وبهامشه: «فى أصول
 أزهار الرياض وفى التجارية: مسلم، وصححه محققو الأزهار: «مثلث» وأثبتنا ما فى ق،
 لكونه أقرب إلى الصواب.

رام استراق السمع وهو ممنع
 رجسته من شهب النصال حواصب
 ومدارة الأفلاك أعجز كنهها
 يمشى الرجال بجوفها وجميعهم
 ومنوع الحركات قد ركب الهوا
 فإذا هوى من جوه ثم استوى
 يمشى على فن الرشاء كأنه
 وإليك من صوب العقول عقيلة
 ترجو قبولك وهو أعظم منحة
 طارت فيها وصف كل غريبة
 ودعوت أرباب البيان أريهم
 ما ذاك إلا بعض أنعمك التى
 ثم قال: وأنشد من ذلك فى الصنيع المخصوص بعننا الأمير أبى عبد
 الله رحمة الله تعالى عليه، وأطنب فى وصف دار الملك وغير ذلك من
 ضخامة آثار مولانا الجد رضى الله عنه^(١):

سل الأفق بالزهر الكواكب حاليا
 وحملت معتل النسيم أمانة
 فإنى قد أودعته شرح حاليا
 قطعت بها عمر الزمان أمانيا
 أحملها ما يستخف الرواسيا
 فيا من رأى الأرواح وهى ضعيفة

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٨٨ .

وساوس كم جدت وجد بى الهوى
ومن يطع الألاحظ فى شرعة الهوى
عدلت بقلبى عن ولاية حكمه
وما الحب إلا نظرة تبعث الهوى
فيا عجبا للعين تمشى طليقة
ألا فى سبيل الله نفس نفيسة
ويا رب عهد للشباب قضيته
خلوت بمن أهوى من غير رقبة
ويوم بمستن الظباء شهده
ولم أصح من خمر اللحاظ وقد غدا
وجرد من غمد الغمامة صارما
تبسم فاستبكى جفونى عبرة
وأذكرنى ثغرا ظمئت لورده
وراح [خفوق]^(١) القلب مثلى كأنما
وليلة بات البدر فيها مضاجعى
كرعت بها بين العذيب وبارق
رشت بها شهد الرضاب سلافة

فعد بها القلب المقلب هازيا
فلا بد أن يعصى نصيحا ولا حيا
غداة ارتضى من جائر اللحظ واليا
وتعقب ما يعيى الطبيب مداويا
ويصبح من جرائها القلب عانيا
يرخص منها الحب ما كان غاليا
وأحسنت من دين الوصال التقاضيا
ولكن عففى لم أكن عنه خاليا
أجد وصالا باليا فيه باليا
به الجوى وضاح الأسرة ضاحيا
من البرق مصقول الصفيح يمانيا
ملأت بذرّ الدمع منها ردائيا
ولا والهوى العذرى ما كنت ناسيا
ببرق الحمى من لوعة الحب مايبا
وباتت عيون الشهب نحوى روانيا
بمورد ثغرات بالدر حاليا
وقبلت فى ماء النعيم الأقاحيا

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٨٩ .

فيا برد ذاك الشجر رويت غلتى
وروضة حسن للشباب نضيرة
وقد بت أسقى وردة الخد أدمعى
ومالت بقلبي مائلات قدودها
جزى الله العهد عودا فطالما
وقل لئال فى الشباب نعمتها
ويا واديا رفت على ظلاله
رمتنى عيون السرب فيه وإنما
فلولا اعتصامى بالأمير محمد
فقل لذى بينى على الحسن شعره
فكم من شكاة فى الهوى قد رفأتها
وكم ليلة فى مدحه قد سهرتها
ولاح عمد الصبح مثل انتسابه
إمام أفاد المكرمات زمانه
وجاوز قدر البدر نورا ورفعة
هو الشمس بثت فى البسيطة نفعها
هو البحر بالإحسان يزخر موجه
هو الغيث مهما يمسك الغيث سحبه

ويا حر أنفاسى أذابت فؤاديا
هصرت بغصن ألبان فيها المجانيا
فأصبح فيها نرجس اللحظ ذاويا
فما للقدود المائلات وماليا
أعاد على ربع الظباء الجوازيا
وقضيتها أنسا سُقِيت لياليا
ونحن ندير الوصل فُديت واديا
رمين بقلبى فى الغرام المراميا
لما كنت من فتك اللواحق ناجيا
عليه مع الإحسان لا زلت بانيا
ورفعتها بالمدح إذ جاء تاليا
أباهى بدر النظم فيه الدراريا
رفعت عليه للمديح المبانيا
وشاد له فوق النجوم المعاليا
ولم يرض إلا بالكمال مواليا
وأنوارها أهدت قريبا وقاصيا
ولكنه عذب لمن جاء عافيا
يروى بسحب الجود من كان صاديا

شمائله لو أنَّ الرياض بحسنها
فيا بن الملوك الصيد من آل خزرج
ألست الذى ترجو العفاة نواله
ألست الذى تخشى البغاة صياله
وهديك مهما ضلت الشهب قصدها
[وعزمك أمضى من حسامك فى الوغى
فكم قاده فى الدين يكفر ربه
وما راعه إلاَّ حسام وعزيمة
فلولاك يا شمس الخلافة لم يبن
ولولاك لم ترفع سماء عجاجة
ولولاك لم تنهل غصون من القنا
فأثمر فيها النصل نصرا مؤزرا
ومهما غدا سفاح سيفك عاريا
قضى الله من فوق السموات أنه
فكم معقل للكفر صبحت أهله
رقيت إليه والسيوف مشيحة
ففتحت مرقاه الممنع عنوة

لما صار فيها زهرها الغض ذاويا
وذا نسب كالصبح عز مساميا
فتخجل جدواه السحاب الغوايا
فتنزل عليه الصعاب العوايا
تولته فى جنح الدجنة هاديا
وإن كان مصقول الغارين ماضيا^(١)
قدحت له زند الحفيظة واريا
يضيئان فى ليل الخطوب الدواجيا
سبيل جهاد كان من قبل خافيا
تلوح بها بيض النصول دراريا
وكانت إلى ورد الدماء صوايا
فأجنى قطاف الفتح غضا ودانيا
يغادر وجه الأرض بالدم كاسيا
على من أبى الإسلام فى الأرض قاضيا
بجيش أعاد الصبح أظلم داجيا
وقد بلغت فيه النفوس التراقيا
وبات به التوحيد يعلو مناديا

(١) التكملة من نفح الطيب ج ٧ ص ١٩٠ .

وناقوسه بالقسر أمسى معطلا
 عجائب لم تخطر ببال وإنما
 فمئك استفاد الدهر كل عجيبة
 وعنك يروى الناس كل غريبة
 والله مبناك الجميل فإنه
 فكم فيه للأبصار من متنزه
 وتهوى النجوم الزهر لو ثبتت به
 ولو مثلك فى ساحتيه لسابقت
 به البهو قد حاز البهاء وقد غدا
 وكم حلة جللته بحليها
 وكم من قسى فى ذراه ترفعت
 فتحسبها الأفلاك دارت قسيها
 سوارى قد جاءت بكل غريبة
 به الممر المجلو قد شف نوره
 إذا ما أضاءت بالشعاع تخالها
 به البحر دفاع العباب تخاله
 إذا ما جلت أيدي الصبا صفح متنه
 وراقصة فى البحر طوع عنانها
 ومنبره بالذكر أصبح حاليا
 ظفرنا بها عن همة هى ماهيا
 يباهى بها الأملاك أخرى لياليا
 تخط على صفح الزمان أماليا
 يفوق على حكم السعود المبانيا
 تجد به نفس الحليم الأمانيا
 ولم تك فى أفق السماء جواريا
 إلى خدمة ترضيك منها الجواريا
 به القصر آفاق السماء مباهايا
 من الوشى تنسى السبارى اليمانيا
 على عمد بالنور باتت حواليا
 تظل عمود الصبح إذ لاح باديا
 فطارت بها الأمثال تجرى سواريا
 فيجلو من الظلماء ما كان داجيا
 على عظم الأجرام منها لآليا
 إذا ما انبرى وفد النسيم مباريا
 أرتنا دروعا أكسبتنا الأيديا
 تراجع ألحان القيان الغواليا

إذا ما علت فى الجو ثم تحدت
 يذوب لجين سال بين جواهر
 تشابه جار للعيون بجامد
 فإن شئت تشبيها له عن حقيقة
 فقل أرقصت منها البحيرة بنتها
 أرتنا طباع الجود وهى وليدة
 سقت ثغر زهر الروض عذب برودها
 كأن قد رأت نهر المجرة ناضبا
 وقامت بنات الدوح فيه موائلا
 رواضع فى حجر الغمام ترعرعت
 بها كل ملتف الغدائر مسبل
 وأشرف جيد الغصن فيها معطلا
 إذا ما تحلت در زهر غروسه
 مصارفة النقدين فيها بمثلها
 فإن ملأت كف النسيم مع الضحى
 فيملاً حجر الروض حول غصونها
 تغرد الطير فى أفنانها كلما
 تراجعها سجعا فتحسب أنها
 تحلى بمرفض الجمان النواحيا
 غدا مثلها فى الحسن أبيض صافيا
 فلم أدر أيا منهما كان جاريا
 تصيب بها المرمى وبوركت راميا
 كما يرقص المولود من كان لاهيا
 ولم ترض فى الإحسان إلا تغاليا
 وقامت لكى تهدى إلى الزهر ساقيا
 فرامت بأن تجرى إليه السواقيا
 فرادى ويتلو بعضهن مثنيا
 وشبت فشبت حبها فى فؤاديا
 تجيل به أيدى النسيم مداريا
 فقلدت النوار منه التراقيا
 يبيت لها المنام بالطيب واشيا
 أجاز بها قاضى الجمال التقاضيا
 دراهم نور ظل عنها مكافيا
 دنائير شمس تترك الروض حاليا
 تجس به أيدى القيان الملاهيا
 بأصواتها تملى عليها الأغانيا

فلم ندر روضا منه أنعم نضرة
 ولم نر قصرا منه أعلى مظاهرا
 معانى من نفس الكمال انتقيتها
 وفاتحت مبناهها بعيد شرعته
 ولما دعوت الناس نحو صنيعه
 وأموه من أقصى البلاد تقربا
 وأذكرت يوم العرض جودا ومنعة
 جزيت به كلا على حال سعيه
 وأطلعت من جزل الوقود هو ادجا
 وحين غدا يذكى ببابك للقري
 وطامحة فى الجو غير مطالة
 تمد لها الجوزاء كف مصافح
 ولا عجب أن فاتت الشهب بالعلا
 فبين يدي مثواك قامت لخدمة
 وشاهد ذا أنى ببابك واقف
 وقد أرضعت ثدى الغمام قبلها
 فلما أُبينت عن قرارة أصلها
 وعدت لقاء السحب عيدا وموسما
 وأعطر أرجاء وأحلى مجانيا
 وأرفع آفاقا وأفسح ناديا
 وزينت منها بالجمال المغانيا
 تبث به فى الخافقين التهانيا
 أجابوا له من جانب الغور داعيا
 وما زال منك السعد يدنى الأقصيا
 بموقف عرض كنت فيه المجازيا
 فما غرست يمناه أصبح جازيا
 تذكر يوم النفر من كان ساهيا
 فلا غرو أن أجريت فيه المذاكيا
 يرد مداها الطرف أحسر عانيا
 ويدنو لها بدر السماء مناجيا
 وأن جاوزت منها المدى المتناها
 ومن خدم الأعلى استفاد المعاليا
 وقد حسدت زهر النجوم مكانيا
 رياض كن فيه نواشيا
 أرادت إلى مرقى الغمام تعاليا
 لذاك اغتدت بالزمر تلهى الغوايا

فأضحك البرق الطروب خلالها
رأت نفسها طالت فظنت بأنها
فخفت إليها الذابلات كأنها
حنكت شبها للنحل والنحل حوله
فمن مثبت منها الرمية مدرك
وحصن منيع فى ذراه قد ارتقى
كأن بروج الأفق غارت وقد رأت
فأنشأت برجاً صاعداً متنزلاً
تظورت حالات أتى فى ضروبها
فحجل برجليها وشاح بخصرها
وما هو إلا طير سعد بذروة
أ مولاي يا فخر الملوك ومن به
بنوك على حكم السعادة خمسة
تبیت لهم كف الثريا معیذة
أسام عليها للسعادة میسم
جعلت أبا الحجاج فاتح طرسهم
وحسبك سعد ثم نصر یلیهم
أقمت به من فطر الدین سنة
وبات لأکواس الدرداری معاطیا
تفوت على رغم اللحاق المرامیا
طیور إلى وکر أطلن تهاویا
عصى إلى مثواه نهوى عوالیا
ومن طائش فى الجو حلق وانیا
فأبعد فى الجو الفضاء المراقیا
بروج قصور شدتهن سوامیا
یکون رسولاً بینهن مداریا
بأنواع حلی تستفز الغوانیا
وتاج إذا ما حل منها الأعالیا
غدا زاجرا من أشهب الصبح بازیا
سیبلغ دین الله ما کان راجیا
وذا عدد للعین ما زال واقیا
ویصبح معتل النسیم رواقیا
ترى العز فیها مستکنا وبادیا
وقد عرفت منك الفتوح التوالیا
محمد الأرضی فما زلت راضیا
وجددت من رسم الهدایة عافیا

وجاءوا به ملء العيون وسامة
فيا عاذراً ما كان أجراً مثله
وجاءتك من مصر التحايا كرائما
ووافتك من أرض الحجاز تيممة
وناداك بالتهويل سلطان طيبة
وقام وقد وافى ضريح محمد
سريرتك الرحى جزاك بسعيها
فوالله لولا سنة نبوية
وعذر من الإعذار قرر حكمه
لراعت بها للحرب أهوال موقف
لك الحمد فيه من صنيع تعده
تشدد له الجوزاء عقد نطاقها
وهنيت بالأمداح فيه وقد غدا
ودونك من بحر البيان جواهرها
وطاردت فيها وصف كل غريبة
فيا وارث الأنصار لا عن كلاله
بأمداحه جاء الكتاب مفصلا
لقد عرف الإسلام مما أفدته
يقلب وجه البدر أزهر باهية
فمثلك لا يدمى الأسود الضواريا
كما فتقت أيدى التجار الغواليا
تتمم صنع الله لا زال باديا
فيا طيب ما أهدى إليك مناديا
لسلطانك الأعلى هنالك داعيا
اله يوفى فى الجزاء المساعيا
عهدناه مهديا إليها وهاديا
من الشرع أخبار رفعن عواليا
تشيب بمبيض النصول العواليا
فشالته فى الفخر عزز ثانيا
لتخدم فيه كى تنال المعاليا
وجودك فيه بالإجادة وافيا
كرمن فما يشرين إلا غواليا
فأعجزت من يأتى ومن كان ماضيا
تراث جلال يستخف الرواسيا
يرتله فى الذكر من كان تاليا
مكارم أنصارية وأياديا

عليك سلام الله فاسم مخلدا تجدد أعياد وتبلى أعياديا
ثم قال: ومن ذلك أيضاً فيما اعتمدنا به نحن وأخونا المتولى بالأمر بعد
مولانا الوالد رحمة الله على الجميع من تلك الصنائع وهى جامعة لجم
الأوصاف والبدائع:

نجوم أمدتها بدور كوامل	لها النور من شمس الخلافة شامل
وفى الشهب من بدر السماء مشابه	وفى البدر من شمس النهار مخايل
وتعرف فيها من أبيها شمائل	كما فى أبيها من أبيه شمائل
مراتب فى عدد الحساب ثلاثة	وهن لأقمار العلاء منازل
طلعن على حكم السعود أهلة	وسرعان ما تبدو وهن كوامل
تجلت إلى الأبصار من أفق الهدى	وبثت إلى الأنصار منها وسائل
فيأبها المولى الذى شاد آخرا	من الفخر ما لم تستطعه الأوائل
بنوك كأمثل الأنامل عدة	فزانت يد الإسلام تلك الأنامل
غصون بروض الجود منك ترعرعت	وقد جادها من صوب نعماك وابل
فوا ما أدرى إذا ما تذوكرت	أأخلاقها تجلى لنا أم خمائل
غيوث سماح والعفة مسايل	ليوث كفاح والكمأة تنازل
سيوف محلاة على عاتق الهدى	إذا تنتضى تمضى وتنبو المناصل
تخاف عداة الدين منهم وتتقى	كما تتقى الأسد الظباء الجوافل
وإنَّ أبا الحجاج وهو كبيرهم	محل كثير دونه متضائل
ملك إذا اتقبلت غزة وجهه	تخلت أن الشمس فيما تقابل

إذا استمطرت فى المحل سحب بنانه
وإن سال ماء البشر فوق جبينه
تقلد منه عاتق الملك صارما
وأبناءؤه در تناسق عقده
أزهار فى روض المحاسن أينعت
زواهر فى أفق العلاء تطلعت
فما منهم إلا أغر محجل
أقمت لها الإعذار موسم رحمة
وما هو إلا مورد لسعادة
وأجريت سرعان الجياد بملعب
نجوم وآفاق الطراد مشارق
مفاتيح أبواب الفتوح فطالما
فأشهب كالإصباح راق أديمه
ألم تر أن الشهب فى الأفق كلما
وأحمر زان الورد منه خميلة
جرت لونه من فوقه مهج العدا
تلاقى به أمثاله فكأنها
إذا قبست بالركض فى حومة الوغى

فهن لمستجد هوام هوامل
فليس بمدفوع عن الورد سائل
له العزم نصل والسعود حمائل
يحلّى بهم من لبة الفخر عاطل
فلا روضها ذاو ولا الزهر ذابل
يشابه بعض بعضها ويشاكل
بورد المعالى فى الشبيبة ناهل
تسنت به للمتقين المآمل
تفيض لها منه المنى والفواضل
تذكر فيه موقف الجد هازل
عليها بدور من وجوه كوامل
أيحت بها للكافرين المعائل
وغالت به شهب السماء الغوائل
تجلى له الإصباح فهى أوائل
يحف به نهر من السيف سائل
فلله منه الجامد المتسائل
جمار وقد أذكى بها البأس باسل
تنير بها ليل القتام مشاعل

وأشقر مهما جاول البرق فى مدى
تحلى بمحلول النضار أديمه
وأدهم فى مسح الدجى متلفع
يكلل بالجوزاء حلى لجامه
ولم يرضه سرج الهلال مفضضا
وأصفر فى ثوب الأصيل قد ارتدى
وقد قُدد من برد العشى جلاله
وصاعدة فى الجو ملء عنانها
طلعت تحيى البدر منها بصعدة
وقد أعربت بالرفع عن طيب فخرها
يمد لها الكف الخصب بساعد
وتتأبها هيف العصى كأنها
تراوغها طورا وطورا تضيفها
وبالأمس كانت بعض أغصان دوحها
فحنت إلى أوطانها وتسابقت
وبرج منيف فى ذراها قد ارتقى
تطور حالات أتى فى جميعها
فتاج بأعلاها وشاح بخصرها

يفوت جواد البرق منه المجاول
فكل محلى دونه فهو عاطل
وقد خاض منه فى الصباح الأسافل
فدر الدارارى من حلاه عواطل
فأعرض عنها للأهله ناعل
وربما ودت حلاه الأصائل
وفى ذيله صبغ من الليل حائل
تسامت أعنان السما وتطاول
عليها لواء الصبح فى الأفق مائل
متى نصبتها فى الفضاء العوامل
ويشكى السماك الأعزل الرمح عامل
سهام وعأها للرمية نابل
فسام لأعلى مرتقاها ونازل
فنقلها عنها على الرغم ناقل
تعارض مسراها بها وتواصل
لترفع منه للبروج الرسائل
بأوضاع حلى وصفه متغافل
وفى الساق منه قد أديرت خلاخل

وما هو إلا قائم مد ملكه
ولله عينا من رأى القصر حوله
تروك فيه للبدر مطالع
مظاهر أقمار مراتب أنجم
وقد كان هول الحفل روع أهله
فأبدت به أبناء نجلك أوجهها
فلا الحفل مرهوب ولا الخطو قاصر
ولا القلب منحوب ولا الحلم طائش
أولئك أبناء الخلافة بوكروا
هنيئاً بها من سنة نبوية
ورحمى له من عاذر بان عذره
فنقص الهلال الأفق ما زال مؤذنا
ومن نقص ظل الشمس تزداد رفعة
وإن تابع النقص الشهور فإنها
ونقص صلاة الظهر يوم عروبة
وإن نقص البازى ريش جناحه
وتستفرغ الأنعام ما فى ضروعها
ونقص زكاة المال فيه وفوره
إلى الله فى البقايا لما صد سائل
منازل فيها للسعود منازل
إذا مثلت فى ساحته الأمثال
منازل بالنصر العزيز أوائل
وأشعرت الإشفاق تلك المحافل
تبين إلى السارين منها المجاهل
ولا السرب مرتاع ولا الروع هائل
ولا العقل معقول ولا الفكر ذاهل
وتجربى على أعدائهن الصواهل
زها الفخر محصول لديها وحاصل
وأوهم نقصا فضله متطاوّل
لمرآه أن يبدو لنا وهو كامل
إلى أن ترى والظل فى الشرق مائل
على إثره تأتى وهن كـوامل
لمعنى كمال أوضحته الدلائل
يزيد استباقا وهو للصيد خاتل
عَشِيًّا لتغدو والضروع حوافل
ومشق ذباب السيف يخشاه صاقل

لك الخير من صنع جلوت محاسنا
 ألا هكذا فليعقد الفخر تاجه
 بأبلج غار الصبح منه بطلعة
 إذا خطب العليا تخطت بركبه
 ولو رام إدراك النجوم بحيلة
 وإن طلبت زهر النجوم لحاقه
 وتخفق بالنصر العزيز بنوده
 وليل جهاد بات يرعى نجومه
 يراعى حماة الدين فيه بمقلة
 إذا اشتاق هز الريح خافق بنده
 وفي الله عن وصل الأجنة مرغب
 من الخزرجين اللذين نمتهم
 تسامى إلى ماء السماء فجوده
 أقول لمستام الربيع وقد غدا
 أمامك دار للغنى بربه
 تجر من كفيه عشرة أبحر
 فتجرى بها سفن الرجاء إلى مدى
 فراجيه تستجدى العفاة نواله
 يحدى بها حدى السرى ويناقل
 ويسمو إلى أوج العلا ويطاول
 لها البدر تاج والنجوم قبائل
 على خطر المسعى القنا والقنابل
 لأحرز من إدراكها ما يحاول
 فمن دون ما تبغى المدى المتطاول
 إذا خفقت فيها الصبا والشمائل
 فلا الليل منجباب ولا النجم آفل
 يرعى بها الإسلام كاف وكافل
 وإن حن غنته الجياد الصواهل
 وفى الغزو عن ذكر المنازل شاغل
 عشائر من قحطانها وفصائل
 بماء السماء فى البسيطة حائل
 يرود مصاب الغيث والعام ماحل
 بأرجائها للمعتفين مناهل
 يغص بهن البحر وهى أنامل
 وليس إلى الجودى من الجود ساحل
 وسائله تزجى إليه الوسائل

أحاديث عنه فى السماح غريبة
لك الله من تول غمام بنانه
طلعت بأفق الغرب نير رحمة
فحمدك أحرى ما أفادت حقائب
تروم جوارى الشهب شأوك فى العلا
وفى الصبح من ذاك الجبين أشعة
وفى الروض من رياك عرف ونفحة
إذا أنت لم تزج الجنود إلى العلا
وإن لم تقومها سهاماً مريشة
تريش لك الأقدار أسهم أسعد
لك العز تستجلى الخطوب بنوره
إذا العزم لم يصقل حسام كميّه
فقبل مضاء السيوف تمضى عزائم
وما يستوى - والعلم لله وحده -
تظلل سحب الطير جيشك حيثما
فلاقى بها عقبان طير وراية
فقل لعميد الروم دونك فارتقب
وشم بارق السيف اللموع جفونه

يروى عواليها عطاء وواصل
أقامت فروض البر منها النوافل
وقد شرقت منك العلا والفضائل
وذكرك أسنى ما أقلت رواحل
ومن دونه للنيرات مراحل
وفى الشمس من ذاك المحيا دلائل
وفى الغيث من يمينك جود ونائل
فإنَّ جنود الله عنك تقاتل
فإنَّ سهام الله عنك تناضل
تصاب بها للدار عين مقاتل
فليس له إلاّ الصباح ممائل
فما نافع ما قد جلته الصياقل
وبعد بناء الرأى تبنى المعائل
عليم بأعقاب الأمور وجاهل
تميل به الرايات وهى حوامل
تبدى الأعادى والرماح حبال
طلائع فيها للمنايا رسائل
سحاب قتام تحته الدم سائل

ولا تزجر الغربان فى البحر إنها
ولكنها والله ينجز وعده
ومخضرة الأرجاء فى جنباتها
ترى الدوح منها بالأسنة مزهرا
تبل غليل الرمح من مهج العدا
فيا عجبا للرمح رويته دما
لقد كملت فىك المحاسن كلها
فعند جميع الخلق شكرك عاجل
ودونك من نظمى جوهر حكمة
وما هو إلا ذكر أوصافك العلا
فتتلى على الأسماع منها بدائع
ولو أننى أدركت أعصار من مضى
«وإنى وإن كنت الأخير زمانه
ولا فتخرت قدما إياد بقسها
فلا زلت يا مولاي مورد رحمة
تقيم رسوم المعلوات بمغرب
وأدركت فى الأعداء ما أنت طالب

سفائن والبحر المذل حامل
جوار بأساد الرجال حوامل
مارح تحمىها الرماح الذوابل
إذا ما سقته للسيوف الجداول
إذا ما كست منها الرماح غلائل
وقد راق منه العين ريان ذابل
وما كل من يعطى الخلافة كامل
وعند الإله الحق أجرك آجل
يفخر منها السحر بالشعر بابل
فتفعل يا مولاي والعبد قائل
وتجلى على الأبصار منها عقائل
لما قال فيها الشاعر المتخايل
لآت بما لم تستطعه الأوائل»
ولا استصحت سحبان فى الفخر وائل
عطاش الأمانى فى رضاك نواهل
وذكرك فى أقصى البسيطة حائل
وبلغت فى الأبناء ما أنت آمل

ثم قال: ومن ذلك فى الصنيع المختص بالأمرء الجللة، أخينا المعز لدولتنا أبى الحسن، وأخينا أبى العباس، وابن عمنا أبى عبد الله، وصل الله سعودهم، ولقد أبدع فى تشييده وتأسيسه، وبسط يد الحسن من براعة تخميسه، وذلك عام عودة مولانا رحمة الله تعالى عليه من سبته لما عادت إلى ملكه، قال:

أرقت لبرق مثل جفنى ساهرا ينظم من قطر الغمام جواهر^(١)
فأضحك زهر الروض منه أزاهرا وصبح حكى وجه الخليفة باهرا

تجسم من نور الهدى وتجسدا
شفائى معتل النسيم إذا انبرى وأسند عن دمعى الحديث الذى جرى
وقد فتق الأرجاء مسكا وعنبرا كأن الغنى بالله فى الروض قد سرى

فهبت به الأرواح عاطرة الردا
عذيرى من قلب إلى الحسن قد صبا تهيجه الذكرى ويصبو إلى الصبا
ويجرى جياذ اللهو فى ملعب الصبا ولولا ابن نصر ما أفاق وأعتبا

رأى وجهه صبح الهداية فاهتدى
إليك أمير المسلمين شكاية جنى الحسن فيها للقلوب جناية
وأعظم فيها بالعيون نكاية وأطلع فى ليل من الشعر آية

محيا جميلا بالصبح قد ارتدى
بهديك تهدى النيرات وتهتدى وأنوارها جدوى يمينك تجتدى

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٩٦ .

وعذلك للأملاك أوضح مرشد بآثار فى مشكل الأمر تقتدى

فما بال سلطان الجمال قد اعتدى

تحكم منا فى نفوس ضعيفة وسل سيوفا من جفون نحيفة

ألم يدر أنا فى ظلال خليفة ودولة أمن لا تراعى منيفة

بها قد رسا دين الهدى وتمهدا

خذوا بدم المشتاق لحظا أراقه وبرقا بأعلام الثنية شاقه

وإن كلفوه فوق ما قد أطاقه يث حديثا ما ألد مساقه

خليفتنا المولى الإمام محمّد

تقلد حكم العدل دينا ومذهبا وجور الليالى قد أزاح وأذهبها

فيا عجبا للشوق أذكى وألهبا وسل صباحا صارم البرق مذهبها

وقد بات فى جفن الغمامة مغمدا

يذكرنى ثغرا لأسماء أشنبا إذا ابتسمت تجلو من الليل غيها

كعزم أمير المسلمين إذا احتبى وأجرى به طرفا من الصبح أشهبها

وأصدر فى ذات الإله وأوردا

فسبحان من أجرى الرياح بنصره وعطر أنفاس الرياض بشكره

فيرد الصبا يطوى على طيب نشره ومهما تجلى وجهه وسط قصره

ترى هالة بدر السماء بها بدا

إمام أفاد العلوات زمانه فما لحقت زهر النجوم مكانه
ومدّ على شرق وغرب أمانه ولا عيب فيه غير أنّ بنانه

تغرق مستجدية فى أبحر الندى

هو البحر مدّ العارض المتهللاً هو البدر لكن لا يزال مكتملاً
هو الدهر لا يخشى الخطوب ولا ولا هو العلم الخفاق فى هضبة العلا

هو الصارم المشهور فى نصرة الهدى

أما والذى أعطى الوجود وجوده وأوسع من فوق البسيطة جوده
لقد أصحب النصر العزيز بنوده ومدينة بأمالك السماء جنوده

وأنجز للإسلام بالنصر موعدا

أمولاي قد أنجحت رأيا ورواية ولم تبق فى سبق المكارم غاية
فتهدى سجايك ابن رشد نهاية وإن كان هذا السعد منك بداية

سيبقى على مر الزمان مخلدا

سعودك تغنى عن قراع الكتائب وجودك يزرى بالغمام السواكب
وإن زاحمتها شهبها بالمناكب ووجهك بدر المتدى والمواكب

وقد فسحت فى الفخر أبناؤك المدى

بنوك كأمثال الأنامل عدة أعدت لما يخشى من الدهر عدة
وزيد بهم برد الخلافة جدة أطال لهم فى ظل ملكك مدة

إله يطيل العمر منك مؤبدا

يدور بأوصاف الكمال استقلت غمام بفياض النوال استهلّت
سيوف على الأعداء بالنصر سلت نجوم بآفاق العلاء تجلّت

ولاحت كما شئت سعودك أسعدا

وإنَّ أبا الحجاج سيفك منتضى وبدر بآفاق الجمال تعرضا
بنورك يا شمس الخلافة قد أضأ وراقت على أعطافه حلل الرضا

فحل محلا من رضاك ممهدا

ملك له تعنو الملوك جلالة يجرر أذيال الفخار مطالة
وتفرق أسد الغاب منه بسالة وترضاه أنصار الرسول سالة

فأبناؤه طابوا فروعا ومحتدا

أزاهر في روض الخلافة أيعنت زواهر في أفق العلاء تطلعت
جواهر أعيّت في الجمال وأبدعت وعن قيمة الأعلاق قدرا ترفعت

يسر بها الإسلام غيبا ومشهدا

بعهد ولى العهد كرم عهده وأنجز في تخليد ملكك وعده
تنظم منهم تحت شملك وعقده وأورثهم فخرا أبوه وجده

فأعلى عليا حين أحمد أحمدا

تحوط بهم ملكا عزيزا وملة وتلحظ عين السعد منهم أهلة
ستبدو على أفق العلا مستقلة وسحبها بفياض الندى مستهلة

تفجر بحرا للسماحة مزبدا

ونجلك نصر يقتفى نجل رسمه أمير يزين العقل راجح حلمه
أناك بنجل يستضاء بنجمه لحب رسول الله سماه باسمه

وباسمك فى هذى الموافقة اقتدى

أقمت بإعذار الإمارة سنة وطوقها من حلى فخر ك منة
وأسكنتها فى ظل برك جنة وألحفتها برد اعتنائك جنة

وعمرت منها بالتلاوة مسجدا

فلله عينا من رآهم تطلعوا غصونا بروض الجود منك ترعرعوا
وفى دوحة العلياء منك تفرعوا ملوك بجلباب الحياء تقنعوا

أضاء بهم أفق قصر ك متدى

وقد أشعروا الصبر الجميل نفوسهم وقد أفرغوا فوق الحلى لبوسهم
وقد زينوا بالبشر فيه شمسهم وعاطوا كئوس الأنس فيه جليسهم

وأبدوا على هول المقام تجلدا

شمائل فيهم من أبيهم وجدهم تفصل آى الفخر فيها بحمدهم
وتنسبها الأنصار قدما لسعدهم تضى بها نورا مصايح سعدهم

ولم لا ومن صحب الرسول توقدا

فو الله لولا سنة قد أقمتهأ وسيرة هدى للنبي علمتهأ
وأحكم عدل للجنود رسمتهأ لجالت بها الأبطال تقصد سمتهأ

وتترك أوصال الوشيح مقصدا

ويا عاذرا أبدى لنا الشرع عذه طرقت حمى قد عظم الله قدره
وأجريت طيبا يحسد الطيب نشره لد جئت ما تستطيع الصيد أمره

وتفديه إن يقبل خليفها فدا

رعى الله منها دعوة مستجابة أفادت نفوس المخلصين إنابة
ولم تلف من دون القبول حجابة وعاذرها لم يبد عذرا مهابة

فأوجب عن نقص كمالا تزيدا

فنقص زكاة المال وفر نصابه وما السيف إلا بعد مشق ذبا به
وما الزهر إلا بعد شق إهابه بقطع يراع الخط حسن كتابه

وبالنقص يزداد الذبال توقدا

ولما قضوا من سنة الشرع واجبا ولم نلق من دون الخلافة حاجبا
أفضنا منك جذلان واهبا أفاض علينا أنعما ومواها

تعود بذل الجود فيما تعودا

هنيئا بهذا قد بلغت مؤملا وأطلعت نورا يبهر المتأملا
وأحرزت أجر المنعمين مكملا تبارك من أعطى جزيلا وأجملا

وبلغ فيك الدين والملك مقصدا

ألا في سبيل العز والفخر موسم يظل به ثغر المسرة ييسم
وعرف الرضا من جوه يتنسم وأرزاق أرباب السعادة تقسم

ففي وصفه ذهن الذكي تبلدا

وجللت فى هذا الصنيع مصانعا تمنى بدور التم منها مطالعا
وأبدت فيها للجمال بدائعا وأجريت للاحسان فيها مشارعا

يود بها نهر المجرة موردا

وأجريت فيها الخيل وهى سوابق وإن طلبت فى الروع فهى لواحق
نجوم وآفاق الطرد مشارق يفوت التماح الطرف منها بوارق

إذا ما تجارى الشهب تستبق المدى

وتطلع فى ليل القتام كواكبًا وقد وردت نهر النهار مشاربًا
تقود إلى الأعداء منها كتائبًا فترسم من فوق التراب محاربًا

تخر رءوس الروم فيهن سجدا

سواج بالنصر العزيز سوانح وهن لأبواب الفتوح فواتح
توقد إليك النصر والله مانح فما زلت باب الخير والله فاتح

وما ثم شىء قد عدا بعد ما بدا

رياح لها مثنى البروق أعنة ظباء فإن جن الظلام فجنة
تقيها من البدر المتمم جنة وتشرع من زهر النجوم أسنة

فتقذف شهب الرجم فى ثغر العدا

فأشهب من نسل الوجيه إذا انتمى جرى فشأى شهب الكواكب فى السما
وخلف منها فى مقلد أنجما تردى جمالا بالصباح وربما

يقول له الإصباح نفسى لك الفدا

واحمر قد أذكى به البأس جمرة وقد سلب الياقوت والورد حمرة
أدار به ساق من الحرب خمرة وأبدى حبابا فوقها ألسن غرة

يزين بها خدًا أسىلا موردا

وأشقر مهما الركض برقه أعار جواد البرق فى الأفق سبقه
بدا شفقا قد جلل الحسن أفقه ألم تر أن الله أبدع خلقه

فسأل على أعطافه الحسن عسجدا

وأصفر قد ودّ الأصيل جماله وقد من برد العشى جلاله
إذا أسرجوا جنح الظلام ذباله فغرته نجم تضى مجاله

وفى ذيله ذيل الظلام قد ارتدى

وأدهم فى مسح الدجى متجرد يجيش به بحر من الليل مزبد
وغرته نجم به متوقد له البدر سرج والنجوم مقلد

وفى فلق الصبح المبين تقيدا

وأبيض كالقرطاس لاح صباحه على الحسن مغداه وفيه مراحه
وللطبيات الأنسات مراحه تراه كنشوان أمالته راحه

وتحسبه وسط الجمال معربدا

وذاهبة فى الجو ملء عنانها وقد لفعت السحب برد عنانها
يفوت يرتداد الطرف لمح عيانها وختمت الجوزاء سبط بنانها

وصاغت لها حلى النجوم مقيدا

أراها عمود الصبح علو المصاعد وأوهمها قرب المدى المتباعد
ففاتته سبقا في مجال الرواعد وآتحت الكف الخضيب بساعد

فطوقت الزهر النجوم بها يدا

وقد قذفتها للعصى حواصب قد انتشرت في الجو منها ذوائب
تزاور منها في الفضاء حباب فبينها من قبل ذلك مناسب

لأنهما في الروض قبل تولدا

بنات لأم قد حين بروحها دعاها الهوى من بعد كتم لبوحها
فأقلامها تهوى لخط بلوحها فبالأمس كانت بعض أغصان دوحها

فعادت إليها اليوم من بعد عودا

ويا رب حصن في ذراعها قد اعتلى أنارت بروج الأفق في مظهر العلا
بروج قصور شدتها متطولا فأنشأت برجا صاعدا متنزلا

يكون رسولا بينها مترددا

وهل هي إلا هالة حول بدرها يصوغ لها حليًا يليق بنحرها
تطور أنواعا تشيد بفخرها فحجل برجلها وشاح بخصرها

وتاج بأعلى رأسها تنضدا

أراد استراق السمع وهو ممنع فقام بأذيال الدجى يتفلق
وأصغى لأخبار السما يتسمع فأتبعه منها ذوايل شرع

لتقذفه بالرجم مثني وموحدا

وما هو إلا قائم مد كفه ليسأل من رب السموات لطفه
لمولى تولاه وأحكم رصفه وكلف أرباب البلاغة وصفه

واكرم منه القانت المتهجدا

ملاقى ركب من وفود النواسم مقبل ثغر للبروق البواسم
مختم كف بالنجوم العواتم مبلغ قصد من حضور المواسم

تجدده مهما صنيع تجددا

ومضطرب فى الجو أثبت قامة تقدم يمشى فى الهواء كرامة
تطلع فى غصن الرشاء كمامة وتحسبه تحت الغمام غمامة

يسيل على أعطافه عرق الندى

هوى واستوى فى حاله وتقلبا كخاطف برق قد تألق خلبا
ونحسبه قد دار فى الأفق كوكبا ومهما مشى واستوقف العقل معجبا

تقلب فيه العين لحاظا مرددا

لقد رام للسماء بسلم فيمشى على خط به متوهم
أجل فى الذى بيديه فكر توسم ترى طائرا قد حل صورة آدمى

وجنا بمهواة الفضاء تمردا

ومنتسب للخال سموه ملجما له حكمت حكمها فاه ألجما
تخالف جنسا والداه إذا ابتمى كما جنسه أيضاً تخالف عنهما

عجبت له إذ لم يلد وتولدا

قلائتها في الذكر جاءت مبينة من الاء سماها لنا الله زينة
وأنزل فيها آية مستبينة وأودع فيها للجهول سكينه

وآلاءه فيها على الخلق عددا

كسوه من الوشى اليماني هودجا يمد على ما فوقه الظل سجسجا
وكم صورة تجلى به تبهر الحجا وجزل وقود ناره تصدع الدجى

وقلب حسود غاظ مذكيه موقدا

وما هي إلا مظهر لجهاده أرتنا بها الأفراح فضل اجتهاده
ملاعبها هزت قدود صعاده وأذكرت الأبطال يوم طراده

فما ارتبت فيه اليوم صدقته غدا

ألا جدد الرحمن صنعا حضرته ودوح الأمانى فى ذراه هصرته
بقصر طويل الوصف فيه اختصرته يقيد طرف الطرف مهما نظرت

«ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا»

دعوت له الأشراف من كل بلدة فجاءها بآمال له مستجدة
وخصوا بالطف لديه معدة أياد بفياض الندى مستمدة

فكلهم من فضله قد تزودا

وجاءتك من آل النبی عصابة لها فى مرامى المكرمات إصابة
أحبك حبا ليس فيه استراة ولبت دواعى الخير منها إجابة

وناداهم التخصيص فابتدروا الندى

أجازوا إليك البحر والبحر يزخر لبحر سماح مده ليس يجيز
فرواهم من عذب جودك كوثر وواليت من نعماك ما ليس يحصر

وعظمتهم ترجو النبي محمدا

عليه صلاة ثم سلامه به طاب من هذا النظام اختتامه
وجاء بمحمد الله حلوا كلامه يعز على أهل البيان مرامه

وتمسى له الكواكب حسدا

أبث به حادى الركاب مشرقا حديث جهاد للنفوس مشوقا
رمى به من بالعراق مفوقا وأرسلت منه بالبديع مطوقا

حماما على دوح الثناء مغردا

ركضت به خيل البيان إلى مدى فأحرزت فضل السبق فى حلبة الهدى
ونظمت من در الدرارى مخلدا وطوقت جيد الفخر عقدا منضدا

وقمت به بين السماطين منشدا

نسقت من الإحسان فيه غرائدا وأرسلت فى روض المحاسن رائدا
وقلدت عطف الملك منه قلائدا تعودت فيه للقبول عوائدا

فلا زلت للفضل الجزيل معودا

ولا زلت للصنع الجميل مجددا ولا زلت للفخر العظيم مخلدا
وعمرت عمرا لا يزال مجددا ومتعت بالأبناء أوحدا أوحدا

وقرت بهم عيناك ما سائق حدا

ومن العيديات^(١):

هذى المعالم لفظ أنت معناه
بحر والوجود فلك الكون جارية
من نور وجهك ضاء السكون أجمعه
عرش وفرش وأملاك مسخرة
سبحان من أوجد الأشياء من عدم
من ينسب النور للأفلاك قلت له
مولاي مولاي بحر الجود أغرقني
فالفلك تجرى كما الأفلاك جارية
وكلها نعم للخلق شاملة
يا فاتق الرتق من هذا الوجود كما
كن لى كما كنت إذ كنت لا عملا
وأنت فى حضرات القدس تنقلنى
ما أقبح العبد أن ينسى وتذكره
غفرانك الله من جهل بليت به
منى على حجاب لست أرفعه
فعد على بما عودت من كرم

كل يقول إذا استنطقته الله
وباسمك الله مجراه ومرساه
حتى تشيد بالأفلاك مبناه
وكلها ساجد لله مولاه
وأوسع قبل الكون نعماه
من أين أطلعت الأفلاك لولاه
والخلق أجمع فى ذا البحر قد تاهوا
بحر السماء وبحر الأرض أشباه
تبارك الله لا تحصى عطاياه
فى سابق العلم قد خطت قضاياه
أرجو ولا ذنب قد أذنبت أخشاه
حتى استقر بهذا الكون مثواه
وأنت باللطف والإحسان ترعاه
فيمن أفاد وجودى كيف أنساه
إلا بتوفيق هدى منك ترضاه
فأنت أكرم من أملت رحماه

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ١٧١ .

ثم الصلاة صلاة الله دائمة
 المجتبي وزناد النور ما قدحت
 والمصطفى وكمام الكون ما فتقت
 ولا تفجر نهر للنهار على
 يا فاتح الرسل أو يا ختمها شرفا
 لم أذكر غير حب فيك أرفعه
 صلى عليك إله أنت صفوته
 وعم بالروح والريحان صحبته
 وخص أنصاره الأعلين صفوته
 أنصار ملته أعلام بيعته
 وأيد الله من أحيا جهادهم
 المنتقى من صمم الفخر جوهره
 والعلم والحلم والإقبال شيمته

وهي طويلة، سردها هذا المؤلف كلها، ومنها:

يهنئ زمانك أعياد مجددة
 غضبت للدين والدنيا بحقهما
 فوقت للغرب سهما راشه قدر
 سهم أصاب وراميه بذى سلم
 من الفتح مدى الأيام تغشاه
 يا حبذا غضب في الله أراضاه
 وسدد الله للأعداء مرماه
 لقد رمى الغرض الأقصى فأصماه

من كان بندك يا مولاي يقدمه
 من كان جندك جند الله ينصره
 ملكته غَرَبَهُ خلدت من ملك
 وسام أعداءك الأشقيين ما كسبوا
 قل للذي رمدت جهلا بصيرته
 غطى الهوى عقله حتى إذا ظهرت
 هل عنده وذنوب الغدر توبقه
 لو كان يشكر ما أوليت من نعم
 سل السعود وخل البيض مغمدة
 واشرع من البرق نصلا راع مصلته
 فالعدوتان وما قد ضم ملكهما
 لا أوحش الله قطرا أنت مالكة
 لا أظلم الله أفقا أنت نيره
 وأهنا بشهر الصيام جاء رائده
 أهل بالسعد فانهلت به من
 أما ترى بركات الأرض شاملة
 وعادك العيد تستحلى موارده
 جهزت جيش دعاء فيه ترفعه
 فليس يخلفه فتح ترجاه
 أناله الله ما يرجو وأسناه
 للغرب والشرق منه ما تمناه
 ومن ترى رداء الغدر أرداه
 فلم تر الشمس شمس الهدى عيناه
 له المرشد أعشاه وأعماه
 أن الذي قد كساه العز أعراه
 ما زلت ملجأ الأحمى ومنجاة
 فالسيف مهما مضى فالسعد أمضاه
 وارفع من الصبح بندا راق مجلاه
 أنصار ملكك صان الله عليه
 وأنس الله بالألطف مغناه
 لا أهمل الله سرحا أنت ترعاه
 مستنزلا من إله العرش رحماه
 وأوسع الصنع إجمالا ووفاه
 وأنعم الله قد عمت براياه
 ويجزل الأجر والرحمى مصلاه
 لذى المعارج والإخلاص رقا

أفضت فيه من النعماء أجزلها وأحسن البر ما الإحسان زكاه
واليت للخلق ما أوليت من نعم والى لك الله ما أولى ووالاه
ثم قال بعد سرد عدة قصائد: ومن بدائعه المنيفة عيدية ميلادية، وافقتها
وجهته من غزوات مولانا الجد أيضاً:

لو كنت أعطى من لقاءك سولا لم أجد برق الغمام رسولا
أو كنت أبلغ من قبورك مأملى لم أودع الشكوى صبا وقبولا
لكن معتل النسيم إذا سرى ما زال يوسع ذا الهوى تعليلا
وبملتقى الأرواح دوحه أيكه جاذبتها عند الهبوب ميلا
عهدي بها سدلت على ظلالها فسدلت ظلا للشباب ظليلا
رتعت به حولى الأطباء أوانسا فنعمت فيه معرسا ومقيلا
وصقلت للحسنة صفح مودتى لما اجتليت العارض المصقولا
ثم انتشيت وقد تعاطيت الهوى ريمما أغر وجؤذرا مكحولا
كم فيه من ملح لمرتاد الهوى تركت فؤاد محبه متبولا
لم ترو لى عيناه حكمة بابل إلا أخذت حديثها مقبولا
ولقد أجد جواى لما زرتة رسما كحاشية الرداء محيلا
قد أنكرته العين إلا لمحة عرفت به آثاره تخييلا
وإذا الطلول تعرضت لمتيم غادرن دمع جفونه مطلولا
من ينجد الصبر الجميل فانه بعد الأحبة قد أجد رحيلا

كيف التجل ببعدهم وأنا الذى
من عاذرى والقلب أول عاذل
اتبعت فى دين الصبابة أمة
يا مورداً حامت عليه قلوبنا
ما ضر من رقت غلائله ضحى
كم ذا أعلل بالحدیث وبالمنى
أعدیت وصلة الهدیل بسحرة
وسریت فى طى النسیم لعلنى
هذا ووجدى مثل وجدى عندما اسـ
قد سدودا الأنضاء ثم تتابعوا
مثل القسى ضوامر قد أرسلت
مترنحين على الرحال كأنما
إن يلتبس علم الطريق عليهم
يا راحلين وما تحمل ركبهم
ناشدتكم عهد المودة بيننا
مهما وصلتم خير من وطئ الثرى
يا ليت شعرى هل أعرس ليلة
أو ترونى يوماً مياه مجنة

أنسیت قيسا فى الهوى وجميلا
فيمن أفند لائماً وعذولا
ما بدلوا فى حبهم تبديلا
لو نيل لم تجر المدامع نيلا
لو بات ينقع للمحب غليلا
قلبا كما شاء الغرام عليلا
شجوا وجانحة الأصيل نحولا
أحتل حيا بالعقيق حلولا
تشعرت من ركب الحجاز رحىلا
يتلو رعىل فى الفلاة رعىلا
يذرعن عرض البید ميلاً ميلا
عاطين من فرط الكلال شمولاً
جعلوا التشوق للرسول دليلاً
إلاً قلوب العاشقين حمولاً
والعهد فينا لم يزل مسئولاً
أن توسعوا ذاك الثرى تقبيلاً
فأشم حولى إذخرا وجليلاً
ويشيم طرفى شامة وطفيلاً

وأحط فى مثوى الرسول ركائبى
بمنزل الوحي التى قد شرفت
بمعاهد الإيمان والدين التى
ومهاجر الدين الخفيف وأهله
دار الرسول ومطلع القمر الذى
يا حبذى تلك المعالم والربا
حيث النبوة قد جلت آفاقها
حيث الرسالة فصلت أحكامها
حيث الشريعة قد رست أركانها
حيث الهدى والدين والحق الذى
حيث الضريح يضم أكرم مرسل
إنَّ الإله اختارها لمقامه
رحم الإله العالمين ببعثه
بدعائه انقشع الغمام وقبلها
والشمس قد ردت له ولطالما
لم لا يطاوعه الوجود وقد غدا
يا نكتة الأكوان يا علم الهدى
لولاك لم يك للكيان حقيقة

وأبيت للحرم الشريف نزىلا
قد شافهت أعلامها التنزيلا
قد صافحت عرصاتها جبريلا
حيث استقر به الأمان دخيلا
إبداءه ما فارق التكميلا
يا حبذا تلك الطلول طولولا
وجهها من الحق المبين جميلا
لتبين التحريم والتحليلا
فالنص منها يعضد التأويلا
محق الضلال وأذهب التضليلا
وأجل خلق الله جيلاً جيلاً
واختاره للعالمين رسولاً
فيهم وفضل جنسه تفضيلاً
والت بدعوته الغمام همولا
قد ظللته سحابها تظليلاً
من نوره فى خلقه معلولا
آيات فضلك رتل ترتيلاً
ولكان باب وجودها مقفولا

لولاك للزهر الكواكب لم تلح
لولاك لم تجعل السماء شمسها
لولاك ما عبد الإله وما غدا
يا رحمة الله التي ألطفها
يا حجة الله التي برهانها
كم آيه لك قد صدعت بنورها
أوضحتها كالشمس عند طلوعها
وأئتت بالذكر الحكيم مبينا
أثنى عليك بكتبه من أنزل الـ
فإذا البليغ يروم مدحك جاهدا
يا شافع الرسل الكرام ومن به
رفقا بمن ملك القضاء زمامه
وحسرتا ضيعت عمرى فى الهوى
وجريت فى طلق البطالة جماحا
وعثرت فى طلب المفاز جهالة
يا صفوة الله الأمين لوحيه
والله مالى للخلاص وسيلة
إن كنت ما أعددت زادا نافعا
مثل الأزاهر ما عرفن ذبولا
ولكان سجع ظلالها مسبولا
ربع الجنان بأهله مأهولا
سحبت علينا للقبول ذبولا
ما كان يوما صدقه مجهولا
ليل الضلال وإفكه المنحولا
وعقلت عن إدراكهن عقولا
قد فصلت آياته تفصيلا
قرآن والتوراة والإنجيلا
أضحى حسام لسانه مفلولا
يرجون فى يوم الحساب قبولا
فغداً بقيد ذنوبه معقولا
والتوب أضحى دينه ممطولا
حتى انثنى طرف الشباب كليلا
لكن وجدتك للعثار مقيلا
من أم جاهك أحرز التأميلا
إلا رضاك وعفوك المأمولا
أعددت حبك شافعا مقبولا

صلى عليك الله ما ركب سرى
 وأعز من ولاه أمر عباده
 وأقام مفروض الجهاد بعزيمةٍ
 والله ما أدرى وقد حضر الوغى
 ملك إذا لثم الوجود يمينه
 أو يخلف الناس الغمام وامحلوا
 من دوحه نصرية يمنية
 فإذا سألت الكتب نقل فضيلة
 يأيها الملك الذى أيامه
 والله ما آثار هديك عندنا
 لم يعرف التركيب سيفك فى الوغى
 كم صورةٍ لك فى الفتوح وسورة
 لم تسر سارية الرياح بطيبة
 وكأنَّ صفح البرق سيفك ظل من
 كم بلدة للكفر قد عوضت من
 صدقت مقدمة الجيوش فصيرت
 كسروا تماثيل الصليب ومثلوا
 لما أحطت بها وحن دمارها
 فأجد وخذاً فى المفازة ميلا
 فحباهم إحسانه الموصولا
 تركت بأفئدة العداة فلولا
 أحسامه أم عزمه مصقولا
 فالبحر عذبا والرياض بليلا
 فنداه لا يخشى العفاة محولا
 وشجت فروعا فى العلا وأصولا
 لم تلف إلا فخرها منقولا
 وضحت بأوجه طردهن محولا
 إلا نجوم ما عرفن أفولا
 فاعجب له قد أحكم التحليلا
 تجلى وتلى بكرة وأصيلا
 إلا لتحمل ذكرك المعسولا
 غمد الغمامة مرهفا مسلولا
 ناقوسها التكبير والتهليلا
 من حينها موضوعها محمولا
 بمن انتمى لولائه تمثيلا
 أخرجت مترفا الأعز ذليلا

تجرى الدموع وما تبل غليله
سلت يمين الملك منك على العدا
لم يرض سيفك أن يحلى جوهرًا
لم ترض همتك القليل من التقى
فأقمت ميلاد الرسول بليلةٍ
حيث القباب البيض جللت الربا
مواقد النيران تذكى حولها
والأفق فوقك قبة محبوكة
ورمى إليك ببدره ونجومه
حيث الكتاب قد تلاطم موجهها
زخرت بأمواج الحديد وربما
يتجاوب التكبير فى جناتها
حملت من الأبطال كل مشمرٍ
آساد ملحمة إذا اشتجر الوغى
إن شمروا يوم الحروب ذيولهم
أو قصرُوا يوم الطعان رماحهم
يا ليلة ظفرت يداى بأجرها
والله لو عوضت عنك شيبتي
فمصفد ييكى هناك قتيلا
عضبا مهيب الشفرتين صقيلا
حتى يحلى عسجدًا مخلولا
حتى أتت بالصالحات قبيلا
أوضحت فيها للجهاد سبيلا
أزهار روض ما اكتسبن ذبولا
فينير مشعلها ربًا وسهولا
مدت عليك طرفها المسدولا
يهديك منه التاج والإكليلا
وتدفقت فيها الخيول سيولا
ضاق الفضاء فما وجدن مسيلا
فتعيد غر الجياد صهيلا
لا يقتنى سمر القنا ونصولا
دخلوا من الأسل المثقف غيلا
سحبوا من الزرد المفاض ذيولا
وصلوا بها الخطو الوساع طويلا
وسهرت فيها بالرضا مشمولا
ما كنت أرضى بالشباب بديلا

يا ناصر الإسلام يا ملك العلا الله يؤتيك الجزاء جزىلا
 جهز جيوشك للجهاد موفقا وكفى بربك كافيا وكفيلا
 وللتعبد الغارات فى أرض العدا والله حسبك ناصرا ووكيلا
 وإليك من سمر الجهاد غريبة جاءتك تقرضك الثناء جميلا
 وأطلت لكنى أطبت وعادتى ألفى مخيبا فى المديح مطيلا
 لا زال نصرك كلما استنجدته لهم دينك عائدا موصولا
 ثم قال بعد ذكر جملة من قصائد:

ومن ذلك وقد عاد من وجهة للصيد أعملها، وأعنة للجياد فى ميادين
 ذلك الطراد أرسلها، ما أنشده^(١):

حياك يا دار الهوى من دار نوء السماك بديعة مدرار
 وأعاذ وجه رباك طلقا مشرقا متضاحكا بماسم النوار
 أمذكرى دار الصبابة والهوى حيث الشباب يروق حسن نضار
 عاطيتنى عنها الحديث كأنما عاطيتنى منها كئوس عقار
 إليه وإن أذ كيت نار صبابتى وقدحت زند الشوق بالتذكار
 يا زاجر الأظعان وهى مشوقة أشبهتها فى زفرة وأوار
 حنت إلى نجد وليست دارها وصبت إلى هندية والقار
 لكنها شامت به برق الحمى واعتادها طيف الكرى بمزار

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٥٤ .

هل تبلغ الحاجات إن حملتها
 عرض بذكرى فى الخيام وقل إذا
 [عار]^(١) بقومك يا بنة الحيين أن
 أَمْنَعَتِ ميسور الكلام أخوا الهوى
 وأبان جارى الدمع عذر هيامه
 هذا وقومك - ما علمت خلالهم -
 الله فى نفس شعاع كلما
 بالله يا لمياء ما منع الصبا
 يا بنت من تشدو الحداة بذكره
 ما ضر نسمة حاجر لو أنها
 هل بآنهُ من بعدنا متأود
 وهل الظباء الأنسات كعهدها
 يفتكن من قاماتها ولحاظها
 أشعرت قلبى حبهن صبا
 وعلى الكثيب سوانح حمر الحلى
 أدنى الحجيج مزارهن ثلاثة
 لكن يوم النفر جدن لنا بما
 إن الوفاء سجية الأحرار
 جئت العقيق مبلغ الأوطار
 تلوى الديون وأنت ذات يسار
 وبخلت حتى بالخيال السارى؟
 لكن أضعت حقوق داك الجار
 أوفى الكرام بذمة وجوار
 هب النسيم تطير كل مطار
 إلا تهب بعرفك المعطار
 متعللين به على الأكوار
 أهدت لنا خبراً من الأخبار
 متجاوب مترنم الأطيّار
 يَصْرَعُنْ أسد الغاب وهى ضواري
 بالمشرفية والقنا الخطّار
 فرميننى من لوعتى بجمار
 بيض الوجوه يصدن بالأفكار
 بمنى لَوَ أن ديار قــــرار
 عودننا من جفوة ونفار

(١) التكملة من نفع الطيب ج ٧ ص ١٥٥ .

يا بن الالى قد أحرزوا فضل العلا
وتنوب عن صوب الغمام أكفهم
من آل سعد رافعى علم الهدى
أصبحت وارث مجدهم وفخارهم
وجه كما حسر الصباح نقابه
جردت دون الدين عزمة أروع
حطت البلاد ومن حوته ثغورها
لله رحلتك التى نلنا بها
أوردتنا فيها لجودك موردا
وأفضت فينا من نذاك مواهبا
أضحكت ثغر الثغر لما جئته
حتى الفلاة تقيم يوم وردتها
وسرت عقاب الجو تهديك الذى
والأرض تعلم أنك الغوث الذى
ولرب ممتد الأباطح موحش
همل المسارح لا يراع قنيصه
سرحت عنان الريح فيه وربما
باركته والأفق قد خلع الدجى
وسموا بطيب أرومة ونجار
وتنوب أوجههم عن الأقمار
المصطفين لنصرة المختار
ومشرف الإعصار والأمصار
ويد تند أناملا ببهار
جددت منها سنة الأنصار
وكفى بسعدك حاميا لذار
أجر الجهاد ونزهة الأبصار
مستعذب الإيراد والإصدار
حسنت مواقعها على التكرار
وخصصته بخصائص الإيثار
سنن القرى بثلاثة الأتوار
تصطاد من وحش ومن أطيّار
تضفى عليها وافي الأستار
عالى الربا متباعد الأقطار
إلا لنبأة فارس مغوار
ألقيت بساحته عصا التسيار
مسحا ليلبس خلعة الإسفار

وجرى به نهر النهار كمثل ما
 عرضت به المستنفرات كأنها
 أتبعها غرر الجياد كواكبا
 والهاديات يومها عبل الشوى
 أزجيتها شقراء رائقة الحلوى
 أثبت فيه الرمح ثم تركته
 حامت عليه الذابلات كأنها
 طفقت أرانبه غداة أثرتها
 هل ينفع الباع الطويل وقد غدت
 من كل منحفر بلمحة بارق
 [وجوارح سبقت إليه طلابها
 سود وبيض فى الطرد تتابعت
 ترمى بها وهى الحنايا ضمرا
 ظنت بأن ينجو لها كلا ولو^(٢)
 وبكل فتحاء الجناح إذا ارتمت
 زجل الجناح مصفق كمن الردى
 أجلى الطريد من الوحوش وإن رمى
 سكب النديم سلافة من قار
 خيل عراب جلن فى مضمار
 تنقض رجما فى سماء غبار
 متدفق كتدفق التيار
 فرميته منها بشعلة نار
 خضب الجوانح بالدم الموار
 طير أوت منه إلى أوكار
 تبغى الفرار ولات حين فرار
 يوم الطراد قصيرة الأعمار
 فأت خطاه مدارك الأبصار
 فكأنما طالبنه بالثأر
 كالليل طارده بياض نهار^(١)
 مثل السهام نزعن عن أوتار
 أغريته بأرانب الأعمار
 فكأنها نجم السماء السارى
 فى مقلب منه وفى منقار
 طيرا أذاك به على مقدار

(١) التكملة عن نفح الطيب ج ٧ ص ١٥٧ .

(٢) فى سائر الأصول: «ظنت بأن تنجو بها» والمثبت رواية نفح الطيب .

وأريتنا الكسب الذى أعـداده
 ملأت جمالا أعين النظار
 بيض وصفـر خلت مطـرح سرحها
 روضا عن شقيق بهار
 من كل موشى الأديم مفوف
 رقمت بدائعـه يد الأقدار
 خلط البياض بصفوة فى لونه
 فترى اللجين يشوب ذوب نضار
 أو أشعل راق العيون كأنه
 غلس يخالط سدفـة بنهار
 سـرحت بمخـصر الجوانب يانع
 تنساب فيه أراقـم الأنهار
 قد أرضعته الساريات لبانها
 وحلنـن فيه أزرّة النّوّار
 أخذت سعودك حذرـها فلحكمة
 أغرت جفون المزن باستعبار
 لما أرتك الشمس صفرة حاسد
 لجبينك المتألق الأنوار
 نفثت عليك السحب نفث معوذ
 من عينها المتوقع الأضرار
 فارفع لواء الفخر غير مدافع
 واسحب ذيول العسكر الجرار
 وأهناً بمقدمك السعيد مخولا
 ما شئت من عز ومن أنصار
 قد جئت دارك محسنا ومؤملا
 متعت بالحسنى وعقبى الدار
 وإليـكها من روض فكري نفحة
 شف الشئاء بها على الأزهار
 ثم قال: ومن ذلك ما أنشده، رضى الله عنه، فى رحلة ركاب المجاهد
 إلى ألمرية بالقصر الصمادحى فى حدود عشر سنين وسبع مئة:

ما للحمول تحن للأطلال
 ويشوقها ذكر الزمان الخالى
 يثنى أزمة هيمها شوق إلى
 ظل الأراك وأزرق سلسال

ذكرت بها الحى الجميع كعهدها
 والدار حالية المعاطف والربا
 أيان ما لعبت بها أيدي النوى
 وجرت بسدتها الحداة كأنها
 دعنى أطارحها الحنين فلإننى
 وهى المنازل أشبهت سكانها
 بليت محاسنها وخف أنيسها
 ولقد أقول وما يعنف ذو الهوى
 أحشى تذوب صباة ومدامع
 ووراء مطلع الخدور جاذر
 يا ساكنى نجد وما نجد سوى
 ما للضباء الأنسات بربعكم
 أو للرياح تهب وهى بليلة
 هى شيمة عذرية عودتها
 يا بنت من غمر العفاة نواله
 فلكم بعثت مع النسيم تحيتى
 بالله يا ريح النعامى جررى
 وإذا مررت على الكثيب برامة
 والربع منها أخضر السربال
 ومرادها بالروضة المخضال
 وتراهننت فى الحال والترحال
 قطع السفائن خضن بحر ليال
 لا أثنى لمقالة العذال
 أعمارها تفضى إلى الآجال
 والشوق والتذكار ليس ببالى
 ذهب الغرام بحيلة المحتال
 تغرى جفون المزن باستهلال
 تجلى شموسا فى غمام حجال
 نادى الهوى ومخيم الآمال
 عطلا وهن من الجمال خوالى
 فتهيج من وجدى ومن بلبالى
 قلبا شعاعا ما يرى بالسالى
 هلا سمحت ولو بطيف خيالى
 عودت سارى البرق من أرسالى
 فوق الخزامى عاطر الأذيال
 صافح محيا الروضة المخضال

فيها المعاهد قد طلعت بأفقهها
 أمذكرى عهد الشبيبة جاده
 عاطيتنى عنه الحديث كأنما
 هذا على أنى نزعته عن الصبا
 حسبى وقارا فى الندى إذا احتبى
 أنى ألوذ بدولة نصيرية
 حيث الوجوه صبيحة والمكرما
 حيث المكارم سنهأ أعلامها
 بيض الأيادى والوجوه أعزة
 هم آل نصر ناصروا دين الهدى
 ما شئت من مجد قديم شاده
 ما منهم إلا أغر محجل
 متبسم واليوم أكلح عابس
 قد عودا النصر العزيز وخولوا الـ
 بذلوا لدى الهيجاء كرائم أنفس
 يأيها الملك الهمام المجتبى
 أصبحت وارث مجدهم وفخارهم
 وطلعت فى أفق الخلافة نيرا
 زمنا ولم أجنح لوقت زوال
 صوب العهد بواكف هطال
 عاطيتنى منه ابنة الجريال
 وصرمت من حب الحسان حبالى
 وتجاوزوا فى الفخر كل مجال
 حليت محاسنها بكل كمال
 ت صريحة والعز غير مزال
 من كل فياض الندى مفضال
 قد شيدوا العليا بسم عوالى
 والمصطفون لخيرة الأرسال
 أبناء قيلة أشرف الأقيال
 يلقي العظام وهو غير مبالى
 والحرب تدعو بالكمأة نزال
 ففتح المبين بملتقى الأبطال
 قد أرخصت فى الله وهى غوالى
 ومنيل دين الله خير منال
 ومشرف الأمصار والأبطال
 تجلو ظلام الظلم والإضلال

فقت الملوك جلاله وبسالة
أعدت محاسنك المحاسن كلها
فالشمس تأخذ من جبينك نورها
والريح تحمل عن ثنائك طيبها
والغيث إلا من نذاك مبخل
تعطى الذى لا فوقه لمؤمل
طاولت علوى النجوم بهمة
وبلغت من رتب السعادة مبلغا
وقياس سعدك فى مرامك كله
لمن الجياد الصافنات كأنها
من كل ملموم القوى عبل الشوى
لمن القباب الحمر ترشح للندى
لمن الخيام البيض تحسب أنها
منداحة الأرجاء عالية الذرى
هو مظهر الملك العلى ومطلع النـ
آثار مولانا الإمام محمّد
لله وجهتك التى نلنا بها
ما شئت من حسن يفوق كماله

وشأوتهم فى الحلم والإجمال
فجمالها يزرى بكل جمال
والروض ينفح عن كريم خلال
فى ملتقاها من صبا وشمال
فالغيث يقلع والندى متوالى
وتجود بالإحسان قبل سؤال
لا فاقدا عزا ولا مكسال
أبعدت فيه مرتقاك العالى
يقضى مقدمه بصدق التالى
فى الورد أسراب القطا الأرسال
مرخى العنان محفز جوال
فتفيض للعافين فيض سجال
زهر الكواكب أطلعت بحلال
فكأنها فى الوهد شم جبال
حور الجلى بمرقب متعالى
بدر الهدى لا زال حلف كمال
أجر الجهاد وبغيه الآمال
ويروق منظره الجميل الحالى

كم من عجائب جمّة أظهرتها
أمت وفود الناس منك مملّكا
جاءوا موافيت اللقاء كأنهم
لله عيناً من رأى ملك العلا
فى موكب لبسوا الخلوص شعاره
بلغوا به العدد الكثير وكلهم
يهنى المرية نعمة سوغتها
قدست واديهها وزرت خلالها
وكسوتها برد الشباب مفوّفا
مولاي لا أحصى ثناك إنّّه
أعليت فى أفق العناية مظهرى
ظفرت يداى بكل ما أملته
لم تبق لى أملا وما بلغتّه

ثم قال بعد ذكر بعض العيديات: ومن ذلك^(١):

بشرى كما وضح الصباح وأجمل
أبدى لها وجه النهار طلاقة
ومنابر الإسلام يا ملك الورى
يعشى سناها كل من يتأمل
وافتر من ثغر الأقاح مقبل
بحلاك أو بحليها تتكمل

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٠٦.

تجول لنا الأكوان منك محاسناً
فالشمس تأخذ من جبينك نورها
والروض ينفح عن ثنائك طيبه
والبرق سيف من سيوفك منتضى
يأيّها الملك الذى أوصافه
الله أعطاك التى لا فوقها
وجه كما حسر الصباح نقابه
تلقاه فى يوم السماحة والوغى
كف أبت ألا تكف عن الندى
وشمائل كالروض باكره الحيا
خلق ابن نصر فى الجمال كخلقه
نور على نور بأبهى منظر
فاق الملوك بسيفه وبسيبه
وإذا تطاول للفخار عميدهم
يا آية الله التى أنوارها
قل للذى التبت معالم رشده
قد ناصح الإسلام خير خليفة
فلقد ظهرت من الكمال بمستوى
وعناية الله اشتملت رداءها
تروى على مر الزمان وتنقل
والبشر منك بوجهها يتهلل
والروق فيه بالمادح تهدل
والسحب تمهى من يديك وتهمل
در على جيد الزمان مفصل
وحباك بالفضل الذى لا يجهل
لضيائه تعشو البدور الكمل
والبشر فى وجناته يتهلل
أبدًا فإنّ ضمن الحيا تسترسل
وسرت برياه الصبا والشمأل
ما بعده من غايةٍ تستكمل
فى حسنه لمؤمل ما يأمل
فبعده وبفضله يتمثل
فله عليه تطاول وتطاول
يهدى بها قصد الرشاد الضلل
هيهات قد وضع الطريق الأمثل
وحمى عرين الملك أغلب مشبل
ما بعده لذوى الخلافة مأمل
وعلقت منها عروة لا تنفصل

فالجودة إلا من يديك مقتر
والعمر إلا تحت ظلك ضائع
حيث الجهاد قد اعتلت راياته
حيث القباب الحمر ترفع للقري
يا حجة الله التي برهانها
قل للذي ناوأك يرقب يومه
والله جل جلاله إن أمهلت
يا ناصر الإسلام وهو فريسة
يا فخر أندلس وعصمة أهلها
لا يهمل الله الذين رعيته
لا يبعد النصر العزيز فإنه
لولا نداك لها لما نفع الندى
لولاك كان الدين يغمط حقه
لكن جنيت الفتح من شجر القنا
فلطالما استفتحت كل ممنع
ومتى نزلت بمقل متأشب
وإذا غزو فإن سعدك ضامن
فمن السعود أمام جيشك موكب
والغيث إلا من نداك مبخل
والعيش إلا فى جنابك محل
حيث المغانم للعفاة تنفل
قد قام فى أرجائهن المندل
عزز المحق به وذل المبطل
فوراه ملك يقول ويفعل
أحكامه مستدرجاً لا تهمل
أسد العدا من حولها تتسلل
لك فيهم النعمى التى لا تجهل
فلأنت أكفى والعناية أكفل
أوى إليك وأنت نعم الموئل
ولجف من ورد الصنائع منهل
ولكان دين النصر فيه يمطل
وجنى الفتوح لمن عداك معلل
من دونه باب المطامع مقفل
فالعصم من شعفاته تستنزل
ألا تخيب وأن قصدك يكمل
ومن خلال دون جندك جحفل

وكتيبة أردفتها بكتيبة
من كل مُنَحَفِزٍ كلمحة بارقٍ
أوفى بهاد كالظلم وخلفه
حتى إذا ملك الكمي عنانه
حملت أسود كريمة يوم الوغى
لبسوا الدروع غدائرا مصقولة
من كل معتدل القوام مثقفٍ
أذكيت فيه شعلة من نصله
ولرب لماع الصقال مشهر
رقت مضاربه وراق فرنده
فإذا الحروب تسعرت أجزالها
وإذا دجا ليل القتام رأيتـه
فاعجب لها من جذوة لا تنطفى
هى سنة أحييتها وفريضة
فإذا الملوك تفاخرت بجهادها
يابن الذين جمالهم ونوالهم
يابن الإمام ابن الإمام
آباؤك الأنصار تلك شعارهم
والخيل تمرح فى الحديد وترفل
بالبدر يسرج والأهلة ينعل
كفل كما ماج الكتيب الأهيل
يهوى كما يهوى بجو أجدل
ما غابها إلا الوشيح الذبل
والسمر قضب فوقها تتهدل
لكنه دون الضريبة يعسل
يهدى بها إنَّ ضل عنه المقتل
ماضٍ ولكن فعله مستقبل
فالحسن فيه مجمل ومفضل
ينساب فى يمينك منه جدول
وكأنه فيه ذبال مشعل
فى أبحر زخرت وهن الأمل
أذيتها قرباتها تتقبل
فلأنت أحفى بالجهاد وأحفل
شمس الضحى والعارض المتهلل
م ابن الإمام وقدرها لا يجهل
فلحيهم آوى النبى المرسل

فهم الألى نصرُوا الهدى بعزائمٍ مصقولةٍ وبصائرٍ لا تخذل
 ماذا يجبر شاعر فى مدحهم وبفضلهم أثنى الكتاب المنزل
 مولاي لا أحصى مآثركَ التى بحديثها تمضى المطى الذلل
 وإذا الحقائق ليس يدركها سيان فيها مكثر ومقلل
 فإليك من شوال غرة وجهه أهداكها يوم أغر محجل
 عذراء راق العيد رونق حسنهما فغدا بنظم حليها يتجمل
 رضعت لبان العلم فى حجر النهى فوفت لها منه ضروع حفل
 سلك البيان لها سبيل إجادة لولا صفاتك كان عنها يعدل
 جاءت تهنى العيد أيمن قادم وافى بشهر صيامه يتوسل
 وطوى الشهور مراحلاً معدودة كيما يرى بفناء جودك ينزل
 وأنى وقد شف النحول هلاله ولشوقه للقاء وجهك ينحل
 عقدت بمرقبه العيون مسرة فمكبر لطلوعه ومهلل
 فاسلم لألفٍ مثله فى غبطة ظل المنى من فوقها يتهدل
 فإذا بقيت لنا فكل سعادة فى الدين والدنيا بها تتكفل

ثم قال بعد إيراد جملة قصائد:

ومن جياذ أناشيده المتميزة بالسبقية، وبارقات تهانيه فى المواسم
 العقيقة، قوله يهنئه، رضوان الله تعالى عليه، بطلوع مولانا الوالد قدسه الله
 تعالى^(١):

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢١٠.

طلع الهلال وأفقه متهلل
 أوفى على وجه الصباح بغرة
 شمس الخلافة قد أمدت نوره
 لله منه هلال سعد طالع
 وألحت يا شمس الهداية كواكباً
 والتاج تاج البدر فى أفق العلا
 ولئن حوى كل الجمال فإنه
 أطلعت يا بدر السماح هلاله
 يبدو بهالات السروج وإنه
 قلدت عطف الملك منه صارماً
 حليلته بحلى الكمال وجوهر الـ
 يغزو أمامك والسعود أمامه
 من مبلغ الأنصار منه بشارة
 أحيا جهادهم وجدد فخرهم
 فبه إلى الأجر الجزيل توصلوا
 من مبلغ الأذواء من يمنٍ وهم
 أنَّ الخلافة فى بنِيهم أطلعت
 من مبلغ قحطان آساد الشرى
 فمكبر لطلوعه ومهلل
 فغدا الصباح بنورها يتجمل
 وبسعدا يرجو التمام ويكمل
 لضيائه تعشو البدور الكمل
 يعيش سناه كل من يتأمل
 ما زال بالزهر النجوم يكلل
 بالشهب أبهى ما يكون وأجمل
 والملك أفق والخلافة منزل
 من نور وجهك فى العلا يستكمل
 بغنائه ومضائه يتمثل
 خلق النفيس وكل خلق يجمل
 وملائك السبع العلا تنزل
 غر البشائر بعدها تسترسل
 بعد المئين فملكهم يتأثل
 وبهم إلى رب السما يتوسل
 قد توجوا وتملكوا وتقيلوا
 قمرأ به سعد الخليفة يكمل
 ما غابها إلا الوشيح الذبل

أَنَّ الخليفة وهو شبل ليوثهم
يهنى بنى الأنصار أَنَّ ملكهم
يعنى البنود فإنها ستظله
يهنى الجياد الصافنات فإنها
يهنى المذاكى والعوالى والطبى
يهنى المعالى والمفاخر أنه
سبقت مقدمة الفتوح قدومه
وبدت نجوم السعد قبل طلوعه
وروت أحاديث الفتوح غرائبها
أَلقت إليك به السعد زمامها
فالفتح بين معجل ومؤجل
أوليس فى شأن المسير دلالة
ناداهم داعى الضلال فأقبلوا
عصوا الرسول إباية وتحكمت
كانوا جبالا قد علت هضابها
كانوا بحارا من حديد زاخر
ركبت أرجلها الأدهم كلما
كان الحديد لباسهم وشعارهم

قد حاط منه الدين ليث مشبل
قد بلغت سعادته ما يأمل
وجناح جبريل الأمين يضل
بفتوحه تحت الفوارس تهدل
فبها إلى نيل المنى يتواصل
فى مرتقى أوج العلا يتوغل
وأذاك وهو الوادع المتمهل
تجلو المطالع قبله لا تأفل
والنصر يملى والبشائر تنقل
فالسعد يمضى ما تقول ويفعل
ينسيك ماضيه الذى يستقبل
أن المقاصد من طلابك تكمل
ودعاهم داعى المنون فجدلوا
فيهم سيوفك بعدها فاستمثلوا
نسفتهم ريح الجلال فزلزلوا
أذكتهم نار الوغى فتسيلوا
يتحركون إلى قيام تصهل
واليوم لم تلبسه إلا الأرجل

الله أعطاك التى لا فوقها
جددت للأنصار حلى جهادهم
من يتحف البيت العتيق وزمزمها
متسابقين إلى مثابة رحمة
سما كأفواج القطا قد ساقها
من كل مرفوع الأكف ضراعة
حتى إذا روت الحديث مسلسلا
عن فتحك الأسنى عن الجيش الذى
أهدتهم السراء نصرة دينهم
وتناقلوا عنك الحديث مسرة
ودعو بنصرك وهو أعظم مفخرا
فاهناً بملكك واعتمد شكرا به
شرفت منه باسم والدك الرضا
أبديت من حسن الصنيع عجائبا
خفقت به أعلامك الحمر التى
هدرت طبول العز تحت ظلالها
ودعوت أشراف البلاد وكلهم
وردوا ورود الهيم أجهدا الزما

فتحا به دين الهدى يتأثل
فالدين والدنيا به تتجمل
والوفد وفد الله فيه ينزل
من كل ما حذب إليه تنسل
ظماً شديداً والمطاف المنهل
والقلب يخفق والمدامع تهمل
بيض الصوارم والرماح العسل
بثيابه أهل الوغى تتمثل
واستبشروا بحديثها وتهللوا
بسماعه واهتز ذاك المحفل
إنَّ الحجيج بنصر ملكك يحفل
لطف الإله وصنعه تتخول
يحيا به منه الكريم المفضل
تروى على مر الزمان وتنقل
يخفوقها النصر العزيز موكل
عنوان فتح إثرها يستعجل
يثنى الجميل وصنع جودك أجمل
فصفا لهم من ورد كفك منهل

وأثرت فيه للطراد فوارسا
من كل وضاح الجبين كأنه
يرد الطراد على أغر محجل
قد عودوا قبض الكماة كأنما
يستتبعون هودجا موشية
قد صورت منها غرائب جمّة
وتضمنت جزل الوقود حمولها
والعاديات إذا تلت فرسانها
لله خيلك إنها لسوابح
من كل برق بالثريا ملجم
أو فى بهاد كالظلم وخلفه
هن البوارق غير أنّ جيادها
من أشهب كالصبح يعلو سرجه
أو أدهم كالليل قلد شهبه
أو أشقر سال انضار بعطفه
أو احمر كالجمر أضرم بأسه
كالخمر أرتع كأسها لندامها
أو أصفر لبس العشى ملاءة
مثل الشموس وجوههم تتهلل
نجم وجنح النقع ليل مسبل
فى سرجه بطل أغر محجل
عقبانها ينقض منها أجدل
من كل بدع فوق ما يتخيل
تنسى عقول الناظرين وتذهل
والنصر فى التحقيق ما هى تحمل
آى القتال صفوفها تترتل
بحر القتام وموجه متهيل
بالبدر يسرح والأهلة ينعل
كفل كما ماج الكثيب الأهيل
عن سبق خيلك يا مؤيد تنكل
صبح به نجم الضلالة يأفل
خاض الصباح فأثبتته الأرجل
وكساه صبغة بهجة لا تنصل
بالركض فى يوم الحفيظة يشعل
وبها حباة غرة تتسيل
وبذيله لليل ذيل مسبل

أجملت فى هذا الصنيع عوائد
أنشأت فيها من نذاك غمائم
فجرت من كفيك عشرة أبحر
من قاس كفك بالغمام فإنه
تسخو الغمام ووجهها متجههم
والسحب تسمح بالمياه وجوده
من قاس بالشمس المنيرة وجهه
من أين للشمس المنيرة منطق
من أين للشمس المنيرة راحة
من قاس بالبدر المنير كماله
من أين للبدر المنير شمائل
من أين للبدر المنير مناقب
يا من إذا نفحت نواسم حمده
يا من إذا لمحت محاسن وجهه
يا من إذا تليت مفاخر قومه
كفل الخلافة منك يا ملك العلا
مأمونها وأمينها ورشيدها
حسب الخلافة أن تكون وليها

الجود فيها مجمل ومفصل
بالفصل تنشأ والسماحة تهمل
تزجى سحاب الجود وهى الأمل
جهل القياس ومثلها لا يجهل
والوجه منه مع الندى يتهلل
ذهب به أهل الغنى تتمول
ألفيته فى حكمه لا يعدل
بيانه در الكلام يفصل
تسخو إذا بخل الزمان المحل
فالبدر ينقص والخليفة يكمل
تسرى برياها الصبا والشمأل
بجهادها تنقص المطى الذلل
فالمسك يعبق طيبه والمندل
تعشو العيون ويهر المتأمل
آى الكتاب بذكرها تنزل
والله جل جلاله بك أكفل
منصورها مهديها المتوكل
ومجيرها من كل من يتخيل

حسب الزمان بأن تكون إمامه فله بذلك عزة لا تهمل
حسب الملوك بأن يكون عميدها ترجو الندى من راحتك وتأمل
حسب المعالي أن تكون عميدها فعليك أطناب المفاخر تسدل
يا حجة الله التي برهانها عزز المحق به وذل المبطل
أنت الإمام ابن الإمام ابن الإما م ابن الإمام وفخرها لا يعدل
علمت حتى لم تدع من جاهل أعطيت حتى لم تدع من يسأل
وعناية الله اشتملت رداءها وعلقت منها عروة لا تفصل
اتصل بهذا البيت جملة أبيات من القصيدة المترجمة في العيديات التي
أولها:

بشرى كما وضع الصباح وأجمل

وحذفناها من هذه اقتصارا للتكرار، وزاد في هذه^(١):

أخذت قلوب الكافرين مهابة فعقولهم من خوفها لا تعقل
حسبوا البروق صوارما مسلولة أرواحهم من بأسها تتسلل
وترى النجوم مناصلا مرهوبة فيفر منها الخائف المتنصل
يابن الألى إجمالها وجمالهم شمس الضحى والعارض المتهلل
مولاي لا أحصى مآثرك التي بجهادها يتوسل المتوسل
أصبحت في ظل امتداحك ساجعا ظل المنى من فوقه يتهدل

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢١٥.

طوقته طوق الحمام أنعمًا فغداً بشرك في المحافل يهدل
فإليك من صون العقول عقلية أهداكها صنع أغر محجل
عذراء راق الصنع رونق حسنها فغدا بنظم حليها يتكلل
خيرتها بين المنى فوجدتها أقصى منها أنها تتقبل
لا زلت شمساً في سماء خلافةٍ وهلاً لك الأسمى يتم ويكمل
ثم قال بعد ذكر جملة من نظمه: ومن رقيق منازعه في بعض نزه
مولانا رضوان الله عليه بالقصر السلطاني من شنيل قوله^(١):

نفسى الفداء لشادن مهما خطر فالقلب من سهم الجفون على خطر
فضح الغزالة والأقاحة والقنا مهما تشنى أو تبسم أو نظر
عجباً لليل ذوائب من شعره والوجه منه عن صباح قد سفر
عجباً لعقد الثغر منه منظمًا والعقد من دمعى عليه قد انتثر
ما رمت أن أجنى الأقاح بثغره إلا قد سل السيوف من الحور
لم أنسه ليل ارتقاب هلاله والقلب من شك الظهور على غرر
بتنا نراقبه بأول ليلةٍ فإذا به قد لاح في نصف الشهر
طالعتة في روضةٍ كخلاله والطيب من هذى وتلك قد اشتهر
وكلاهما ييدى محاسنه جملة ملء المشامم والمسامع والبصر
والكأس تطلع شمسها في خده فتكاد تعشى بالأشعة من نظر

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢١٦.

نورية جبينه وكلاهما
هى شيمة للشيخ فيها نسبة
أفرغت فى جسم الزجاجه روحها
لا تسق غير الروض فضلة كأسها
ما هب خفاق النسيم مع السحر
ناجى القلوب الخافقات كمثله
وروى عن الضحاك عَنْ زهر الربا
وتحملت عنه صحيح حديثه
يا قصر شَيْلٍ وربعك أهل
لله بحرك والصبا قد سردت
والأس حف عذاره من حوله
قبل بثغر الزهر كف خليفة
وافرش حدود الورد تحت نعاله
وانظم غناء الطير فيه مدائحاً
المنتقى من الجوهر الشرف الذى
والمجتبى من عنصر النور الذى
ذو سطوةٍ مهما كفى ذو رحمةٍ
كم سائلٍ للدهر أقسم قائلاً
يجلو ظلام الليل بالوجه الأغر
ما إن يزالا يرعشان من الكبر
فرأيت روح الأنس منها قد بهر
فالعصن فى ذيل الأزاهر قد عثر
إلاً وقد شاق النفوس وقد سحر
ووشى بما تخفى الكمام من الزهر
ما أسند الزهرى عنه عن مطر
رسل النسيم وصدق الخبرُ الخبرُ
والروض منك على الجمال قد اقتصر
منه دروعا تحت أعلام الشجر
عن كل من يهوى العذار قد اعتذر
يغنيك صوب الجود منه عن المطر
واجعل بها لون المضاعف عن خفر
وانثر من الزهر الدراهم والدرر
فى مدحه قد أنزلت آى السور
فى مطلع الهدى المقدس قد ظهر
مهما عفا ذو عفةٍ مهما قدر
والله ما أيامه إلا غرر

مولای سعدك كالمهند فى الوجى
 مولای وجهك والصبح تشابها
 إنَّ الملوك كواكب أخفيتها
 فى كل يوم من زمانك موسم
 فاستقبل الأيام يندى روضها
 قد ذهب منها العشايا ضعف ما
 يا بن الذين إذا تعد خلالهم
 إن أوردوا هيم السيوف غدائراً
 سائل ببدر عنهم بدر الهدى
 واسأل مواقفهم بكل مشاهد
 تجد الثناء بآسهم وجودهم
 فبمثل هديك فلتنر شمس الضحى
 ماذا أقول وكل وصفٍ معجر
 تلك المناقب كالثواقب فى العلا
 إن غاب عبدك عن حماك فإنه
 فاذكره إنَّ الذكر منك سعادة
 ورضاك عنه غاية ما بعدها
 فاشكر صنيع الله فيك فإنه
 لم يبق من رسم الضلال ولم يذر
 وكلاهما فى الخافقين قد اشتهر
 وطلعت وجهك فى مظاهرها قمر
 فى طيه للخلق أعياد كبر
 ويرف والنصر العزيز له ثمر
 قد فضضت منها المحاسن فى السحر
 نفذ الحساب وأعجزت عنها القدر
 مصقولة فلطالما حمدوا الصدر
 فبهم على حزب الضلال قد انتصر
 وافر المغازى فى الصحيح وفى السير
 فى مصحف الحى المنزل مستطر
 وبمثل قومك فليفتخر من فخر
 والقول فيك مع الإطالة مختصر
 من رامها بالحصر أدركه الحصر
 بالقلب فى تلك المشاهد قد حضر
 وبها على كل الأنام قد افتخر
 إلا رضا الله الذى ابتدع البشر
 سبحانه ضمن المزيد لمن شكر

وعليك من روح الإله تحية تهفو إليك مع الأصائل والبكر
ثم قال: ومن أغراضه الوقتية استرسالا مع الطبع البديهي، في الشكر
على ضروب من التحف التي يقتضيها التحفى السلطاني بأولياء خدمته، نبذ
متعددة فيما يظهر؛ فمنها قوله (١):

يا خير من ملك الملوك بجوده	وبفضله قد أشبه الأملاك
والله ما عرف الزمان وأهله	أمنًا ويمنًا دائمًا لولاكا
وافيت أهلى بالرياض عشية	فى روض جاهك تحت ظل رضاكا
فوجدته قد طله صوب الندى	بسحائب تنهل من يمناكا
وسفائن مشحونة ألقى بها	بحر السماح يجيش من نعماكا
رطب من الطلع النضيد كأنها	قد نظمت من حسنهما أسلاكا
من كل ما كان النبى يحبها	وأحبها الأنصار من أولاكا
وبدائع التحف التى قد أطلعت	مثل البدور أنارت الأحلاكا
نطف من النور المبين تجسمت	حتى حسبنا أنهن هداكا
يحلوا على الأفواه طيب مذاقها	لولا التجسد خلتهن سناكا
طافت بها النشأ الصغار كأنها	سرب القطا لما وردن نداكا
نجواهم مهما سمعت كلامهم	ونداهم: مولاي أو مولاكا
أبلغت فى الأبناء عبدك سؤله	لازلت تبلغ فى بنيك مناكا

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢١٨.

يتدارسون من الدعاء صحائفًا كيما يطيل الله فى بقياسكا
فبقيت شمساً فى سماء خلافةٍ وهم البدور أمدهن سناكا
ثم قال: ومنها وقد أهداه - رحمه الله - أطباقاً من حب الملوك^(١):

كتب الإله على العباد محبة لك كان فرض كتابها موقوتا
وأنا الذى شرفته من بينهم حتى جعلت له المحبة قوتا
ما زلت تتحفه بكل ذخيرةٍ حتى لقد أتحفته الياقوتا
والى الملوك قد اعتزى من عزه فغدا له ياقوتها ممقوتا
ومنها فى مثل ذلك:

يا خير من ملك الملوك أهديتنى حبَّ الملوك
فكأنما ياقوتها نظمت لنا نظم السلوك
إنَّ الملوك إذا لجـوا فغـيـاثهم أنْ أمـلوك
وكذا العفـاة إذا شكـوا فـغـناهم أن يسـألوك
فالله يقبل من دعا لعـلاك من أهل السلوك
لا زلت تطلع غـررةً كالشمس فى وقت الدلوك
ومنها وقد أهداه صيداً مما صاده بنوه رضى الله عنه^(٢):

يا خير من ورث السماح عن الألى نصروا الهدى وتبوءوا الإيماناً

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢١٩ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٠٠ .

فى كل يومٍ منك تحفةٍ منعٍ وألى الجميل والجزل الإحسانا
 قد أذكرت دار النعيم عبیده وتضمنت من فضله رضوانا
 تهدى موالیک الذین تفرعوا عن دوح فخرک فى العلا أغصانا
 لجلالک الأعلى قنیصاً أتعبوا فى صیده الأرواح والأبدانا
 فتخصنى منه بأوافر قسمةٍ فسحت لعبدک فى الرضا میدانا
 لله من مولى کریم بالذى تهدى الموالى يتحف العبدانا
 تدعو بنى إلى الغنى بربه یا ربنا أغن الذی أغنانا
 وعلیک من قدس الإله تحية تهديک منه الروح والريحانا
 ومنها وقد أهدها رحمه الله أصنافا من الفواکه (١):

یا من له الوجه الجمیل إذا بدا فاقت محاسنه البدور کمالا
 والمتقى من جوهر الفخر الذی فاق الخلائف عزة وجلالا
 ما أبصرت عینای مثل هدیةٍ أبدت لنا صنع الإله تعالی
 فیها من التفاح کل عجیبةٍ تذکى بريحها صبا وشمالا
 تهدى لنا نهـد الحبيب وخده وترى من الورد الجنى مثالا
 وبها من الأترج شمس أطلعت من کل شطر للعین هلالا
 ويحفها ورق يروق كأنه ورق النضار وقد أجاد نبالا
 لون العشیة ذهبـت صفحاتها رقت وراقت بهجة وجمالا

(١) نفح الطیب ج ٧ ص ٢٢٠.

وبها من النقل الشهي مذكر
لله منها خضرة من خضرة
أذكرتنى العهد القديم ومعهداً
فأردت تجديد العهود وإنما
فأدركت من ذكراك كأس مدامةٍ
فبقيت شمسا فى سماء خلافةٍ
ثم قال : ومنها يوم عاشوراء^(١) :

يأيها المولى الذى بركاته
لك راحة ترجى الغمام بأملٍ
واليوم موسم قربةٍ وعبادةٍ
راعى فيه سنة نبوية
لا زلت عامك كله فى غبطةٍ
ومنها فى بعض قطعه^(٢) :

واليت ما أوليت يا بحر الندى
فإذ يهز لها اللسان حسامه
علمت فرسان الكلام نظامها
والبحر تمتاز السحاب ماءه

عهداً تولى ليته يتولى
تغنى العفاة وتحسب الآمالا
كانت شمس الراح فيه تلالا
كتب المشيب على عذارى لالا
وشربت من حبى لها جريالا
لا يستطيع لها الزمان زوالا

رفعت لواء للندى منشورا
فجرت منها بالنوال بحورا
وغداً ظفرت بأجره عاشورا
يروى الثقات حديثها المشهورا
لقيت منها نصرة وسرورا

ووفق وجهك ما رأيت كهذه
فصفات فخرك قد قضت بنفاذه
كتعلم التلميذ من أستاذه
فتجوده من غيثها برذاذه

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢١ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢١ .

ومنها وقد أهداه باكورا^(١):

يا وارث الأنصار وهى مزية
أهديتنى الباكور وهى بشارة
وولادة لهلال تم طالع
هو أول الأنوار فى أفق الهدى
مولاي صدق الفأل تجربته
ثم قال: ومنها فى جفنة ثريد^(٢):

طعامك من دار النعيم بعثته
بهضبة نعمى قد سمونا لأوجها
وقوراء قد درنا بهالة بدرها
وقد حملت فوق الرءوس لأنها
فما شئت من طعم زكى مُهنًا
فلو أنها قد قدمت لخليفة
وكم لك نعمى على عيمة
فلا زلت يا مولى الملوك مبلغا
فشرفتني من حيث أدرى ولا أدرى
فصدنا بأعلاها الشهى من الطير
كما دارت الزهر النجوم على البدر
هدية مولى حل فى مفرق الفخر
وما شئت من عرف ذكى ومن نشر
لأعظمها قدرا وبالغ فى الشكر
يقول لأدناها الجميل من الذكر
أمانى ترجوها إلى سالف الدهر

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢١.

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٢.

ومنها شكرا عن كتاب^(١):

مولاي يوم الجمعة	سعوده مجتمعه
فانعم صباحا واغتتم	أوقاته المجتمعه
وابشر بصنع عاجل	أعلامه مرتفعه
وانتظر الفتح الذى	يأتيك بالنصر معه
وبيضه وسمره	إلى العداة مشرعه
واللطف مرجو فرد	بفضل ربي مشرعه
فاتحتنى شرفتني	برقعة مُرفَّعه
بل روضة ممطورة	أزهارها منوعه
حديقة قد جدتها	بصوب جود مترعه
وراية منشورة	وآية مستبدعه
كم حكمة لطيفة	فى طيها مستودعه
عقيلة صورتها	من الجمال مبدعه
سقيتنى بفضلها	من فضل كأس مترعه
فقدم وأملاك الورى	على علاك مجمعه

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٢.

ومنها شكرا على خلعة^(١):

يا بدر تم فى السماء خلافة	حفت نجوم السعد هالة قصره
ألبست عبدك من ثيابك ملبسا	قد قصرت عنه مدارك شكره
ورضاك عنه خير ما ألبسته	فلقد أشاد بجاهه وبيره
ألبستنى أركبتنى شرفتنى	أهديتنى ما لا أقوم بحصره
نظرى لوجهك وهو أجمل نير	يزرى على شمس الزمان وبدره
أعلى وأعظم منه لا سيما	وأنا المنعم فى الحضور ببشره
لا زلت مولى للملوك مؤملا	وعلاك للإسلام مفخر دهره
ثم قال: ومنها وقد خلع - رضوان الله عليه - على رسول من	
أرساله ^(٢) :	

أبحر سماح مدّ عشرة أبحر	تفيض غمام الجود وهى الأنامل
بكفك غيث للبلاد وأهلها	يروض محل الأرض والعام ماحل
لك الخير إن أصبحت بحر سماحة	يعم نداه فالمواهب ساحل
خلعت على هذا الرسول ملبسا	بها تتسنى فى علاك المآمل
وبلغته آماله كيف شاءها	فبلغت يا مولاي ما أنت آمل

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٣ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٣ .

ثم قال بعد إيراد عدة مقطوعات وقصائد من نمط ما سبق:

وأنشده وقد مرض بعض أبنائه - رحمة الله عليه وعليهم - سائلا عن حاله^(١):

أسائل بدر التم كيف هلاله وأدعو له الرحمن جل جلاله
وأسأله تعجيل راحته التي وسيلتنا فيها النبي وآله
ستبلغ فيه ما تؤمل من منى ويرضيك يا بدر الكمال كماله
وفى مثله يقول رحمه الله^(٢):

أقول لبدر التم كيف هلالكا نعمت صباحا بالسرور وآلكا
وبلغت فى النجل السعيد سعادة تقربها عينا وينعم بالكا
وخصصت بالبشرى من الله ربنا كما عم أقطار الجهات نوالكا
وفى التورية باسم قائد مولاه مولانا رضى الله عنه على جماعة من
الجنـد^(٣):

يأيها المولى الذى أيامه تهمنى بسحب الجود من آلائه
أبشر لجيشك بالسعادة كلما يغزو فنصر الله تحت لوائه
وأنشده رضى الله عنه فى ملبس اتخذـه^(٤):

أمولاي يا بن السابقين إلى العلا ومن نصروا الدين الحنيفي أولا

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٤.

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٤.

(٣) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٤.

(٤) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٤.

غنيت بنور الله من كل زينة
 وقارك زاد الملك عزا وهيبة
 ويا شمس هدى فى سماء خلافة
 تبارك من أبداك فى كل ظهر
 فيخجل منك الشمس شمس هداية
 إذا أنت ألبست الزمان وأهله
 وطوقت أجياد الملوك أياديا
 فما شئت فالبس فالمشاهد قائل:
 ألا كل من صلى وضحى ومن دعا
 وجودك شرط فى حصول قبوله
 وقال برسم ما يرسم على ثوب فى بعض هدايا مولانا رحمه الله
 للسلطان أبى العباس^(١):

أهدي أبا العباس
 ثوب السماء لأنه
 فلق الصباح بوجهه
 يكسو إماما لم يزل
 فياله من مرتاد
 ملك الندى والباس
 بدر بدا للناس
 عوذته بالناس
 بحلى المحامد كاس
 ثوب التقى لباس

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٥.

أذْيَاله من حمده مسكية الأنفاس
 وبطرزه مدح زرى بالمدح فى القرطاس
 إن كنت فى لون السما ء بنسبة وقياس
 فالأنت يا بدر العلا شرفتني بلباس
 أنا منشد «ما فى وقو فك ساعة من باس»
 لترى رياضاً أطلعت زهرا على أجناس
 أوراقها توريقها بقضيبها المياس
 ومن المديح مدامتى ومن المحابر كاسى
 فالله يُمتع لابسى بالبشر والإيناس
 وفى مثل ذلك قوله رحمه الله^(١):

إنَّ الإمام محمداً أهدى الخليفة أحمداً
 [للباسه ثوبا وقد لبس المحامد وارتدى]^(٢)
 وعمامة التقوى التى من فوقها شمس الهدى
 يا حسنّها إذ أرسلت من كفه غيث الندى
 وكأنّ وشى رقومها بالبرق طرز عسجداً
 وبطرزه لون السما ء ووجهه قمر بدا

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٦ .

(٢) ما بين الحاصرتين من نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٦ .

الله منه نير حل المنازل أسعداً

مستنصر أعلى له فوق الكواكب مصعدا

ثم قال بعد ذكر قصيدة فى المدح:

وَأَنْشَدَهُ وَهُوَ عَلَى جَوَادٍ أَدْهَمَ^(١):

تجلی لنا المولی الإمام محمد علی أهدم قد راق حسن أدیمه

فأبصرت صباحا فوق ليل وقد حكى
مقلد ذاك الطرف بعض نجومه

وكتب له مع هدية زهرية^(٢):

أمولاى تقبيلى ليمناك شاقنى ولا ينكر الظمآن شوقا إلى البحر

ولما رأيت الدهر ماطنى بها وشوقنى من حيث أدرى ولا أدرى

بعثت لك الزهر الجنى لعلها يقبلها عنى تغور من الزهر

وكتب إليه أيضا متشوقا (٣):

كتبت ودمعى بلل الركاب قطره وأجرى به بين الخيام السواقيا

حنينا لمولى أتلف المال جوده ولكنّه قد خلد الفخر باقيا

وما عشت بعد البين إلا لأنني أرجى بفضل الله منه التلقيا

وأنشده أيضاً وهو بحال تألم (٤):

كأني بلطف الله قد عم خلقه وعافى إمام المسلمين وقد شفى

(١) نفع الطيب ج ٧ ص ٢٢٦.

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٦.

(٣) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٧.

(٤) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٧.

وقاضى القضاء سجل حكمه
وفى مثل ذلك^(١):

لك الخير يا مولاي أبشر بعصمة
وعافية في صحة مستجدة
فوجه التهانى مشرق متهلل
وقد ظهرت للبرء منك علامة
وفى مثل ذلك^(٢):

يا إماما قد تَخِذْنَا
خط يميناك ينادى
وقال مهتئا بالشفاء^(٣):

الحمد لله بلغنا المنى
وفزت بالأجر وكبت العدا
فالحمد لله على ما به
وقال أيضاً فى نحو منه^(٤):

نعم قرت العينان وانشرح الصدر
وقد لاح من وجه الإمام لنا البدر

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٧ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٧ .

(٣) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٧ .

(٤) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٨ .

سرينا بلیل التیه یکذب فجره فلما تجلی بشره صدق الفجر
 أغر المحیا بالحیاء مقنع زهاه الکلام الحر والنسب الحر
 إمام الهدی قد خصه بخلافه إله له فی خلقه النهی والأمر
 وقال فی مثله وقد ركب رحمه الله علیه لمعاهد حضرته^(١):

هنيئاً هنيئاً لا نفاذ لعهده وبشرى لدين الله إنجاز وعده
 فقد لاح بدر التم في أفق العلا وحل كما يرضى منازل سعده
 وطاف إمام المسلمين محمّد بحضرته العليا مبلغ قصده
 ولاحت به الأنوار من بشر وجهه وفاح بها النور من نشر حمده
 [وأبصرت الأبصار شمس هداية وأشرقت الأرجاء من زهر رفده]^(٢)
 ولوحت الأعلام فيها بنصره كما لوح الصبح المنيّر بينده
 ستهدى له الأيام كل مسرة ويحيى به الرحمن آثار جده
 فسل حسام السعد واضرب بحده وخل حسام الهند في كن غمده
 فسيفك سيف الله مهما سللته يقيم حدود الله قائم حده
 وأنشده رضى الله عنه في طرد مولانا الوالد رحمه الله ويصف البازي
 ويشكر ما أهده من صيده:

يا من تمد له الملوك أكفها تدعو الإله له بطول بقاء
 أضحى ولى العهد نجلك صائداً شأن الملوك العلية العظماء

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٨.

(٢) ما بين الحاصرتين من نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٨، وفي سائر الأصول: «وفده» مكان: «رفده».

ورمى البزاة على القناة يصيده
من كل خافقة الجناح إذا مشت
أهدت لنا سبج العيون وطوقت
واستاقت الياقوت فى منقارها
ووشت يد الأقدار فى أعطافها
ملك الطيور أتى إلى ملك الورى
وقضى سماحك أن تجود ببعضها
لله هل شرف يضاهى ذا الذى
هيهات أين جزاؤها من شكره
أولست قد أوليت كل خليفة
فلصاحب الصفراء فخر خالد
بيضا وسمرا قد شرعت لنصره
لا زلت شمس خلافة أبنائه
صيد الخليفة شارد الأعداء
تبدى اختيال الغادة العذراء
أرجاءها بعقيقة حمراء
ومشت على المرجان فى استحياء
وشيئا زرى بالحلة السيراء
فاستاقها لمؤمل الخلفاء
للعبد تعليه على الجوزاء
أوليتته من منة غراء
يجزيك عنا الله خير جزاء
شرقا وغربا أصواب الآراء
يحظى به من صاحب الحمراء
وأعنت بالبيضاء والصفراء
مثل البدور بمرقب العلياء

وأجاب عن أبيات خمس كتب رضى الله عنه بها إليه :

لك فى الخلافة مظهر لا يفرع
يأيها الملك الذى أيامه
سبحان من حلاك بالخلق الرضا
أما المدام فدمت تطلع شمسها
من دون مرقبه النجوم الطلع
غرر بوجه الدهر لا تتقنع
وكسالك منه حلة لا تخلع
بين البدور وشمس وجهك تسطع

أغنيتنى عنها بخمر بلاغة
بوأتنى من عز نظمك روضة
وأريتني جناح الدجنة غرة
يعنو لها البدر المنير وقد علا
فاتحتني منها بخمس ولائد
قبلتها ألفا وبت لربها
وقال يصف غربانا أجراها - رحمه الله عليه - ويتفائل له بالراحة من
شكاية ثلاثة :

أعلامك الحمر فوق السفن خافقة
ما إن رفعت قسى السفن فى وطن
قالوا السفائن فوق البر ذا عجب
فقلت آثار مولانا التى سفرت
تجرى بريح سعود فى بحار ندى
لله يوم عجيب الصنع ذو أثر
استبشر الناس فيه بالصنيع وقد
زجرته بشفاء قد أتناك كما
إذا شكوت فكل الكون ذو وصب
ومن شكا باليم الوجد فى بصر
وريح سعدك تجريها على قدر
إلا ونلت قصى السؤل والوطر
من غير بحر ولا موج ولا غرر
لنا العناية عن آياتها الكبر
تغنى بنانك عن بحر وعن مطر
محجل رائق الأوضاح والغرر
تضمن البشر فى ورد وفى صدر
يرضى علاك جميل الخبر والخبر
فأنت منه مكان السمع والبصر
فقد تعود غير السهد والسفر

فأسأل الله رب العرش فى لطف يسرى إليك بها إنعام مقتدر
وأن يدافع عن ذات بحرمتها تعود الخلق لطف الله فى القدر
ثم قال بعد إيراد جملة من نظمه:

وأنشد وقد عاد - رحمة الله عليه - من بعض متوجهاته الجهادية لجبل
الشوار^(١):

على الطائر الميمون والطارح السعد قدمت مع الصنع الجميل على وعد
وقد عدت من جبل الشوار لتجتلى عقائل للفتح المبين بلا عد
ثم قال بعد ذكر جملة:

وقال مما رسم فى طيقان الأبواب بالمباني السعيدة التى ابتناها مولانا
رضى الله عنه^(٢):

أنا تاج كهلال أنا كرسى جمال
ينجلى الإبريق فيه كعروس ذى اختيال
جود مولانا ابن نصر قد حبانى بالكمال
وفى المعنى^(٣):

من رأى التاج الرفيعا قد حوى الشكل البديعا
تحسد الأفلاك منه قوسه السهل المنيعا
دمت ربعا للتهانى انظم الشمل الجميعا

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٩.

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٩.

(٣) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٩.

وفيه :

للغنى بالله قصر للتهانى يصطفيه^(١)

فيه محراب صلاة يقف الإبريق فيه

تاليا سورة حبي والمعالى تقتفيه

وفيه^(٢) :

أى قوس ذى كمال سهمه سهم السعاده

ملك الإبريق فيه عود الإحسان عاده

ذو صلاة من صلات كلها دأبا معاده

وفى المعنى مما كتبه لمبتنى لعننا سعد رحمة الله تعالى عليه^(٣) :

انظر لأفق جمال به الأباريق تصعد

بديع حسن حباه به الأمير المجد

فخر الإمارة سعد به الخليفة يسعد

وكيف لا وأبوه فخر الملوك محمد

[عليه حلى رضاه فى كل يوم تجدد]

وفيه أيضاً^(٤) :

رفعت قوس سماء يزهى بتاج الهلال

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٩ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٢٩ .

(٣) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٠ ، وما بيت حاصرتين منه .

(٤) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٠ .

قد قلدته نقوشى در الدرارى الغوالى
 ترى الأباريق فيه تهديك عذب الزلال
 قد زان قصرى سعد بسعده المتوالى
 فدام يعمر ربعى فى ظل مولى الموالى
 وقال فى الغرض (١):

ما ترى فى الرياض أشباهى يسحر العقال حسنى الباهى
 زان روضى أميره سعد وهو نجل الغنى بالله
 دام منه بمرتقى عـز آمر بالسعود أو ناهى
 وقال فى غرض الشكر [عن مغطى صنهاجى أهدها إياه] (٢):

لمن قبة حمراء مد فضاؤها تطابق منها أرضها وسماؤها
 وما أرضها إلا خزائن رحمة وما قد سما من فوق ذاك غطاؤها
 وقد شبه الرحمن خلقتنا بها وحسبك فخرا بان منه اعتلاؤها
 ومعروشة الأرجاء مفروشة بها صنوف من النعماء منها وطاؤها
 ترى الطير فى أجوافها قد تصففت على أنعم عند الإله كفاؤها
 ونسبته صنهاجة غير أنه تقصر عما قد حوى خلفاؤها
 حبتنى بها دون العبيد خلافة على الله فى يوم الجزاء جزاؤها

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٠.

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٠ وما بين الحاصرتين منه.

وفى مثله^(١):

ما للعوالم جمعت فى قبة قد شادها كرم الإمام محمّد
فى صفح صرح بالزجاج ممّوه وبجود مولاي الإمام ممهد
ما إن رأيت ولا سمعت بطائر عن ثوب موشى الرياش مجرد
إن لم تكن تلك الطيور تغردت فلشكر هذا العبد سجع مغرد
صفت عليها للفواكه كل ما قد عاهدته بدوحها المتعود
لو أبصرت صنهاجة أوضاعه دانت له أملاكها بتعبد
عودتنى الصنع الجميل تفضلا لا زلت خير معودّ ومعودّ
وبسورة الأنعام كم من آية فيها لقار بالنوال مجود
وقال تذييلا لبيتى ابن المعتز^(٢):

«سقتنى بليل شبّيه بشعرها شبّهة خديها بغير رقيب
فأمسيت فى ليلين للشعر والدجى وشمسين من خمر وخذ حبيب»
إلى إن بدا الصبح المنير كأنه محيا ابن نصر لم يشن بغروب
شمائله مهما أدير كئوسها قلائد أسماع وأنس قلوب

وقال مذيلا على بيت ابن وكيع أيضاً^(٣):

«هى فى أوجه الندامى عقيق وهى مثل النظار فى الأقداح»

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣١ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣١ .

(٣) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٢ .

ثم قال بعد قصائد كثيرة عيدية :

وقال من أخرى عيدية شاركها في كثير من أبياتها قصيدة فتحية
تقدمت ، أولها

* هي نفحة هبت من الأنصار *

والمختص بهذه :

أضياء هدى أم ضياء نهار وشذا المحامد أم شذا الأزهار^(١)
ومنها بعد كثير :

قسما بهديك في الضياء وإنه شمس تمد الشهب بالأنوار^(٢)
ومنها أيضاً^(٣) :

كم من لطائف للهدى أوضحتها خفيت مداركها على الأفكار
كم من جرائم قد غفرت عظيمها مستنزلا من رحمة الغفار
علمت ملوك الأرض أنك فخرها فتسابت لرضاك في مضمار
ومنها يصف الجيش^(٤) :

سالت به تحت العجاج سفينة نفحت بريح العزم من أنصار
أرست بجودي الجود في يوم الندى وجرت بيوم الحرب في تيار

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٣ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٣ .

(٣) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٣ .

(٤) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٣ .

ومنها (١):

ألقى بأيدي الريح فضل عنانه فيكاد يسبق لمحة الأبصار

ومنها (٢):

فهى العراب متى أثرت فى الوغى قد أعربت عن صنع لطف البارى

ومنها (٣):

إن خاض فى بحر العجاج رأيته يجلو دجنته بوجه نهار

ومنها (٤):

كم فيهم من قار ضيف طارق وضحت شواهد فضله للقرار

ومنها (٥):

يأيها الملك الذى أيامه غرر تلوح بأوجه الأعصار

قد زارك العيد السعيد مبشرا فاسمح لألف مثله بمزار

لما ازدهته عواطف ألطفتها عطف الإله عليك عطف سوار

[فأتى] يؤمم منك هديا صالحا كى يستمد النور بعد سرار

وأناك يسحب ذيل سحب أغدقت تغرى جفون المزن باستعبار

جادت بجارى الدمع من قطر الندى فرعى الربيع لها حقوق الجار

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٣ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٣ .

(٣) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٤ .

(٤) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٤ .

(٥) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٤ ، وما بين حاصرتين منه .

فأعاد وجه الأرض طلقاً مشرقاً
لما دعاك إلى القيام بسنة
فأفضت فينا من نذاك مواهباً
فاهناً بعيد عاد يشتمل الرضا
ومنها^(١):

لا عذر لى أن كنت فيه مقصراً
فلإذا نظمت من المناقب درها
سدت صفاتك أوجه الأعذار
فلذلك أنظمها قلائد لؤلؤ
شرفنى منها بنظم درارى
لألاؤها قد شف بالأنوار

ثم أورد هذا المؤلف قصيدة ميمية طويلة، أولها:

هنا له ثغر الهدى يتبسم
تبسم ثغر الثغر عنها بشارة
وبشرى بها عرف الرضا يتنسم
ولا عجب من مبسم الزهر فى الربا
فأعدى ثغور الزهر منه التبسم
عناية من أعطى الخليفة رتبة
فللبرق من خلف السحائب مبسم
فمنه استفاد الملك كل غريبة
عليها النجوم النيرات تحوم
ومنه تلقى الهدى كل خليفة
تخط على صفح الزمان وترسم
وأنهم مما أفاد تعلموا
ومنها بعد نيف على ستين بيتاً:
وللرعب جيش دونه يتقدم
وكم من لواء فى الفتوح نشرته

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٤.

فقل للملوك الأرض دونكم فقد
تسامت به للنصر أشرف ذمة
وكم من جهاد قد أقمت فروضه
وكم عزيمة جردت منها إلى العدا
وكم بيت مال فى الجهاد بذلته
وكم ليلة قد جئت فيها بليلة
سهرت بها والله أجرها
وفوقك من سعدٍ لواء مشهر
إذا أنت جهزت الجياد لغارة
فمن أشهب مهما يكر رأيته
وأحمر قد أذكى به البأس جذوة
وأشقر أعدى البرق لونا وسرعة
وأصفر فى لون العشى وذليله
وأدهم مثل الليل والبدر غرة
وأشهب كالقرطاس قد خط صفحه
ورُبَّ جلاد من جدالٍ سطرته
وقام خطيب السيف فوق رءوسهم
فكم من رءوس عن جسوم أزالها
أعلم ما لا زال بالنصر يعلم
لها من رسول الله عهد مكرم
يزار به البيت العتيق وزمزم
حساما به داء الضلالة يحسم
وأقرضت منه الله ما الله يعلم
من النقع فيها للأسنة أنجم
تؤمن فيها الخلق والخلق نوم
ودونك من عزم حسام مصمم
فإن صبح الحى أغبر أقتم
صباحا بليل النفع لا يتكتم
إذا ابتل عطفًا فى الوغى يتضرم
ولكن له دون البروق التقدم
ولون الذى بعد العشية يعلم
وبالشهب فى حلى المقلد ملجم
كتاب من النصر المؤزر محكم
يراع القنا فيه تخط وترسم
فأعجب منه أعجم يتكلم
فأثكل منها كل باغ يجسم

وزرق العيون للأسنة قد بكت
 ونهر حسام كلما أغرق العدا
 فأصليت عباد المسيح من الوغى
 أبر من التثليث بالله وحده
 ونبه سيوفاً ماضيات على العدا
 ولله من شهر الصيام مودع
 تنزل فيه الذكر من عند ربنا
 ولله فيه من ليالٍ منيرة
 وصابت سحب الدمع يمحي بمائها
 ولله فيه ليلة القدر قد غدت
 تبيت بها حتى الصباح بإذنه
 وبشرى بعيد الفطر أيمن قادمٍ
 جعلت قراه سنة نبوية
 ومن عدوات لئله رفعتها
 وفي كل عين من محياك قرّة
 إذا أنت لم تفخر بما أنت أهله
 فما مهد الإسلام غير خليفةٍ
 فكم بيت شعر قد عمرت بذكره
 ولا دمع إلا ما أسيل به الدم
 تلقتهم منه سريعاً جهنم
 سعيراً به يرضى المسيح ومريم
 فمن يعتصم بالله فالله يعصم
 وخل جفون المرهفات تهوم
 على كل محتوم السعادة يكرم
 فيبدأ بالذكر الجميل ويختم
 أضواء بنورها الوحي منهن مظلم
 من الصحائف أوزار تخط ومأثم
 على ألف شهر من الثواب تقدم
 ملائكة السبع الطباق تسلم
 عليك بمجموع البشائر يقدم
 لها في شعار الدين قدر معظم
 تسدد منها للإجابة أسهم
 وفي كل كف من نوالك أنعم
 فلا أبصر المصباح من يتوسم
 على عطفه در المحامد ينظم
 فبات به جادى السرى يترنم

ولسن بيوتنا بل قصوراً مشيدة
وما ضرها أن قد تأخر عهدها
وإذ أنت مولاهها وعامر ربعتها
أنا العبد قد أسكنته جنة الرضا
ولا زلت في الأعياد ساجع روضها
بقيت متى يبيل الزمان تجده
ودمت لألف مثله في سعادة
ولما رأيت الفخر جهد مقصر
ختمت ثنائى بالدعاء وهأنا
ثم قال: ولما انتقل مولانا الجدد إلى رضوان الله ونعيم خلوده، وقام
مولانا الوالد ولي عهده بالأمر من بعده، أنشد رثاء فى السلف، وهناء فى
الخلق، رحمة الله تعالى عليهما:

عزاء فإنَّ الشجو قد كان يُسرف
لئن غرب البدر المنير محمّد
وإن رد سيف الملك صوتاً لغمده
وإن طوت البرد اليمانى يد البلى
وإن نضب الوادى وجف معينه
وإن صوح الروض الذى ينبت الغنى
وبشرى بها الداعى على الغور يُسرف
لقد طلع البدر المكمل يوسف
فقد سل من غمد الخلافة مرهف
فقد نشر البرد الجديد المفوف
فقد فاض بحر بالجواهر يقذف
فقد أزهر الروض الذى هو يخلف

وإن أقلعت سحب الحيا وتقشع
وإن صدع الشمل الجميع يد النوى
وإن راع قلب الدين نعى إمامه
وقد ملك الإسلام خير خليفة
يعير محياه الصباح إذا بدا
فمن نور مرآه الكواكب تهتدى
ولما قضى المولى الإمام محمد
فلا جفن إلا مرسل سحب دمه
وقد كادت الدنيا تميد بأهلها
وقد كادت الأفلاك ترفض حسرة
ولكن تلافى الله أمر عباده
فللدين والدنيا ابتهاج وغبطة
أمان كما تندی الشبيبة نضرة
طلعت على الإسلام فى دولة الرضا
بوجه يرينا البدر عند طلوعه
وعزم كما انشق الصبح مصمم
وحولك من حفظ الإله كتائب
فوالله ما ندرى وللعلم عندنا
فقد نشأت منها غمام وكف
يوسف فخر المتدى يتألف
فقد هز منه بالبشارة معطف
من البدر أبهى بل من الشمس أشرف
وتخجل يمناه الغمام وتخلف
ومن فيض جدواه الحيا نتوكف
تحكم فى الناس الأسمى والتأسف
ولا قلب إلا بالجوى يتلهف
وقد كادت الشم الشوامخ ترجف
وكادت بها الأنوار تخفو وتكسف
بوارثه والله بالناس أراف
وللشعر ثغر بالمنى يترشف
يمد له ظل على الأرض أورف
فأمتته من كل ما يتخوف
وفى وجنة البدر المنير التكلف
ورأى به بيض الصوارم ترهف
وفوقك من ظل السعادة رفر
براهين عن وجه الحقائق تكشف

أوجهك أم شمس النهار تطلعت
فكم لك من ذكر جميل ومفخر
يزار به البيت العتيق وزمزم
ومن يسأل الأيام تخبره أنها
وهل تهدم الأيام ببيان مفخر
ولو كانت الأيام قبل تنكرت
ألا لا ترعنا الحادثات فإننا
وليس لنا إلا التوكل عادة
فمن مبلغ عنا الغنى بربه
بآية ما بلغت دين محمد
وعنك يروى الناس كل غريبة
فكسرت تمثالا وهدمت بيعة
وكم من منار بالأذان عمرتها
وسرت وقد خلفت خير خليفة
أيوسف قد أرضيته أجمل الرضا
وكنت له يا قرة العين قرة
ستجرى على آثاره سابق المدى
سيلقى عدو الدين منك عزائم

وكفك أم سحب الحيا تتوَكَّفُ
عميم على أوج الكواكب يشرف
ويعرفه حتى الصفا والمعرف
بقومك تزهى فى الفخار وتشرف
تشيده أى كرام ومصحف
فباسمك يا بدر الهدى تتعرف
عصابة توحيد به نتشرف
وظن جميل وعده ليس يخلف
وقد سار للفردوس يحيا ويتحف
أمانى للرحمن تدنى وتزلف
يروى لنا منها الغريب المصنف
وناقوسها بالكفر يهدى ويهتف
فصارت به الأذان بعد تشنف
لك الفخر منه والثناء المخلف
وكان بما ترضى وتختار يكلف
على برة المحتوم تحنو وترأف
فيهدى له منك الشاء المضعف
إليه بجرار لكتائب تزحف

ويأسف لَمَّا يبصر البر يرمى
وتفتح من بلدانه كل مقفل
فما أُرؤس الكفار إلا حصائد
حُسَامُكَ رِقراق الصفيح كأنه
ضعيف يصح النصر من فتكاته
ورمحك مرتاح المعاطف هزة
ولا عيب فيه غير أنَّ سنانَه
فإن كعت الأبطال في حومة الوغى
لقد فخر الإسلام منك ببيعة
وألْبسته بردا من الفخر ضافيا
وقد نظمت فيه السعود ميامنا
فدمت قرير العين في كل غبطة
وأنشد على لحده المقدس - رحمه الله تعالى - في المعنى قوله^(١):

ضريح أمير المسلمين محمّد
وحياك من روح الإله تحية
وشقت جيوب الزهر فيك كمائم
وصابت من الرحمي عليك غمائم
يخصك ربى بالسلام المردد
مع الملا الأعلى تروح وتغدى
يرف بها الريحان عن خضر ندى
تروى ثرى هذا الضريح المنجد

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٥ .

وزارتك من حور الجنان أوانس
وجاءتك بالبشرى ملائكة الرضا
وصافح منك الروض أطيب تربة
رضا الله والصفيح الجميل وعفوه
ويا صدفا قد حاز من جوهر العلا
أعندك أنّ الحلم والعلم والحجا
وهل أنت إلا هالة القمر الذى
ويا عجبا من ذلك الترب كيف لا
لقد ضاقت الأكوان وهى رحيبة
قدمت على الرحمن أكرم مقدم
أقام بك المولى الإمام محمّد
فجاء كما يرضى وترضى به العلا
ومدينة ظلال العدل فى كل وجهة
وقام بمفروض الجهاد عن الورى
قضى بعد ما قضى الخلافة حقها
وفتح بالسيف الممالك عنوة
وكسر تمثال الصليب وأخرست
وطهر محرابا وجدد منبرا
نواعم فى كل النعيم المخلد
كما جاء فى الذكر الحكيم الممجد
وعاهد منك المزن أكرم معهد
يوالى على ذلك الصفيح المنضد
لكل نفيس بالنفاسة مفرد
وزهر الحلى أدرجت طى ملحد
بنور هداه الشهب تهدى وتهتدى
يفيض ببحر للسماحة مزبد
بما حزت من فخر عظيم وسؤدد
وزودت من رحماه خير مزود
مؤمل فوز بالشفيع محمّد
وأنجز للآمال أكرم موعد
وكف أكف البغى من كل معتدى
وعود دين الله خير معود
وعامل وجه الله فى كل مقصد
ومدت له أملاكها كف مجتدى
نواقيس كانت للضلال بمرصد
وأعلن ذكر الله فى كل مسجد

ودانت له الأملاك شرقا وغربا
 وطبق معمور البسيطة ذكره
 وسافر عن دار الفناء ليجتنى
 وقام بأمر الله حق قيامه
 لئن سار للرحمن خير مودع
 فقد خلف المولى الخليفة يوسف
 سبيلك فى سبيل المكارم يقتفى
 محمد جلى الخطب من بعد يوسف
 ولو وجد الناس الفداء مسوغا
 ستبكيك أرض كنت غيث بلادها
 وتبكي عليك السحب ملء جفونها
 وتلبس فيك النيرات ظلامها
 وما هى إلا أعين قد تسهدت
 فلا زلت فى ظل النعيم مخلدا
 وأوردك الرحمن حوض نبيه
 عليك سلام مثل حمدك عاطر
 وصلى على المختار من آل هاشم
 وكلهم ألقى له الملك باليد
 وسارت به الركبان فى كل فدغد
 بما قدم اليوم السعادة فى غد
 بعزيمة لا وان ولا متردد
 وحل من الفردوس أشرف مقعد
 يعيد له غر المساعى وبيتدى
 وهديك يا خير الأئمة يقتدى
 ويوسف جلى الخطب بعد محمد
 فداك ببذل النفس كل موحد
 وتبكيك حتى الشهب فى كل مشهد
 بدمع يروى غلة المجذب الصدى
 حدادا ويذكى النجم جفن مسهد
 فكحلها نجم الظلام بإثمد
 ونجلك يحيا بالبقاء المخلد
 وأصدر من خلفت عن خير مورد
 يفيض ختام المسك عن تريك الندى
 صلاة بها نرجو الشفاعة فى غد

ثم قال: وقال أيضاً فى هذا الغرض من رثائه، ومدح مولانا الوالد فى
أثنائه:

سلام على الدنيا جميعا وما فيها	غدات نعت شمس الخلافة من فيها
نعت ملك الأملاك والكامل الذى	يكف عوارى الحادثات ويكفيها
عميد بنى الأنصار غير مدافع	ومحى معاليها ومولى مواليتها
وبدر دياجها وشمس نهارها	وبشر محياها ونور مجاليتها
خفا الكواكب الوقاد قد كان نوره	يجلى من الدهم الخطوب دياجيتها
هوى القمر الوضاح من أفق العلا	فأظلم جو النيرات بساريها
وقد كسفت شمس الهداية بعدما	أبان سبيل الحق للخلق هاديها
هو الجبل الراسى تصدع بعد ما	أقرت به شم الجبال رواسيها
يعز على دين الهدى أن شمسه	يطول بأطباق التراب تواريتها
يعز على زهر النجوم متى سرت	ولا تلمح الهدى الذى كان يهديها
لأندلس ثكل عليه مردد	له لبست سود المسوح نواحيها
ثلاثين حولا بعد خمس تعودت	يدافع عنها كل خطب ويحميها
أبكيه للرايات يخفق بندها	وفى مراقب النصر المؤزر يعليها
أبكيه للخيال المغيرة بالضحي	وقد أبعد الفتح المبين مراميها
ويبكيه معمور البسيطة كلها	وما ضم من داني البلاد وقاصيها
وتبكيه سحب أخرجلتها بنانه	وترسل دمع الغيث حزنن مآقيها

وتبكيه حتى الشهب فى أفق العلا
عزاء أمير المسلمين فإنها
هو الموت ورد للخليفة كلها
وما بيننا حى وما بين آدم
وفى موت خير الخلق أكبر أسوة
أمولاي لو كان الفداء مسوغا
أمولاي كم من نعمة لك عندنا
أمولاي خلفت العبيد إلى الأسي
وقد مات منا الصبر إلا صباة
أمولاي يا مولاي هل أنت سامعى
تحفيت بى حتى نضوت شيبتي
وقد كان ظنى أن تكون جنازتى
وقد عشت حتى ذقت فقدك قلما
ولولا أبو الحجاج نجلك لم يكن
ولكنه والله يجمل صبره
فخلفتنا منه لأكر كافل
سريرته الرحى وسيرته الرضا
وسيلتك العظمى وظلك فوقنا
وتلبس جلباب الظلام جواربها
مقادير رب الخلق فى الخلق يجريها
وأخرها تقفو سبيل أوليها
إلا هكذا سوى البرية باريها
تصبر أحرار النفوس وتسليها
فدينك بالدنيا جميعا وما فيها
إذا نحن رمنا حصرها ليس نحصيها
يناجيك من فرط الشجون مناجيها
بذكرك فى جنح الدجنة نحويها
أبثك ما يشجى القلوب ويدميها
عزيزا وجيها حيثما رمت توجيهها
يشيعها منك الرضا ويواربها
تبلغ نفس ما تريد أمانبها
لدين الهدى كرات بحر يزجيها
مناقبك الغر الكرام سيحييها
يحمل أعباء الخلافة كافيها
وأخلاقه الغر الكريمة تدريها
وعمدتنا والله فى العز يقيها

فما كنت إلا الشمس قد غربت لنا
 وما أنت المسك إن تخف ذاته
 إلا قدس الرحمن نفيسا كريمة
 وبشرى لنا أن السعادة نزلها
 وحاشا وكلا أن تضيع وسائل
 فكم من جهاد رفعت بنوده
 كسرت تماثيل الصليب وأخرست
 وكم من منار قد أعدت أذانه
 وكم من رياض للكتائب قد غدت
 وملتف زرع بالأسنة مزهر
 إذا ظمئت منها الذوابل في الوغى
 غرس زكى للجهاد غرسته
 ولو لم يكن إلا سنين قطعتها
 صبرت لها صبر الكرام وإنما
 أمالك في الأنصار خير وسيلة
 وحسبك بالمختار أكرم شافع
 على علم الدنيا وفخر ملوكها
 سأبكيه ما دام الحمام مطوقا
 وأنوارها بدر التمام يجليها
 ينمُّ بها العرف الذكى فيفشيها
 بكل عزيز فى الوجود نفديها
 وأنَّ رضا الله الكريم يرضيها
 سيذخرها الرب الكريم وينشيها
 وقد أثمرت فيها المعالى عواليها
 نواقيس كانت بالضلال تناغيها
 وأعلن فيه دعوة الحق داعيها
 تضيق بمستن الجياد نواحيها
 ولكن به المران تحلو مجانيها
 جداول أنهار السيوف ترويهها
 فصرت إلى دار السعادة تجنيها
 رهين شكاة لا تزال تعانيها
 ذخرت أجورا فضل ربك جازيها
 وقد كنت بالنصر العزيز تحييها
 وستته والله لا زلت تُحييها
 تحية رب لا يزال يواليها
 وما سجعت تبكى الهديل قماريها

وأهديه من طيب السلام معطرا كما فتقت أيدي التجار غواليها
 وأسبل رب العرش سحب كرامة تَسَحُّ على ذاك الضريح غواديها
 ونسأل فتحا للخليفة يوسف يملكه أقصى البلاد ومن فيها
 ثم ذكر هذا المؤلف جملة نظم ابن زمرك في السلطان أبي الحجاج
 واستعطافه، وما يَهْزُّ له لرضا من شمائل أعطافه، ومنها^(١):

بما قد حزت من كرم الخلال بما أدركت من رتب الجلال
 بما خولت من دين ودنيا بما قد حزت من شرف المعالي
 بما أوليت من صنع جميل يطابق لفظه معنى الكمال
 تغمدني بفضلها واغتفرها ذنوب في الفعال وفي المقال
 ثم قال: ومن ذلك أيضاً يخاطب أخانا السلطان أبا عبد الله رحمه الله
 تعالى عليه، متوسلاً بقديم ذمامه، والخدم المتعددة من نظامه^(٢):

أتعطش أولادى وأنت غمامة تعم جميع الخلق بالنفع والسقيا
 وتظلم أوقاتي ووجهك نير تفيض به الأنوار للدين والدنيا
 وجدك قد سماك ربك باسمه وأورثك الرحمن رتبته العليا
 وقد كان أعطاني الذي أنا سائل وسوغني من غير شرط ولا ثنيا
 وشعري في غر المصانع خالد يحييه عني في الممات وفي المحيا
 وما زلت أهدي المدح مسكا مفتقا فتحمله الأرواح عاطرة الريا

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٧ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٧ .

وقد أكثر العبد التشكى وإنه وحقك يا فخر الملوك قد استحيا
وما الجود إلا ميت غير أنه إذا نفخت يمناك فى روحه يحيا
فمن شاء أن يدعو لدين محمد فيدعو لمولانا الخليفة بالبقيا
ثم ذكر قصائد كثيرة ومقطوعات فى مدحه لأخيه أبى عبد الله، إلى أن
قال:

وقال أيضاً وقد نزل بالولجة من مرج الحصرة^(١):

منزل اليمن والرضا والسعود أنجزت فيه صادقات الوعود
كل يوم نزاهة إن تقضت أنشدتها السعود بالله عودى
جمع المستعين وصف الكمال بين بأس عم الملوك وجود
فاهن فى غبطة وعزة ملك أنت والله فخر هذا الوجود
وقال أيضاً مشيراً لتوليته العلامة^(٢):

لك غرة ود الصباح جمالها ومحاسن تهوى البدور كمالها
وشمائل تحكى الرياض خلالها وأنامل ترجو الأنام خلالها
للمستعين خلافة نصرية عرفت ملوك العالمين جمالها
وأنا الذى قد نال منك معاليها تهوى النجوم الزاهرات منالها
تهديه ما قد نلت من بعضها والفخر كل الفخر فيمن نالها

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٧ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٨ .

فى كل يوم منك منة منعم لو طاولت سمك العلا ماطالها
بلغت آمال العبيد فبلغت فيك العبيد من البقا آمالها
ثم قال: وقال أيضاً وكتبها إليه مع خمسة أقلام^(١):

أيا ملكا لم يبد للعين حسنة سوى ملك قد حل من عالم القدس
لك الخير خذها كالأنامل خمسة تعوذ مرآك المكمل بالخمس
فمن أبصرت عيناه مرآك فليقل أعوذ برب الناس أو آية الكرسي
ثم قال بعد ذكر قصيدة: وقال يخاطب مولانا الوالد - رحمة الله عليه
- وقد مر معه بفحص رية، والثلج قد عم أنديته، وبسط أرديته، فى وجهة
توجهها مولانا الجد - تغمده الله تعالى برحمته - إلى مالقة^(٢):

يا من رتب المعالى تعلى ومعالم الفخر المشيد تبتنى
ازجر بهذا الثلج فألاً إنه ثلج اليقين بنصر مولانا الغنى
بسط البياض كرامة لقدمه وافتر ثغرا عن مسرة معتنى
فالأرض جوهرة تلوح لمجتل والدوح مزهرة تفوح لمجتنى
سبحان من أعطى الوجود وجوده ليدل منه على الجواد المحسن
وبدائع الأكوان فى إتقانها أثر يشير إلى البديع المتقن
ثم قال: ومن غير السلطانيات، مما بز فيه سبقا وتبريزا، وعرضه على
نقدة البيان، فرأت منه كل مذهبة خلصت إبريزا، مريثته للقاضى المعظم

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٨.

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٨.

الشريف أبي القاسم الحسنى من شيوخه، أنجزها الوعد السابق فى المقدمة بها^(١):

أغرى سراً الحى بالإطراق	نبأ أصم مسامع الآفاق
أمسى به ليل الحوادث داجيا	والصبح أصبح كاسف الإشراق
فجع الجميع بواحد جمعت له	شتى العلا ومكارم الأخلاق
هبوا لحكمكم الرصين فإنه	صرف القضاء فما له من واق
نفش الزمان بصرفه فى صفحة:	كل اجتماع مؤذن بفرق
ماذا ترجى من زمانك بعدما	علق الفناء بأنفس الأعلاق
من تحسد السبع الطباق علاءه	عالوا عليه فى الثرى بطباق
إن المنايا للبرايا غاية	سبق الكرام لخصلها بسباق
لما حسبنا أن تحول أبؤسا	كشفت عوان حروبها عن ساق
ما كان إلاّ البدر طال سراره	حتى رمته يد الردى بمحاق
أنف المقام مع الفناء نزاهة	فنوى الرحيل إلى مقام باقى
عدم الموافق فى مرافقة الدنا	فشنى الركاب إلى الرفيق الباقي
أسفا على ذلك الجلال تقلصت	أفياؤه وعهدن خير رواق
يا آمرى بالصبر عيل تصبرى	دعنى عدتك لواعج الأشواق
وذر اليراع تشى بدمع مدادها	وشى القريض يروق فى الأوراق

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ١٩٤.

يا حسرتى للعلم أقفر ربعه
ركدت رياح المعلوات لفقدها
كم من غوامض قد صدعت بفهمها
كم قاعد فى البيد فوق قعوده
لمن الركائب بعدك تنتضى
تفلى الفلا بمناسم مفلولة
كانت إذا اشتكت الوجى وتوقفت
فإذا تنسمت الثناء أمامها
يا مزجى البدن القلاص خوافقا
مات الذى ورث العلا عن معشر
رفعت لهم رايات كل جلالة
علم الهدة وقطب أعلام الورى
رَقَّتْ سجاياه وراقت مجتلى
كالزهر فى لألائه والبدر فى
مهما مدحت سواء قيد وصفه
يا وارثا نسب النبوة جامعاً
يا بن الرسول وإنها لوسيلة
ورد الكتاب بفضلكم وكمالكم
والعدل جرد أجمل الأطواق
كسدت به الآداب بعد نفاق
خفيت مداركها على الحذاق
قعدت به الآمال دون لحاق
ما بين شأم ترتقى وعراق
تسم الحصى بنجيعها الرقراق
يهفو نسيم ثنائك الخفاق
مدت لها الأعناق فى الإعناق
رفقا بها فالسعى فى إخفاق
ورثوا تراث المجد باستحقاق
فتميزوا فى حلبة السباق
حرم العفاة لمجتنى الأرزاق
كالشمس فى بعد وفى إشراق
عليائه والزهر فى الإبراق
وصفاته حمد على الإطلاق
فى العلم والأخلاق والأعراق
يرقى بها أوج المصاعد راقى
فكفى ثناء الواحد الخلاق

مولاي إني في علاك مقصر
 ومن الذى يحصى مناقب فضلكم
 يهنى قبورا زرتها فلقد ثوت
 خط الردى منها سطورا نصها:
 ولحق ترجمة الكتاب وصدده
 كم من سراة فى القبور كأنهم
 قل للسحاب اسحب ذبولك نحوه
 أودى الذى غيث العباد بكفه
 إن كان صوبك بالمياه فدرها
 بشر كثير قد نعموا لما نعى
 ألبستهم ثوب الكرامة ضافيا
 يتفيئون ظلال جاهك كلما
 عدموا الموافق فى فراقك وانطوى
 رفعوا سريرك خافضين رءوسهم
 لكن مصيرك للنعيم مخلدا
 ومن العجائب أن يرى بحر الندى
 إن يحملوك على الكواهل طالما
 أو يرفعوك على العواتق طالما

قد ضاق علم النجوم نطاقى
 عد الحصى والرمل غير مطاق
 منا مصون جوانح وحداق
 لا بد أنك للفناء ملاق
 وفوائد المكتوب فى الإلحاق
 فى بطنها در ثوى بحقاق
 والعب بصارم برقك الخفاق
 يزرى بواكف غيثك الغيداق
 در يروض ما حل الإملاق
 قاضى القضاة وغاب فى الأطباق
 وأرحت من كد ومن إرهاق
 لفحت سموم الخطب بالإحراق
 عنهم بساط الرفق والإرفاق
 ما منهم إلا حليف سياق
 كان الذى أبقى على الأرماق
 طود الهدى يسرى على الأعناق
 قد كنت محمولا على الأحداق
 رُفِعَتْ ظهر منابر وعِتَاقِ

ولئن رحلت إلى الجنان فإننا
لو كنت تشهد حزن من خلفته
أن جنَّ ليل جنّ من فرط الأسى
فابعث خيالك في الكرى يبعث به
أغليت يا رزء التصبر مثلما
إن يخلف الأرض الغمام فإننى
ومن أوليات نظمه يخاطب شيخه الوزير أبا عبد الله بن الخطيب رحمه
الله مادحا، قوله من قصيدة مطلعها:

* أما وانصداع النور من مطلع الفجر * (١)

يقول فيها بعد أبيات:

لك الله من فذ الجلالة أوحـد
لك القلم الأعلى الذى طال فخـره
يقلد أجياد الطروس تـمائمـا
تهيبك القرطاس فاحمر إذ غدا
كأن رياض الطرس خـد مـورد
فشارة على الملك رائقة الحلـى
وما روضة غناء عاهدها الحيا
تطاوعه الآمال فى النهى والأمر
على المرففات البيض والأسل السمر
بصنفي لآل من نظم ومن نثر
يقل بحوراً من أناملك العشر
يطرزه وشى العذار من الحبر
بألوية حمر وبالصحف الحمر
تحوكُ بها وشى الربيع يد القطر

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٧٥.

تغنى قيان الطير فى جنباتها
تمد لأكواس العرار أناملا
ويحرس خد الورد صام نهرها
يفاخر مرآها السماء محاسنا
إذا مسحت كف الصبا جفن نورها
بأعطر من ريا ثنائك فى السرى
عجبا له يحكى خلال خميلة
إذا أضمرت من بأسها الحرب جاحما
وإن كلح الأبطال فى حومة الوغى
لك الحساب الوضاح والسؤدد الذى
تشرف أفق أنت بدر كماله
تكلم تاج الملك منك محاسنا
بعزمة مضمون السعادة أوحده
طوى الحيف منشور اللواء مؤيدا
ومدينة ظلال الأمن إذ قصر العدا
إذا احتفل الإيوان يوم مشورة
صدعت بفضل القول غير منازع
فإن تظفر الخيل المغيرة بالضحى
فيرقصن غصن البان فى حلل خضر
من السوسن الغض المختم بالتبر
ويمنع ثغر النور بالذابل النضر
فتزرى نجوم الزهر منها على الزهر
تنفس ثغر الزهر عن عنبر الشجر
وأبهر حسنا من شمائلك الغر
وتفوق منه الأسد فى موقف الذعر
تأجج منه العضب فى لجى البحر
ترقق ماء البشر فى صفحة البدر
نطاق الوصف فيه عن الحصر
فغرناطة تختال تيهها على مصر
وفاخرت الأملاك منك بنو نصر
وغرة وضاح المكارم والنجر
حمى الإسلام بالطى والنشر
فيتلى ثناء الملك بالمد والقصر
وتضطرب الآراء من كل ذى حجر
وأطلعت آراء قُبِسْنَ من الفجر
فعن رأيك الميمون تظفر بالنصر

فلا زلت للعلياء تحمى ذمارها وتسحب أذيال الفخار على النسر
وللعلم فخر الدين والفتك بالعدا بأوت به يا بن الخطيب على الفخر
يهنيك عيد الفطر من أنت عيده ويشنى بما أوليت من نعم غر
جبرت مهيزا من جناحي ورشته وسهلت لى من جانب الزمن الوعر
وبوأتنى من ذروة العز معتلى وشرفتني من حيث أدرى ولا أدرى
وسوغتنى الآمال عذبا مسلسلا وأسميت من ذكرى ورفعت من قدرى
فدهير عيد بالسرور وبالمنى وكل ليالى العمر لى ليلة القدر
فأصبحت مغبوطا على خير نعمة يقل لأدناها الكثير من الشكر
قال (١):

وكتب إليه جوابا عن رسالة خاطب أولاده بها صدرها:

* مالى بحمل الهوان يدان *

قال جامع هذا الموضوع وفقه الله تعالى:

هذه قد تقدمت فى هذا الموضوع فراجعها.

ثم قال: وكتب إليه جوابا عن آخر كذلك:

حيث صباحا فأحييت ساكنى القصبه واسترجعت أنفسا بالشوق مغتصبه
قضى البيان لها إلا نظير لها فأحرزت من معانى فضله قصبه
ناجت طليح سرى لا يستفيق لها هدت جوارحها واستوهنت عصبه

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٧٨.

فحركته على فتك الكلال به
وأذكرت عهد مهديها على شحط
ما كنت أسمح من دهرى بجوهره
سل أدمع الصب من أغرى السحاب بها
فالله يحفظ مهديها ويشكره
من كان وارث آداب يشعشعها
هذا الملاذ ملاذ الناس قاطبة
وخاطب كذلك^(١):

طالعتها دون الصباح صباحا
ولقد رأيت وما رأيت كحسنها
عذراء أضعها البيان لبانه
فأئت كما شئت وشاء فجيها
لا بل كمثل الروض باكره الحيا
وطوت بساط الشوق منى بعدها
وخاطبه كذلك^(٢):

يكلفنى مولاي رجع جوابه
وما لتعاطى المعجزات وما ليا

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٧٩.

(٢) نفح الطيب ج ٦ ص ٧٨.

أجيبك للفضل الذى أنت أهله
فأنت الذى طوقتني كل منة
وأنت الذى أعدى الزمان كماله
فلا زلت للفعل الجميل مواصلا
وخاطبه كذلك^(١):

أسير فإن النيرات تسير
كأنى إلى نجم السماء سفير
يكر على ظلمائه فينير
مهّاد إذا جن الظلام وثير
فليس له حتى الممات نشور
لتسبى فؤادى أعين وثغور
إلى أن أرى لحظا عليه فتور
تصول على ألبابنا وتغير
وتبخل حتى بالخيال يزور
هواكم بقلبي منجد ومغير
وأيسر حظ من رضاك كثير
فمدته من فيض الدموع بحور
ذروني فإني بالعلاء خبير
وكم بت أطوى الليل فى طلب العلا
بعزم إذا ما الليل مدّ رواقه
أخو كلف بالمجد لا يستفزه
دأما طوى يوما على السر كشحه
وإني وإن كنت الممنع جاره
وما تعتريني فترة فى مدى العلا
وفى السرب من نجد تعلقت ظبية
وتمنع ميسور الكلام أخوا الهوى
أسكان نجد جادها وأكف الحيا
ويا سكنى بالأجرع الفرد من منى
ذكرتك فوق البحر والبعد بيننا

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٧٩.

وأومض خفاق الذؤابة بارق
ويهفو فؤادى كلما هفت الصبا
ووالله ما أدرى أذكرك هزنى
فمن مبلغ عنى النوى ما يسوءها
بأنا غدا وبعده سوف نلتقى
إلى كم أرى أكنى ووجدى مصرح
أمنجد آمالى ومغلى كاسدى
أأنسى ولا أنسى مجالسك التى
نزورك فى جنح الظلام ونثنى
على أننى إن غبت عنك فلم تغب
نروح ونغدو كل يوم وعندها
فظلك فوقى حيثما كنت وارف
وعذرا فإننى إن أطلت فإنما
وكتب إليه خاتمة رسالة كذلك^(١):

وحقك ما استطعت بعدك غمضةً
وعارضت مسرى الريح قلت لعلها
إلى أن بدا وجه الصباح كأنه
من النوم حتى آذن النجم بالغروب
تم برياً منك عاطرة الهبوب
محيأك إذ تجلى بغيرته الخطوب

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٨٠.

فقلت لقبي استشعر الأنس وابتهج فإن تبعد الأجسام لم تبعد القلوب
وسر في ضمان الله حيث توجهت ركابك لا تخشى الحوادث أن تنوب
ثم قال: وقال - بعد إيراد جملة من نظمه في النسيب وما يناسبه -
يصف مصباحاً^(١):

لقد زادني وجدًا وأغرى بى الجوى ذبال بأذيال الظلام قد التفا
تشير وراء الليل منه بنانة مخضبة والليل قد حجب الكفا
تلوح سنًا حين لا تنفح الصبا وتبدو سوارًا حين تثنى له العظفا
قطعت بها ليلى يطارحنى الجوى فأونة يبدو وأونة يخفى
إذا قلت لا يبدو أشال لسانه وإن قلت لا يخبو الضياء به كفا
إلى أن أفاق الصبح من غمرة الدجى وأهدى نسيم الروض من طيبه عرفا
لك الله يا مصباح أشبهت مهجتى وقد شفها من لوعة الحب ما شفا
ثم قال وكتب له صدر رسالة^(٢):

أزور بقلبي معهد الأنس والهوى وأنهب من أيدى النسيم رسائل
ومهما سألت البرق يهفو من الحمى يبادر به دمعى مجيبًا ورسائل
فيا ليت شعرى والأمانى تعلل أيرعى لى الحى الكرام الوسائل
وهل يجيرنى الأولى كما قد عهدتهم يوالون بالإحسان من جاء رسائل

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٥٨ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ١٥٨ .

ثم قال بعد أن ذكر عدة قطع :

وقال يصف الزرافة فى قصيدة مدح بها السلطان أبا سالم ملك المغرب
- رحمه الله - وقد ورد عليه بها وفد الأحابش فى هدية من ملكهم،
ونصها^(١) :

لولا تآلق بارق التذكار	ما صاب واكف دمعى المدرار
لكنه مهما تعرض خافقاً	قدحت يد الأشواق زند أوارى
عل المشوق إذا تذكر معهداً	أن يغرى الأجفان باستعبار
أمدكرى غرناطة حلت بها	أيدى السحاب أزرة النوار
كيف التخلص للحديث ودونها	عرض الفلاة وطافح زخار
هذا على أن التغرب مركبى	وتولج الفيح الفساح شعارى
فلکم أقيمت غداة زمت عيسهم	أبغى القرار ولات حين قرار
وظفقت أستقرى المنازل بعدهم	يمحو البكاء مواقع الآثار
إنا بنى الآمال تخذعنا المنى	فنخادع الآمال بالتسيار
نتجشم الأهوال فى طلب العلا	ونروع سرب النوم بالأفكار
لا يحرز المجد الخطير سوى امرئ	يمطى العزائم صهوة الأخطار
إمّا يفاخر بالعتاد ففخره	بالمشرفية والقنا الخطار
مستبصر مرمى العواقب واصل	فى حملة الإيراد بالإصدار

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٥٢ .

فأشد ما قاد الجهول إلى الردى
ولرب مربد الجوانح مزبد
فتقت كمائم جناحه عن أنجم
مثلت على شاطىء المجرة نرجسًا
فكأنما بدر التمام بجناحه
وكأنما خمس الثريا راحة
أسرجت من عزمى مصابيحها
وارتاع من بازى الصباح غرابه
[ومنها] (١):

وغريبةٍ قطعت إليك على الونى
تنسيه طيبته التى قد أمها
يقتادها من كل مشتمل الدجى
تشدو بحمد المستعين حداتها
إن مسهم لفح الهجير أبلهم
خاضوا بها الفلا فتخلصت
سلمت بسعدك من غوائل مثلها
وأنتك يا ملك الزمان غريبة
بيدًا تبيدها هموم السارى
والركب فيها ميت الأخبار
وكأنما عيناه جذوة نار
يتعللون به على الأكوار
منه نسيم ثنائك المعطار
منها خلوص البدر بعد سرار
وكفى بسعدك حامياً لذار
قيد النواظر نزهة الأبصار

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٥٣ .

موشية الأعطاف رائعة الحلوى
 راق العيون أديمها فكأنه
 ما بين مبيض وأصفر فاقع
 يحكى حدائق نرجسٍ فى شاهقٍ
 تحدو قوائم كالجدوع وفوقها
 وسمت بجيد مثل جذع مائل
 تستشرف الجدران منه ترائباً
 تاهت بكلكلها وأتلع جيدها
 خرجوا لها الجم الغفير وكلهم
 كل يقول لصحبه قوموا انظروا
 ألقى ببابك رحلها ولطالما
 علمت ملوك الأرض أنك فخرها
 يتبوءون به وإن بعد المدى
 فارفع لواء الفخر غير مدافعٍ
 واهناً بأعياد الفتوح مخولاً
 وإليكمها من روض فكرى نفحة
 فى فضل منطقها ورونق رسمها
 وتميل من أصغى لها فكأننى

رقت بدائعها يد الأقدار
 روض تفتح عن شتيت بهار
 سال اللجين به خلال نزار
 تنساب فيه أراقم الأنهار
 جبل أشم بنوره متوارى
 سهل التعطف لين خوار
 فكأنما هو قوائم بمنار
 ومشى بها الأعجاب مشى وقار
 متعجب من لطف صنع البارى
 كيف الجبال تقاد بالأسيار
 ألقى الغريب به عصا التسيار
 فتسابت لرضاك فى مضمار
 من جاهك الأعلى أعز جوار
 واسحب ذيول العسكر الجرار
 ما شئت من نصرٍ ومن أنصار
 شف الشاء بها على الأزهار
 مستمتع الأسماع والأبصار
 عاطيته منها كئوس عقار

وقال رحمه الله تعالى يخاطب كتاب الإنشاء بالمغرب وقد حضر هنالك
ميلاد الرسول ﷺ، وأنشدت قصائدهم، واستنجز بعد ذلك وعدهم بتقييد
نسخها بمقطوعات مرتجلة أجابوه عنها، منها:

أكتيبة الكتاب أيد جمعكم	بعناية المولى الخليفة أحمد
لا تمطلوا دين الغريب فأنى	منكم وإنَّ رغمت لذلك حسدى
زينتم حفل البيان بسحركم	أليوم زينة سحركم من موعد
فلتسمحوا لى بالقصائد عاجلا	ولتبلغوا مما أوئل مقصدى

وقال أيضاً:

أيا عليّة الكتاب دعوة منصفٍ	عليكم بكم فى مقطع الحق يستعدى
سمحتم بنظم الدر فى لبة العلا	فكم راق من سمط هناك ومن وعقد
فما ضرکم أن تسمحوا ليس بكتابها	فتستجزلوا شكرى وتستجيبوا حمدى

وقال أيضاً:

ما عذرکم أن لم تجدوا بعدما	ملكتم كف الخليفة أحمد
فلتبعضوا لى كل بكر فذة	تأتى بفخر خلالها وسط الندى

وكتب إليهم فى المعنى أيضاً وقد كان السلطان أبو العباس أعطاه قصيدة
من نظمه تلك الليلة:

ظلالكم تندو وموردكم عذب	وترضون أن أضحى وبالمح لى شرب
وأنتم وما أنتم غمائم رحمة	تصوب وأحلام العفاة لها تصبو
أفيضوا علينا وأنظرونا بفضلكم	لنقتبس نوراً لا يخيب ولا يخبو

ألفت الهوى حتى أنست بجوره
وقلت لجسمى إنه ثوبك الضنى
وقالوا صبا والشيب لاح صباحه
نهبت عذارى الحى ليلة عرضها
ولم أر منها غير رجوع حديثها
عراب إذا استنتت بشأو بلاغة
وإن أسندت ما بين نجد وحاجر
فمنعة صدق للخلافة قد ضفت
وجو صقيل قد جلته يد الصبا
فلولا التى من دونها طاعة الهوى
ولكن نهانى الشيب أن أقرب الهوى
فلا تطلوا دين المعلل عن غنى
وإن لم ترونى كُفَّهْن ترفعا
فمولاي قد أهدى العميد عقيلة
أدارت كئوسا من مدام صبا
فوالله لولا موعده يومه غد
أكتاب مولانا الخليفة أحمد
به اعتزت الآداب وامتد باعها
فكل عذاب نالنى فى الهوى عذب
وقلت لقلبى إنه إلفك الحب
فقلت بيض كالصباح أنا صب
وقد جليت منها لمصرها شهب
فتجهل منها العين ما يعرف القلب
تقصر من دون اللحاق لها العرب
تقول رواة الشرق يا حبذا الغرب
على من حواه من مهابته حجب
يسافر طرف الطرف فيه فما يكبو
لحقت بها حولى الأباريق والشرب
إذا لم يتح من أحب لى القرب
فجانبكم سهل ومنزلكم رحب
وصدكم من دون خطبها خطب
يكالها من لفظها اللؤلؤ الرطب
كما امتزج الصهباء والبارد العذب
لواجهتكم منى على مطلبى العتب
وحسبكم الفخر العميم به حسب
وطالت يداها واستخف بها العجب

فلو لم يكن بالفضل تنفق سوقها لكان يقال التبر فى أرضه ترب
 بقيتم به فى ظل جاءٍ وغبطةٍ تخب إلى لقيا نجيبكم النجب
 وقال يراجع الكاتب أبا زكريا بن أبى دلامة منهم، وقد أجابه رحمه الله
 تعالى عليه^(١):

على الطائر الميمون والطارع السعد أتتني مع الصنع الجميل على وعد
 وأحييت يا يحيى بها نفس مغرمٍ يجيل جياذ الدمع فى ملعب السهد
 نسيت وما أنسى وفائى وخلتى وأقفر ربع القلب إلا من الواجد
 وما الطل فى ثغر من الزهر باسم بأذكى وأصفى من ثنائى ومن ودى
 فأصدقته من بحر فكرى جواهرها تنظم من در الدرارى فى عقد
 وكنت أطيل القول لولا ضرورة دعتنى إلى الإيجاز فى سورة الحمد

وأنشد السلطان أبا العباس المذكور فى غراب من إنشائه^(٢):

إنسان عين الدهر جفئك قد غدا يحفك منه طائر اليمن والسعد
 إذا ما هفا فوق الرءوس شراعه أراك جناحاً مُدَّ للجزر والمد
 وأنشده فيه أيضاً^(٣):

لك الخير شأن الجفن يحرس عينه وهذا بعين الله يحرس دائماً

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٩.

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٣٩.

(٣) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٤٠.

تبيت له خمس الثريا معيذة تقلده زهر النجوم تئاماً
فيا جفن لا تنفعك في الحفظ دائماً وإن كنت في لجج من البحر عائماً
انتهى ما انتقيت من هذا التأليف الملوkey مع أنى تركت أكثره .

قلت : وإنما أطلت في كلام الرئيس ابن زمرك رحمه الله تعالى لوجهه :
أولها : أن الذى ألف الكتاب من أجله راغب فى ذلك .

الثانى : ولوع كثير من الناس بكلامه ، حتى قال شيخنا سيدى الإمام
العلامة المؤلف الكبير أبو العباس الشهير بابا^(١) السودانى رحمه الله ، بعد أن
ذكر فى التعريف به نحو عشرين سطرًا : إنى لم أقف فى أمره على غير هذا ،
ولم أقف على وفاته . وبالجملته فالذى تكلم خواص الناس فيه من أمره هو ما
فى الإحاطة والكتيبة : وأما الجم الغفير فهم بمعزل عما فى الكتابين فضلاً عن
غيره .

الوجه الثالث : أن ما نقلته من ذلك كان عندى مقيداً فى عدة أوراق ،
فخفت عليه الدروس ، فلذا جمعت بعضه هنا .

الرابع : ما اشتمل عليه من أوصاف الجهاد والخيال وغير ذلك من
الغرائب ، وليس الخبر كالعيان .

الخامس : ما فى بعضه من أمداح المصطفى ﷺ ، وهو المقصود بالذات
وغيره تبع ، وهو فى مسك ختام هذه الأوجه الخمس ، وليس يحتاج إلى دليل
نول القمر والشمس .

وقد عن لى أن أذكر جملة من موشحاته لغرابتها ، ولأن جل ما وقفت
عليه منها ينخر فى سلك المغرب ، إذ أكثره من مخلع البسيط .

(١) انظر فى ذلك : نيل الابتهاج ، ج ٢ ص ١٤٦ .

فمن ذلك قوله تشوقاً إلى غرناطة - أعادها الله - ومادحاً الغنى بالله^(١):

ومخجل الشمس والقمر	بالله يا قامة القضيب
وأيد اللحظ بالحوور	من ملك الحسن فى القلوب
لم يدر ما لذة الصبا	من لم يكن طبعه رقيقا
تملكه نفحة الصبا	فرب حر غدا رقيقا
لكن إلى الحسن قد صبا	نشوان لم يشرب الرحيقا
ونعم العين بالنظر	فعذب القلب بالوجيب
يقدح من قلبه الشرر	وبات والدمع فى صبيب
يهـفـو إذا هبت الرياح	أواه من قلبى المعنى
لطار شوقا بلا جناح	لو كان للصب ما تمنى
أسهر ليلى إلى الصباح	وبلبل الدوح إن تغنى
بالطيف فى رقدة السحر	عساك إن زرت يا طيبى
والعين تحمى من السهر	أن تجعل النوم من نصبى
بمربع القلب قد سكن	كم شادن قاد لى الحقوفا
فالقلب بالورع ما سكن	يسل من لحظه سيوفا
أحن لـإلف والسكن	خلقت من عادتى ألوفا

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٤٠.

وقربها السؤل والوطر	غرناطة منزل الحبيب
فلا عدا ربعا المطر	تبهر بالمنظر العجيب
وزهرها الحلى والحلل	عروسة تاجها السبيكة
بحسنها يضرب المثل	لم ترض من عزها شريكه
تملكها أشرف الدول	أيدها الله من مليكه
الملك الطاهر الأغرر	بدولة المرتجى المهيب
فى حلة النور والزهر	تخال من بردها القشيب
مرآتها صفحة الغدير	كرسيها جنة العريف
تحكمه صنعة القدير	وجوهر الطل فى شنوف
فمن هديل ومن هدير	والأنس فيها على صنوف
وكلل القضب بالدرر	كم خرق الزهر من جيوب
والطير تشدو بلا وتر	فالغصن كالكاغب اللعوب
وفرّح دين الهدى جديد	ولائم النصر فى احتفال
محمّد الظافر السعيد	سلطانها معمل العوالى
سلطانها المجتبى الفريد	ومخجل البدر فى الكمال
أكرم عاف إذا قدر	أصفح مولى عن الذنوب
وبحر جودٍ بلا حسر	وشمس هدى بلا مغيب

مولای یا عاقد البنود تظل الأوجه الصباح
أوحشت يا نخبة الوجود غرناطة هالة السماح
سافرت باليمن والسعود وعدت بالفتح والنجاح
يا ملهم القلب للغيوب ومطعم النصر والظفر
أسمعك الله عن قريب: «على السلام من السفر»

وقال أيضاً من الموشحات الفائقة، في مثل أغراض هذه السابقة، وأشار إلى محاسن من وصف «الدشار»^(١):

نسيم غرناطة عليل لكنه يبرئ العليل
وروضها زاهر بليل ورشفه ينقع الغليل
سقى بنجد ربا المصلى مباكراً روضها الغمام
فجفنه كلما استهلا تبسم الزهر في الكمام
والروض بالحسن قد تجلى وجرده النهر عن حسام
ودوحها ظله ظليل يحسن في ربه المقليل
والبرق والجو مستطيل يلعب بالصارم الصقيل
عقيلة تاجها السبيكة تظل بالمرقب المنيف
كأنها فوقه مليكة كرسىها جنة العريف
تطلع من عسجد سبيكة شموسها كلما تطيف

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٤٢.

أبدعك الخالق الجليل	يا منظرا كله جميل
قلبي إلى حسنه يميل	وقبلنا قد صبا جميل
وزاد للحسن فيك حسنا	محمّد الحمد والسماح
جدد للفخر فيك مغنى	فى طالع اليمن والنجاح
تدعى رشادا وفيك معنى	يخصك الفأل بافتتاح
فالنصر والسعد لا يزول	لأنه ثابت أصـليل
سعد وأنصره قبيل	آبأؤه عترة الرسول
أبدى به حكمة القدير	وتوج الروض بالقباب
ودرع الزهر بالغدير	وزين النهر بالحباب
فمن هديل ومن هدير	ما أولع الحسن بالشباب
هبت على روضها القبول	وطرفها بالسرى خليل
فلم يزل بينها يجول	حتى تبدت له حجول
للزهر فى عطفها رقوم	تلوح للعين كالنجوم
وللندى بينها رسوم	عقد الندى فوقه نظم
وكل واد بها يهيم	ولم يزل حولها يحوم
شئْلُها مدّ منها نيل	والشين ألف لمستنيل
وعين واد تسيل	من فوق خد له أسيل
كم من ظلال به ترف	تضفو لها فوقه ستور

ومن زجـاج به يشف
ومن شـموس بها تصف
مزاجها العذب سلسيل
وكيف والشيب لى عذول
يا سرحة فى الحمى ظليله
روضك الله من خمـيله
وبرقها صادق المخيله
أنجز لى وعدك القبول
«يا سرحة الحى يا مطول
ومن ذلك ما كتب به للغنى بالله^(١)»

أبلغ لغرناطة سلامى
فلو رعى طيفها ذمامى
كم بت فيها على اقتراح
أدير منها كئوس راح
أختال كالمهر فى الجماح
أضحك الزهر فى الكمام
وأفضح الغصن فى القوام
وصف لها عهدى السليم
ما بت فى ليلة السليم
أعل من خمرة الرضاب
قد زانت الشجر بالحباب
نشوان فى روضة الشباب
مباها روضه الوسيم
إن هب من جوها نسيم

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٤٤.

بينا أنا والشباب ضافى
 ومورد الأئس فيه صافى
 إذ لاح فى الفود غير خافى
 أيقظ من كان ذا منام
 وأرسل الدمع كالغمام
 يا جيرة عهدهم كريم
 لا تعذلوا الصب إذ يهيم
 القرب من ربكم نعيم
 كم من رياض به وسام
 غديرها أزرق الجمام
 أعندكم أننى بفـاس
 أذكر أهلى بها وناسى
 الله حسبى فكم أقاسى
 مطارحا ساجع الحمام
 والدمع قد لج فى انسجام
 يا ساكنى جنة العريف
 كم ثم من منظر شريف
 ورب طود به منيف
 وظله فوقنا مديد
 وبرده رائق جـديد
 صبح به نبه الوليد
 لما انجلى ليله البهيم
 فى كل واد به أهيم
 وفعلهم كله جميل
 فقبله قد صبا جميل
 وبعدهم خطبه جليل
 يزهى بها الرائد المسيم
 ونبتها كله جميم
 أكابد الشوق والحنين
 فاليوم فى الطول كالسنين
 من وحشة الصحب والبنين
 شوقا إلى الإلف والحنين
 وقد وهى عقده التنظيم
 أسكنتم جنة الخلود
 قد حف باليمن والسعود
 أدواحة الخصر كالبنود

والنهر قد سل كالحسام
والزهر قد راق بابتسام
بلغ عبيد المقام صحبى
لقاكم بغية المحب
فعندكم قد تركت قلبى
ودارك الشمل بانتظام
فى ظل سلطاننا الإمام
مؤمن العدوتين مما
وفارج الكرب إن ألما
قد راق حسنا وفاق حلما
مولاي يا نخبة الأنام
كم أرقب البدر فى التمام
ومن موشحاته فى غير المخلع، موطئا على موشحة ابن سهل التى
أولها:

«ليل الهوى يقظان»^(١)

قوله:

نواسم البستان
والطل فى الأغصان
تنثر سلك الزهر
ينظمه بالجوهر

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٤٦.

أضياء منها المشرق	وراية الإصباح
فلا تزال تخفق	تنشـرها الأرواح
لها عيون ترمق	والزهر زهر فـاح
تبصر ما لم يبصر	فأيقظ الندمان
قد عرضت للمشتري	جواهر الشهبان
يأيهـذا البـارق	قـدحت لى زندا
إذ الشـباب رائق	أذكرتنى عهـدا
ولا الفؤاد الخافق	فالشوق لا يهدا
والقلب رهن الفكر	وكيف بالسلوان
تحجب وجه القمر	وسحب الهجران
نديرها بين البـدور	لولا شـموس الكاس
منا على ربع الصـدور	وعـرج الإناس
يغرى بربات الخـدود	لكن لها وسواس
بصبح وجه مسفر	كم واله هيمان
من تحت ليل مقمر	ضياؤه قد بان
كم فيك من مرأى جميل	يا مـطلع الأنوار
ما ضر لو تشفى الغليل	ونزهة الأبصار
وعرفها يبرى العليل	يا روضـة الأزهار

يسقى بدمع همر	قضيبيك الفينان
فيض الدموع يجرى	فلا عج الأشجان
أو هل يجار الهائم	هل فى الهوى ناصر
طيف الخيال الحائم	لو كان لى زائر
ودمع عيني ساجم	ما بت بالساهر
يجهد فى ظلم البرى	والحب ذو عدوان
مؤيد بالخور	وصارم الأجفان
أذكرته عهد الصبا	رحمماك فى صب
قادت إليه الوصبا	بواعث الحب
ريح الصبا إلا صبا	لم تهف بالقلب
قد ضمخت بالعنبر	بليلة الأردن
منها بفضل المئزر	يشير غصن البان
فخر الملوك المجتبى	طيبها حمد
من حلمه إذا احتبى	من يرجح الطود
منه حساما مذهبا	قد جرد السعد
والغوث للمستنصر	فالبأس والإحسان
تحية للمنبر	تحمله الركبان
حق لها الفوز العظيم	عصابة الكتاب

تختال فى أثواب ألبستها الظول الجسيم
فحسبها الإنطاب فى الحمد والشكر العميم
خليفة الرحمن لازالت زاهية المظهر
يا مورد الظمآن ورأس مال المعسر
خدها بلا دعوى تزهى على الروض الوسيم
جاءت كما تهوى أرق من لدن النسيم
قد طارحت شكوى من قال فى الليل البهيم
«ليل الهوى يقظان والحب ترب السهر
والصبر لى خوان والنوم من عيني برى»
ومن مخلع البسيط فى الصبوحيات قوله سامحه الله تعالى ورحمه
ورضى عنه :

ريحانة الفجر قد أطلت خضراء بالزهر تزهراً^(١)
وراية الصبح إذ أظلت فى مرقب الشرق تنشر
فالشهب من غارة الصباح ترعد خسوفاً وتخفق
وأدهم الليل فى جمّاح أعنة البرق يُطلق
والأفق فى ملتقى الرياح بأدمع الغيث يشرق

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٤٨ .

فالبرق سيف مجوهر	والسحب بالجوهر استهلت
فى راحة الجو تشهر	صفاحة المذهبات حلت
بطينه الزهر يشهد	كم للصبا ثم من مقليل
فى حلية النور يغمد	والنهر كالصارم الصقيل
للطير فى حين تنشد	ورب قال به وقيل
مدائحاً عنه تشكر	فألسن الورق قد أملت
فى سندس الروض تعثر	ونسمة الصبح حين كلت
يجلو بها غيب الهموم	والكأس فى راحة النديم
من قبل أن تخلق الكروم	أقبست النار فى القديم
للزهر فى عطفه رقوم	والغصن فى ملعب النسيم
والطل فى الحلى جوهر	فلبة القضب قد تحلت
والروض بالحسن يهر	وبهجة الكون قد تجلت
والآس فى صفحة العذار	يذكرنى وجنة الحبيب
بين أقحاح وجلنار	وشارب الشارب العجيب
سلافة دونها العقار	يدير من ثغره الشنيب
بالذكر والوهم تسكر	حلت لأهل الهوى وجلت
فما لها الدهر منك	كم من نفوس بها تسلت
ريان فى روضة الشباب	يا غصن بان يميل زهوا

لو كنت تصغى لرفع الشكوى
ومن لمثلى ببث نجوى
عزائم الصبر فيك حلت
قد أكثر منك ما استقلت
كم ليلة بتهها وبها
أسامر النجم فيك حتى
أراقب بدر الدجى وأنتا
نفسى وليت ما تولت
لو سمتها الهجر ما تولت
علمها الصبر فى الحروب
معفر الصيد للجنوب
نصرت بالرعب فى القلوب
عناية الله فيه حلت
والخلق فى عصره تملت
مولاي يا نكته الزمان
جللت باليمن والأمان
لم بدر وصفى ولا عيانى
جنودك الغلب حيث حلت
أطلت من قصة العتاب
للبدر فى رفرف السحاب
وعقدة الصبر تذخر
وليت لو كنت تشعر
ضدين فى سهد والرقاد
علمت أجفانه السهاد
قد لحت فى هالة الفؤاد
دعها على الشوق تصبر
ولم تكن عنك تنفر
سلطاننا عاقد البنود
أعز من حف بالجنود
والبيض لم تبرح الغمود
بسعده الدين ينصر
غنائمًا ليس تحصر
دار بما ترتضى الفلك
كل مليك ومما ملك
أملك أنت أم ملك
بالنصر والفتح تخفر

وعادة الله فيك دلت
يا آية الله في الكمال
قدمت بالعز والجلال
يختال في حلة الجمال
ريحانة الفجر قد أطلت
وراية الصبح إذ أظلت
وقال رحمه الله تعالى وسامحه^(١):

قد طلعت راية الصباح
فباكر الروض باصطباح
فالورق هبت من السَّباتِ^(٢)
تسجع مفتنة اللغات
والغصن بعد الزهاب يأتي
وأدمع السحب في انسياح
والجو مستبشر النواحي
قم فاغتنم بهجة النفوس
وشفع الصبح بالشموس
وأذن الليل بالرحيل
واشرب على زهره البليل
لمنبر الدوح تخطب
كل عن الشوق يعرب
لأكـؤس الطل يشرب
في كل روض لها سبيل
يلعب بالصارم الصقيل
ما بين نور وبين نور
تديرها بيننا البـدور

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٥١.

(٢) تحرف في الأصل إلى: «السَّات» وصوابه من نفح الطيب.

ونبه الشرب للكئوس
ما أجمل الراح فوق راح
تغادر الصدر ذا انشراح
ولا تذر خمرة الجفون
ولتخش من اسهم العيون
عرضت منها إلى الفتون
أهيم بالغادة الرادح
لو بت منها على اقتراح
أواعد الطيف للمنام
أسهر فى ليله التمام
وألثم الزهر فى الكمّام
سفرت عن مبسم الأقاح
قل لى يا ربة الوشاح
يا كعبة الحسن زدت حسنا
وغصن بانٍ إذا تشنى
ألا انعطاف على المعنى
أصبحت تزهو على الملاح
ووجهك الشمس فى اتضاح
تمزج من ريقه الثغور
صفراء كالشمس فى الأصيل
للأنس فى طيفه مقيّل
فكسرّها فى الهوى جنون
فلإنّها رائد المنون
وكل خطب لها يهون
والجسم من حبها عليل
نقعت من ريقها الغليل
ومن لعينى بالمنام
وأنت يا بدر فى التمام
عليه من ثغرك ابتسام
وريقك العذب سلسبيل
هل لى إلى وصل من سبيل
وللهوى حولك المطاف
لو حان من زهرك القطف
فالغصن يزهو بالانعطاف
بذلك المنظر الجميل
لو أنّها لم تكن تميل

ما الزهر إلا بنظم در تحسد في حسنه العقود
 للملك الظاهر الأغـر أكرم من حف بالسعود
 محمد الحمد وابن نصر وباسط العدل في الوجود
 مساجل السحب في السماح بالغيث من رفده الجليل
 ومخجل البدر في اللياح بغرة مالها مثيل
 يا مشرب الحب في القلوب وواهب الصفح للصفاح
 نصرت بالرعب في الحروب والرعب أجدى من السلاح
 قد لحت من عالم الغيوب لم تعدم الفوز والنجاح
 مراکش نهبة افتتاح والصنع في فتحها جليل
 بشراك بالفتح والنجاح والشكر من ذلك القبيل
 ومن غير المخلع قوله في الهناء بالشفاء من مرض^(١):

في كئوس الثغر من خمر اللعس راحة الأرواح
 وتغشى الروض مسكى النفس عاطر الأرواح
 قد كسا الأدواح وشيا مذهبا يبهـر الشمسـا
 عسجد قد حل من فوق الربا يبهـج النفسـا
 فاتخذ للهو فيه مركبا تحلق الأنسـا
 منبر الغصن عليه قد جلس ساجع الأدواح

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٥٣.

حلل السندس خضرا قد لبس	عطفه المرتاح
قم ترى هذا الأصيل شاحبا	حسنه قد راق
ولأذيال الغصون ساحبا	فى حلى الأوراق
ونديمى قال لى مخاطبا	قول ذى إشفاق
عادة الشمس بغرب تخلص	هات الشمس الراح
إن أرانا الجو وجهها قد عبس	أوقد المصباح
ووجوه الشرب تغنى عن شמוש	كلما تجلى
بلحاظ أسكرتنا عن كئوس	خمرها أحلى
مظهرات من خبايا فى النفوس	سورا تتلى
ما زمان الأنس إلا مختلس	فاغتنم يا صاح
وعيون الشهب تذكى عن حرس	تخصم النصاح
ما ترى ثغر الوميض باسمما	يظهر البشرما
وثناء الروض هب ناسمما	عاطراً نشرا
بث من أزهاره دراهمما	قائلاً بشرى
ركب المولى مع الظهر الفرس	وشفى وارتاح
بجنود الله دأباً يحترس	إن غدا أو راح
وجب الشكر علينا والهنا	بعضنا بعضاً
فزمان السعد وضاح السنى	وجهه الأرضى

أثمرت فيه العوالى بالمنى
يغتنى الإسلام منها ما اغترس
شمر النقع منها قد هجس
يا إماماً بالحسام المنتضى
نصر الحقا
أخجل البرقا
توسع الحقا
بشوره وضاح
منعم صفاح
كلما هبا
تشكو الربا
مغرما صبا
يا مدير الراح
وانجلي الإصباح

وقال فى الهناء بالشفاء أيضاً، من مخلع البسيط^(١):

قد أنعم الله بالشفاء
واستكملت راحة الإمام
فلتنطق الطير بالهناء
وليضحك الزهر فى الكمام
وجوده بهجة الوجود
وبرؤه راحة النفوس

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٥٥.

قد لاح فى مرقب السعود
فادوح يومى إلى السجود
والزهر فى روضة السماء
والصبح مُستشرف اللواء
محاسن الكون قد تجلت
عرائس بالبهها تحلت
وألسن الورق قد أملت
تستوقف الخلق بالغناء
تطنب لله فى الثناء
كم من ثغور لها ثغور
ومن خدور بها بدور
تقول إذ حفها السرور
قد أنعم الله بالبقاء
قد صادف النجاح فى الدواء
يهنيك مولاي بل يهنا
فالغرب والشرب منك يعنى
والله لولاك ما تهنا
يا مورد الأنفس الظماء

واستبشرت أوجه الشموس
أكمامه حطت الرؤوس
كالزهر قد راق بابتسام
والبدر مستقبل التمام
جمالها العقل يبهز
والطل فى الحلى جوهر
مدائحاً عنه تشكر
كأنها تحسن الكلام
تقول: سلمت يا سلام
تبسم إذ جاءها البشير
يشير منها له المشير
تبارك المنعم القدير
فى ظل مولى به اعتصام
فالداء عنا له انفصام
ببرئك الدين والهدى
بمذهب الخطب والردى
من فيه من سطوة الردى
قد كان يشترفها الأوام

وقرة العين بالبهاء رددت للأعـيين المنام
لو أبذل الروح فى البشاره بذلت بعض الذى ملك
فأنت يا نفس مستعاره مولاك بالفضل جملك
لم أرد إذ أسطر العـباره أمـلك هو أم ملك
لا زلت مـولاي فى هناء تبلغ القصـد والمـرام
ودمت للملك فى اعتلاء تسحب أذياله الغـمام
وقال أيضاً يصف مالفقة ويمدح الغنى بالله^(١):

عليك يا رية السلام ولا عـدا ربـك المطر
مذ حل فى قصرـك الإمام فَـقُـرْبُكَ السـؤـل والوطر
كم فيك للمغرم المشوق من منظر يبهـج النفوس
والدوح فى روضـك الأنـيق للشكر قد حطت الرءوس
والجو من وجهـك الشـريق تحسده أوجه الشـموس
وأعـيين الزهر لا تنام تستعذب السهد والسهر
تنفث من تحتها الغـمام ترقـيك من أعـيين الزهر
عروسـة أنت يا عـقيله تجلى على مظهر الكمال
مدت لك الكف مستـقيله تمسح أعطافـك الشـمال
والبحر مرآـتك الصـقيله تشف عن ذلك الجـمال

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٥٧.

والحلى زهر له انتظام
قد راق من ثغره ابتسام
إن قيل من بعلها المفدى
أقول أسنى الملوك رفداً
محمد الحمد حين يهدى
تخبر عن طيبه الكمام
فالسعد والرعب والحسام
ذو غرة تحسر البدورا
كم راية سامها ظهورا
وكم ظلام جللاه نورا
الظاهر الظاهر الهمام
لسيفه فى العدا احتكام
يا مرسل الخيل فى الغوار
لك الجوارى إذا تجارى
تستن فى لجة البحار
فالدين وليقصر الكلام
كذاك أسلافك الكرام

يكال القضب بالدرر
والورد فى خدها خفر
ومن له وصلها مباح
مخلد الفخر بالصفاح
ثناؤه عاطر الرياح
والخبر يغنى عن الخبر
والنصر آياته الكبر
وظلعه تخجل الصباح
تظلل الأوجه الصباح
أظفر بالفوز والنجاح
أعز من صال وافتخر
جربى به سابق القدر
لو تطلب البرق تلحق
سوابق الشهب تسبق
فالكفر منهن يفرق
بسيفك اعتز وانتصر
هم نصروا سيد البشر

وقال من غير هذا البحر فى المحدث^(١) بمالقة^(٢):

قد نظم الشمل أتم انتظام	واغتتم الأحباب قرب الحبيب
واستضحك الروض ثغور الكمام	عن مبسم الزهر البرود الشنيب
وعمم النور رءوس الربا	وجلل النور صدور البطاح
وصافح القضب نسيم الصبا	فالزهر يرنو عن عيون وقاح
وعاد للروض زمان الصبا	فقلد النهر مكان الوشاح
وأطلع القصر بدور التمام	فى طالع الفتح القريب الغريب
خدورها قامت مقام الغمام	لا أشتكى من بعدها بالمغيب
أصبحت يا رية مجلى الشموس	جمالك العين به تبهر
والبشر يسرى فى جميع النفوس	وراية الأنس بها تنشر
والدوح للشكر تحط الرءوس	وأنجم الزهر بها تزهر
وراجع النهر غناء الحمام	وقد شدت تسجع الخطيب
بمنبر الغصن الرشيق القوام	لما انثنى يهفو بقدرطيب
يا حبذا مبناك فخر القصور	بدوحة طالت بروج السما
ما مثله فى سالفات العصور	ولا الذى شاد ابن ماء السما
كم فيه من مرأى بهيج ونور	فى مرتقى الجو به قد سما

(١) المحدث: اسم مبنى عجيب كان بمالقة.

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٥٨.

خليفة الله ونعم الإمام
 يهنيك شمل قد غدا في التمام
 نواسم الوادى بِمِسْكٍ تفوح
 وبهجة السكان فيه تلوح
 وروضه بالسمر منه تبوح
 لو أن من يفهم عنا الكلام
 ونهره قد سل منه الحسام
 فأجمل الأيام عصر الشباب
 يا درة القصر وشمس القباب
 بشرك الرب بحسن المآب
 ولا يزال القصر قصر السلام
 يتلو عليك الدهر في كل عام:

أتحفك الدهر بصنع عجيب
 م مهد فى ظل عيش خصيب
 ونفحة الند به تعبق
 وجوه من نورهم يشرق
 بلابل عن وجده تنطق
 فهى تهنيك هناء الأديب
 يلحظه النرجس لحظ المريب
 وأجمل الأجل يوم اللقا
 وهازم الأحزاب فى الملتقى
 متعك الله بطول البقا
 يختال فى برد الشباب القشيب
 «نصر من الله وفتح قريب»

وقال - رحمه الله - من المخلع فى الشفاء^(١):

فى طالع اليمن والسعود
 فأشرق النور فى الوجود
 قد طلعت راية النجاح
 وقال حى على الفلاح

قد كملت راحة الإمام
 وابتسم الزهر فى الكمام
 وانهزم البأس والعنا
 مؤذن الفوز بالمنى

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٦٠.

فالدهر يأتى بالاقتراح
 تخفق منشورة البنود
 والأنس مستجمع الوفود
 وأكؤس الطل مترعات
 والطيـر مُفْتَنَّةُ اللغات
 والغـصن يذهب ثم يأتى
 والدوح يومى إلى السجود
 والريح خافقة البنود
 مظاهر للجـمال تجلى
 وباهر الحسن قد تجلى
 قد هنأت بالشفاء مولى
 ما بين باس وبين جود
 فالدين ذو أعين رقود
 والكأس فى راحة السقاة
 يهديكها رائق السمات
 والشمس تذهب للبيات
 والزهر فى اليانع المجرد
 والروض من حلبة الغمود
 مستقبلا أوجه الهنا
 والسعد يقدم من أمام
 والطف مستعذب الجمام
 بأمل السوسن الندى
 تشدو بأصوات معبد
 بالسندس الغض مرتدى
 شكرا لذى الأنعم الجسام
 تبارك الروض بالغمام
 قد هز أعطافها السرور
 ما بين نور وبين نور
 بعصره تفخر العصور
 قد مهد الأمن للأنام
 وكان لا يطعم المنام
 تروح طورا وتغتدى
 ما بين برق وفرق قد
 قد لبست ثوب عسجد
 يقابل الشرب بابتسام
 قد جرد النهر عن الحسام

مولای یا أشرف الملوك
أهديك من جوهر السلوك
جعلت تنظيـمه سلوكى
تحية الواحد المجيد
عليك من راحم ودود
وقال رحمه الله تعالى من الرمل المجزوء^(١):

وجه هذا اليوم باسم
هاتها صاح كئوسا
وارتقب منها شـموسا
ما نرى الروض عروسا
وأنت رسل النـواسم
قد أهلت بالبـشائر
سنحت فى يمن طائر
فانشروها فى العشائر
وأشيعوا فى العوالم
أى نور يتوقـد
أى فخر يتـخلد
وعصمة الخلق أجمعين
يقذفه بحرك المعين
وأنت لى المنجد المعين
ورحمة الله والسلام
يا مخجل البدر فى التمام

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٦١.

إِنَّمَا الْمَوْلَى مُحَمَّدٌ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى
 كَفَّهُ الْبَحْرُ الْمَقَاسِمَ وَبَهَا حَجَّ الْمَبَاسِمِ
 خَيْرَ أَمْلَاقِ الزَّمَانِ مِنْ بَنَى سَعْدَ وَنَصَرِ
 مَا تَرَى أَنْ الشَّوَانِي فِي صَعِيدِ الْبَرِّ تَجْرِي
 قَدْ أَطَارَتْهَا التَّهَانِي دُونَ بَحْرِي وَبَحَرِ
 مَذْرَأَتْ بِحَرَ النِّعَائِمِ كُلُّهَا جَارَ وَعَامِ
 فَهَنِيئًا بِالشِّفَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَلَنَا حُقَّ الْهِنَاءِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 إِنْ جَهَرْنَا بِالْذِّعَاءِ يَنْطِقُ الدَّهْرُ أَمْرِينَ
 دَمَتْ مَحَارِوسَ الْمَكَارِمِ بِظَبْيِ الْبَيْضِ الصَّوَارِمِ
 وَقَالَ يَهْنِئُ السُّلْطَانُ مُوسَى بْنِ السُّلْطَانِ أَبِي عَنَانَ وَقَدْ وَجَّهَ إِلَيْهِ الْغَنَى
 بِاللَّهِ أُمَّهُ وَعِيَالَهُ عِنْدَ تَمْلِكِهِ الْمَغْرِبِ مِنْ قَبْلِهِ:

قَدْ نَظَّمَ الشَّمْلَ أَتَمَّ انْتِظَامَ وَلَا حَتَّ الْأَقْمَارَ بَعْدَ الْمَغِيبِ^(١)
 وَأَضْحَكَ الرُّوْضَ ثَغُورَ الْكَرَامِ عَنْ مَبْسَمِ الزَّهْرِ الْبُرُودِ الشَّنِيبِ
 وَعَاوَدَ الْغَصْنَ زَمَانَ الصَّبَا وَأَشْرَبَ الْأَنْسَ جَمِيعَ النِّفُوسِ
 وَعَمَّمَ النُّورَ رَعُوسَ الرِّبَا وَجَلَّلَ النُّورَ وَجْهَ الشَّمُوسِ
 وَأَطْرَبَ الْغَصْنَ نَسِيمَ الصَّبَا فَالِدُوحَ لِلشُّكْرِ يَحِطُّ الرُّعُوسِ

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٦٣.

واستقبل البدر لىالى التمام
 وراجع الأطيّار سجع الحمام
 نواسم الوادى بمسك تفوح
 وبهجة السكان منه تلوح
 وعرفهم بالطيب منهم يفوح
 والنهر قد سل كمثل الحسام
 وقال ثغرها قد راق منه ابتسام
 كواكب أبراجهن الخدور
 جواهر أصدافهن القصور
 يا حبذا والله ركب السرور
 ابتهج الكون بموسى الإمام
 وعاده يخدم مثل الغلام
 أكرم به والله وفد الكريم
 مرضاتها تحظى بدار النعيم
 بشر بالنصر وفتح جسيم
 لقاءها المبرور مسك الختام
 وقصرك الميمون قصر السلام
 مولاي يهنئك وحق الهنا
 وصافح الصبح بكف خضيب
 بكل ذى لحن بديع غريب
 ونفحة الند به تعبق
 وجّوه من نورهم يشرق
 كأنه من عنبر يفتق
 حبابه تطفو وطورا تغيب
 يهنئ الأحباب قرب الحبيب
 يلوح عنها كل بدر لياح
 نظّمها السعد كنظم الوشاح
 يبشر المولى بنيل اقتراح
 واختال فى برد الشباب القشيب
 شبابه قال عاد بعد المشيب
 مولاتنا الحرة فى مقدمه
 وتوجب التوفيق من منعمه
 وخيره أجمع فى مقدمه
 بشرك الله بصنع عجيب
 خص بحفظ من سميع مجيب
 قد نظم الشمل كنظم السعود

قد فزت بالفخر ونيل المنى وأنجز السعد جميع الوعود
وقرت العين وزال العنا وكلمما مر صنيع يعود
فلا يزل ملكك حلف الدوام يحوز فى التخليد أو فى نصيب
يتلو عليك الدهر بعد السلام «نصر من الله وفتح قريب»

وقال رحمه الله فى وصف غرناطة والطرده وغيرها^(١):

لله ما أجمل روض الشباب من قبل أن يفتح زهر المشيب
فى عهده أدت كأس الرضاب حبابها الدر بثغر الحبيب
من كل من يخجل بدر التمام مهما تبدى وجهه للعيون
ويفضح الغصن بلين القوام وأين منه لين قد الغصون
ولحظه يمضى مضاء الحسام ويذهل القلب بسحر الجفون
أبصرت منه إذ يحط النقاب شمسا ولكن ما لها من مغيب
إذا تجلت بعد طول ارتقاب صرفت عنها اللحوظ خوف الرقيب
من عاذرى منه فؤاد صبا للامع البرق وخفق الرياح
يطير إن هب نسيم الصبا تعيره الريح خفوق الجناح
ما أولع الصب بعهد الصبا وهل على من قد صبا جناح
فقلبه من شوقه فى التهاب قد أحرق الأكباد منه الوجيب
والجفن منه سحبه فى انسكاب قد روض الخد بدمع سكيب

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٦٤.

غُرناطة ريع الهنا والمنى وقربها السؤل ونيل الوطر
وطيبها بالوصل لو أمكنا لم أقطع الليل بطول السهر
عما قريب حق فيه الهنا بِيَمْنِ ذِي العود بعد السفر
ويحمد الناس نجاح الإياب بل صنع مستجد غريب
ويكتب الفأل على كل باب «نصر من الله وفتح قريب».
ما لذة الأملاك إلا القنص لأنّه الفأل بصيد العدا
كم شارد جرع فيه الغصص وأورد المحرّوب ورد الردى
وكم بذا الفحص لنا من حصص قد جمع البأس بها والندى
ومنها أبيات سقطت (١):

مولاي مولاي وأنت الذى جددت للأملاك عهد الجلال
والشمس والبدر من العوذ لما رأّت منك بديع الجمال
والروض فى نعمته يغتذى بطيب ما قد حزته من خلال
بشراك بشراك بحسن المآب تستضحك الروض بثغر شبيب
ودمت محروس العلا والجناب بعصمة الله السميع المجيب
وقد طال الكلام؛ ولنجعل آخر موشحة له رحمه الله تعالى زهرية فى
مدح المصطفى ﷺ، وتكون مسك الختام، وهى:

لو ترجع الأيام بعد الذهاب لم تقدح الأشواك ذكرى حبيب
وكل من نام ليل الشباب يوقظه الدهر بصبح المشيب

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٢٦٥.

يا راكب العجز ألا نهضة
لا تحسن أن الصبا روضة
فالعيش نوم والردى يقظة
والعمر قد مر كمر السحاب
وأنت مخدوع بلمع السراب
والله ما الكون بما قد حوى
وعادة الظل إذا ما استوى
أنا إلى الله عبيد الهوى
فكل من يرجو سوى الله خاب
يستقبل الرجعى بصدق المتاب
سا حسرتا مر الصبا وانقضى
واخجلتا والرحل قد قوَّضَا
وليته لو كنت فيما مضى
قد حان من ركب التصابى إياب
يا أكمه القلب بغين الحجاب
هل يحمل الزاد لدار الكريم
فجاهه ذخر الفقير العديم
والله سماه الرؤوف الرحيم
قد ضيق الدهر عليك المجال
تنام فيها تحت فئ الظلال
والمرء ما بينهما كالخيال
والملقى بالله عما قريب
تحسبه ماء ولا تستريب
إلا ظلال توهم الغافلا
تبصره متنقلا زائلا
لم نعرف الحق ولا الباطلا
وإنما الفوز لعبد منيب
ويرقب الله الشهيد القريب
وأقبل الشيب يقص الأثر
وما بق فى الخبر غير الخبر
أدخر الزاد لطول السفر
ورائد الرشاد أطال المغيب
كم ذا أناديك فلا تستجيب
والمصطفى الهادى شفيع مطاع
وحبه زادى ونعم المتاع
فجاره المكفول ما إن يضاع

عسى شفيع الناس يوم الحساب وملجأ الخلق لدفع الكروب
يلحقني منه قبول مجاب يشفع لى فى موبقات الذنوب
يا مصطفى والخلق رهن العدم والكون لم يفتق كمام الوجود
مزية أعطيتها فى القدم بها على كل نبى تسود
مولدك المرقوب لَمَّا نجم أنجز للأمة وَعَدَ السعود
ناديت لو يسمع لى بالجواب شهر ربيع: يا ربيع القلوب
أطلعت للهدى بغير احتجاب شمسا ولكن مالها من غروب
وليكن هذا آخر ما أردناه، وقصدناه من شأن ابن زمرك وسردناه.

وسنح لى أن أنتقى بعض كلام ابن خلدون فى تاريخه الكبير فى ذكر
الموشحات والأزجال، فنقول:

قال رحمه الله: وأما أهل^(١) الأندلس فلما كثر الشعر فى قطرهم
وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التعميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم
فنا منه، وسموه بالموشح، ينظمونه أسماطا أسماطا، وأغصانا أغصانا،
يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة، ويسمون منا بيتا واحدا، ويلتزمون عدد
قوافى تلك الأغصان وأوزانها متتالية فيما بعد، إلى آخر القطعة وأكثر ما
يتتهى عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب
الأغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل فى القصائد، وتجاوزوا
فى ذلك إلى الغاية واستظرفه الناس وحمده الخاصة والكافة، لسهولة تناوله
وقرب طريقه.

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥١٨ (طبعة بولاق ١٨٦٨م).

وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافى القبرى من شعراء
الأمير عبد الله بن محمد المروانى، وأخذ عنه ذلك عبد ربه صاحب كاتب
العقد، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتهما، فكان أول
من برع فى هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز، شاعر المعتصم بن صمادح
صاحب ألمرية، وقد ذكر الأعلام البطليوسى أنه سمع أبا بكر بن زهر يقول:
كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيم اتفق له من قوله:

بدر تم شمس ضحى غصن نقا مسك شم
ما أتم ما أوضحا ما أورقا ما أتم
لا جرم من لمحا قد عشقا قد حرم
وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذى كانوا فى زمان
ملوك الطوائف، وجاء مصليا خلفه منهم ابن ارفع رأسه شاعر المأمون بن ذى
النون صاحب طليطلة. قالوا: وقد أحسن فى ابتدائه فى الموشحات التى
طارت له حيث يقول:

العود قد ترنم بأبدع تلحين
وسقت المذائب رياض البساتين
وفى انتهائه حيث يقول:

تخطر ولا تسلم عساك المأمون
مروع الكتائب يحيى بن ذى النون

ثم جاءت الحلقة التي كانت في مدة المثلثين ، فظهرت لهم البدائع
وفرسان حلبتهم الأعمى التطيلي ، ثم يحيى بن بقى ، وللتطيلي من الموشحات
المذهبة قوله :

كيف السبيل إلى صبرى وفى العالم أشجان
والركب وسط الفلا بالخرد النواعم قد بانوا
وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن
جماعة من الوشاحين اجتمعوا فى مجلس بإشبيلية وكان كل واحد منهم قد
صنع موشحة وتأنق فيها فتقدم الأعمى التطيلي للإنشاد فلما افتتح موشحته
المشهورة بقوله :

ضاحك عن جمان سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان وحواه صدى
حرق ابن بقى موشحته ، وتبعه الباكون .

وذكر الأعلام البطليوسى أنه سمع ابن زهر يقول : ما حسدت قط وشاحا
على قول إلا ابن بقى حين وقع له :

أما ترى أحمد فى مجده العالى لا يلحق
أطلعته المغرب فأرنا مثله يا مشرق

وكان فى عصرهما من الوشاحين للطبوعين أبو بكر بن الأبيض ، وكان
فى عصرهم أيضاً الحكيم أبو بكر بن باجّه صاحب التلاحين المعروفة .

ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومة ابن تيفلويت صاحب
سرقسطة ، فألقى على بعض موشحته :

جرر الذيل أيما جر

فطرب الممدوح لذلك وختمها بقوله :

عقد الله راية النصر لأمير العلا أبى بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح : واطرباه ! وشق ثيابه
وقال : ما أحسن ما بدأت وما ختمت وحلف بالأيمان المغلظة ألاّ يمشى ابن
باجة إلى داره إلاّ على الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بأن جعل
ذهبا فى نعله ومشى عليه .

ثم قال ابن خلدون بعد كلام : واشتهر بعد هؤلاء فى صدر دولة
الموحدين محمد بن أبى الفضل بن شرف . ثم قال : وابن هردوس الذى له :

يا ليلة الوصل والسعود بالله عودى

وأبو موهّد الذى له :

ما العيد فى حلةٍ وطاق وشم طيب

وإنّما العيد فى التلاقى على الحبيب

وأبو إسحاق الزويلى : سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول أنّه دخل
على ابن زهر وقد أسن وعليه زى البادية ، إذ كان يسكن بحصن إستبه ، فلم
يعرفه ؛ فجلس حيث انتهى به المجلس ، وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه ،
موشحة وقع فيها :

كحل الدجى يجرى من مقلة الفجر على الصباح
ومعصم النهر فى حللٍ خضر من البطاح
فتحرك ابن زهر، وقال: أنت تقول هذا؟ قال: اختبر؛ قال: ومن تكون
فعرّفه، فقال: ارتفع فوالله ما عرفتكَ. قال ابن سعيد: وسابق الحلبة التى
أدركت هو أبو بكر ابن زهر وقد شرّقت موشحاته وغرّبت. قال: وسمعت أبا
الحسن سهل بن مالك يقول: قيل لابن زهر: لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك
فى التوشيح؟ فقال: كنت أقول^(١):

ما للمـوله من سكره لا يفـيق يا له سكران
[من غير خمر ما للكئيب المشوق بندب الأوطان]^(٢)
هل تستعاد أيامنا بالخليج وليـالينا
إذ يستفاد من النسيم الأريج مـسك دارينا
وإذ يكـاد حسن المكان البهيج أنْ يُحـيِّـيـنـا
نهر أظله دوح عليه أنيق مـورق فينان
والماء يجـرى وعائم وغريق من جنى الريحان
واشتهر بعده ابن حيون. إلى أن قال ابن خلدون: وبعد هؤلاء ابن
حزمون بمرسية. ذكر ابن الرائس أن يحيى الخزرجى دخل عليه فى مجلسه:
فأنشده موشحة لنفسه، فقال له ابن حزمون: ما الموشح بموشح حتى يكون
عاريا عن التكلف؟ فقال: على مثل ماذا؟ قال على مثل قولى^(٣):

(١) نفح الطيب ٩/٧.

(١) التكملة عن مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٠، والنفح ٩/٧.

(٣) نفح الطيب ١٠/٧.

يا هاجرى هل إلى الوصال منك سبيل
أو هل ترى عن هواك سالى قلب العليل
وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة . قال ابن سعيد: كان والدى يعجب
بقوله^(١):

إنَّ سيل الصباح فى الشرق عاد بحرًا فى أجمع الأفق
فتداعت نواذب الورق أتراها خافت من الغرق
فبكت سحرة على الورق

واشتهر بإشيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل . قال ابن سعيد عن
والده: سمعت سهل بن مالك يقول له: يا بن الفضل، لك على الوشّاحين
الفضل بقولك^(٢):

وا حسرتا لزمان مضى عشية بان الهوى وانقضى
وأفرد بالرغم لا بالرضا وبت على جمرات الغضى
أعانق بالفكر تلك الطلول وألثم بالوهم تلك الرسوم
قال: وسمعت أبا بكر بن الصابونى ينشد الأستاذ أبا الحسن الدباج
موشحاته غير ما مرة، فما سمعته يقول: لله درك إلا فى قوله^(٣):

قسما بالهوى لذى حجر ما الليل المشوق من فجر
جمد الصبح ليس يطرد ما ليلالى فيما أظن غد
صح يا ليل أنك الأبد

أو تَقَضَّتْ قوادم النسر فنجوم السماء لا تسرى

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٠ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ١٠ .

(٣) نفح الطيب ج ٧ ص ١٠ .

ومن موشحات ابن الصابوني قوله^(١):

ما حال صب ذى ضنى واكتئاب أمرضته يا ويلتاه الطبيب
عامله محبوبه باجتئاب ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
جفا جفوني النوم لكننى لم أبكه إلا لفقد الخيال
وذا الوصال اليوم قد عزنى منه كما شاء وشاء الوصال
فلست باللائم من صـدنى بصورة الحق ولا بالمحال

واشتهر ببر العداوة ابن خلف الجزارى صاحب الموشحة المشهورة^(٢):

يد الإصباح قدحت زناد الأنوار من مجامر الزهر
وأبن الخرز البجائي، وله من موشحة:

ثغر الزمان موافق حياك منه بابتسام

ومن محاسن الموشحات موشحة ابن سهل شاعر إشبيلية وسبته من بعدها^(٣):

هل درى ظبى الحمى أن قد حمى قلب صب حله عن مكنس
فهو فى نار وخفق مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس
وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس [والمغرب لعصره]^(٤) فقال:

(١) نفح الطيب ١١/٧ .

(٢) نفح الطيب ١١/٧ .

(٣) نفح الطيب ١١/٧ .

(٤) التكملة عن نفح الطيب ١١/٧ .

جادك الغيث إذا الغيث همى
لم يكن وصلك إلاّ حلما
إذ يقود الدهر اشتات المنى
زمرًا بين فرادى وثنى
والحيا قد جلل الروض سنًا
وروى النعمان عن ماء السما
فكساه الحسن ثوبا معلما
فى ليال كتمت سر الهوى
مال نجم الكأس فيها وهوى
وطر ما فيه من عيب سوى
حين لَذَّ النوم مع حلو اللمى
غارت الشهب بنا أو ربما
أى شىء لامرئٍ قد خلاصا
تنهب الأزهار منه الفرصا
فلإذا الماء تناجى والحصى
تبصر الورد غيور برما
وترى الآس لبيبا فهما
يُهَيَّلَ الحى من وادى الغضى

يا زمان الوصل بالأندلس^(١)
فى الكرى أو خلصة المختلس
تنقل الخطو على ما يرسم
مثلما يدعو الوفود الموسم
فثغور الزهر فيه تبسم
كيف يروى مالك عن أنس
يزدهى منه بأبهى ملبس
بالدجى لولا شمس الغرر
مستقيم السير سعد الأثر
أنه مر كلمح البصر
هجم الصبح هجوم الحرس
أثرت فينا عيون النرجس
فيكون الروض قد مكن فيه
أمنت من مكره ما تتقيه
وخلا كل خليل بأخيه
يكتسى من غيظه ما يكتسى
يسرق السمع بأذنى فرس
وبقلبى مسكن أنتم به

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١١ .

ضاق عن وجدى بكم رحب الفضا
 فأعيدوا عهد أنس قد مضى
 واتقوا الله وأحيوا مغرما
 حبس القلب عليكم كرما
 وبقلبي منكم مقترب
 قمر أطلع منه المغرب
 قد تساوى محسن أو مذهب
 ساحر المقلة معسول اللمي
 سدد السهم وسمى ورمى
 إن يكن جار وخاب الأمل
 فهو للنفس حبيب أول
 أمره معتمد ممتثل
 حكم اللحظ بها فاحتكما
 منصف المظلوم ممن ظلما
 ما لقلبي هبت صبا
 كان فى اللوح له مكتبا
 جلب الهم له والوصبا
 لاعج فى أضلعي قد أضرمها
 لا أبالى شرقه من غربه
 تعتقدوا عانيكم من كربه
 يتلاشى نفسا فى نفس
 أفترضون عفاء الحبس
 بأحاديث المنى وهو بعيد
 شقوة المغرى به وهو سعيد
 فى هواه بين وعد ووعد
 جال فى النفس مجال النفس
 ففؤادى نهبة المفترس
 وفؤاد الصب بالشوق يذوب
 ليس فى الحب لمحبوب ذنوب
 فى ضلوع قد براها وقلوب
 لم يراقب فى ضعاف الأنفس
 ومجازى البر منها والمسى
 عاد عيد من الشوق جديد
 قوله: «إنَّ عذابى لشديد»
 فهو للأشجان فى جهد جهيد
 فهى نار فى هشيم اليبس

لم يدع فى مهجتي إلا ذما كبقاء الصبح بعد الغلس
سلمى يا نفس فى حكم القضا واعمري الوقت برجعى ومتاب
دعك من ذكرى زمان قد مضى بين عتبى قد تقضت وعتاب
واصر فى القول إلى المولى الرضا ملهم التوفيق فى أم الكتاب
الكريم المنتهى والمنتضى أسد السرج وبدر المجلس
ينزل النصر عليه مثلما ينزل الوحي بروح القدس
قال^(١): وأما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات .
ومن أحسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سناء الملك المصرى ، التى
اشتهرت شرقا وغربا ، وأولها :

يا حبيبى^(٢) ارفع حجاب النور عن العذار
نظر المسك على الكافور فى جلنار
كللى يا سحاب التيجان الربا بالحللى
واجعل على سوارها منعطف الجدول
ولما شاع فن التوشيح فى أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته
وتنميق كلامه ، وتصريح أجزائه ، نسجت العامة من أهل الأمصار على
منواله ، ونظموا على طريقته بلغتهم الحضرية ، من غير أن يلتزموا فيه إعرابا ،
واستحدثوا فنا سموه بالزجل ، والتزموا النظم فيه على مناحيهم إلى هذا
العهد ، فجاءوا فيه بالغرائب ، واتسع فيه للبلاغة مجال ، بحسب لغتهم
المستعجمة .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٤ ونفح الطيب ج ٧ ص ١٤ .
(٢) تحرف فى المطبوع إلى : «حبيبى» والصواب عن المصدرين المذكورين .

وأول من أبدع فى هذه الطريقة الزجاجية أبو بكر بن قرمان وإن كانت
قيلت قبله بالأندلس لكن لم تظهر حلاها ولا انسبكت معانيها ولا اشتهرت
رشاقتها إلا فى زمانه وكان لعهد المثلثين وهو إمام الزجاجيين على الإطلاق

قال ابن سعيد: ورأيت أزجاله مروية ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر
المغرب. قال: وسمعت أبا الحسن بن جحدر الإشبيلي إمام الزجاجيين فى
عصرنا يقول: ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قرمان شيخ
الصناعة وقد خرج إلى متنزه مع بعض أصحابه فجلسوا تحت عريش وأمامهم
تمثال أسد من رخام يصب الماء من فيه على صفائح من الحجر فقال^(١):

وعريش قد قام على دكان بحال رواق
وأسد قد ابتلع الثعبان فى غلظ ساق
وفتح فَمُو بحال إنسان به الفـواق
وانطلق يجرى على الصفاح وألقى الصياح

وكان ابن قرمان مع أنه قرطبي الدار كثيراً ما يتردد إلى إشبيلية ويتتاب
نهرها.

ثم ذكر ابن خلدون عنه وعن جماعة حكاية وكلاماً إلى أن قال:
وجاءت بعدهم حلبة كان سابقها مدغليس وقعت له العجائب فى هذه الطريقة
فمن قوله فى زجله المشهور:

ورذاذ دق يـنـزل وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض وترى الآخر يذهب

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٤، ونفح الطيب ج ٧ ص ١٥.

والنبات يشرب ويسكر والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجئ إلينا ثم تستحي وتهرب
ومن محاسن أزجاله قوله :

* لاح الضياء والنجوم حيارى *

ثم قال ابن خلدون^(١): وظهر بعد هؤلاء فى إشبيلية ابن جحدر الذى
فضل على الزجالين فى فتح ميورقة بالزجل المشهور الذى أوله :
من عاند التوحيد بالسيف يمحق أنا برئ ممن يعاند الحق
قال ابن سعيد: لقيته ولقيت تلميذه البعبع صاحب الزجل المشهور الذى
أوله :

يا ليتنى إن ريت حبيبى أفتل اذنو بالرسى لا
ليش أخذ عنق الغزيل وسرق فم الحجى لا
ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك إمام الآداب ثم من بعدهم
لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب إمام النظم والنثر فى الملة
الإسلامية غير مدافع فمن محاسنه فى هذه الطريقة :

امزج الأكواس واملالى نجد ما خلق المال إلا أن يبدد
ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى الششتري منهم :

بين طلوع وبين نزول اختلطت الغزول
ومضى من لم يكن وبق من لم يزول

(١) المقدمة ص ٥٢٦ .

ومن محاسنه أيضاً قوله فى ذلك المعنى :

البعد عنك يا بنى أعظم مصابى
و حين حصل لى قربك نسيت أقاربى

وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالأندلس محمد بن عبد العظيم، من أهل وادى آش، وكان إماما فى هذه الطريقة، وله من زجل يعارض به مدغليس فى قوله :

* لاح الضياء والنجوم حيارى *

بقوله :

حل المـجـون ياهل الشطارا مذ حلت الشمس بالحمل
ثم ذكر ابن خلدون جملة من هذا الزجل وقال بعد ذلك : وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هى فن العامة بالأندلس من الشعر وفيها نظمهم حتى إنهم لينظمون بها فى سائر البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم العامية ويسمونه الشعر الزجلى . إلى أن قال : وكان من المجيدين فى هذه الطريقة لأول هذه المئة الأديب أبو عبد الله اللوشى وله من قصيدة يمدح فيها السلطان ابن الأحمر :

طل الصباح قم يا نديم نشربو ونضحكو من بعد ما نظربو
ثم سردها ابن خلدون وهى طويلة جدا^(١) .

ثم قال : ثم استحدث أهل الأماص بالمغرب فنا آخر من الشعر فى أعاريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضاً وسموه عروض

(١) وردت بطولها فى مقدمة ابن خلدون ج ١ ص ٥٢٧ .

البلد وكان أول من استحدثه بينهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف
بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذهب
الإعراب [إلا قليلا]^(١) مطلعها:

أبكاني بشاطى النهر نوح الحمام	على الغصن فى البستان قريب الصباح ^(٢)
وكف السحر تمحو مداد الظلام	وماء الندى يجرى بشجر الأقاح
باكرت الرياض والطل فيه افتراق	سر الجوهر فى نحور الجوار
ودمع النواعر ينهرق انهراق	يحاكى ثعابين حلقت بالثمار
لووا بالغصون خلخال على كل ساق	ودار الجميع بالروض دور السوار
وأيدى الندى تخرق جيوب الكمّام	وتحمل نسيم المسك عنها رياح
وعاج الضياء يطلى بمسك الغمام	وجر النسيم ذيلو عليها وفاح
رأيت الحمام بين الورق فى القضب	قد ابتلت ارياشو بقطر الندى
ينوح مثل ذاك المستهام الغريب	قد التف من ثوبو الحديد فى ردا
ولكن بفاه أحمر وساق خصيب	ينظم سلوك جوهر ويتقلدا
جلس بين الأغصان جلسة المستهام	جناحا توسد والتوى فى جناح
وصار يشتكى ما فى الفؤاد من غرام	منها ضم منقارو لصدرو وصاح
فقلت احمام أحرمت عيني الهجوع	أدى ما تزال تبكى بدمع سفوح
قال لى بكيت حتى صفت لى الدموع	بلا دمع نبقى طول حياتى نوح

(١) التكملة عن مقدمة ابن خلدون.

(٢) ابن خلدون ج ١ ص ٥٢٩.

على فرخ طار لى لم يكن لو رجوع ألفت البكا والحزن من عهد نوح
كذاك هو الوفا كذا هو الذمام انظر للجفون صارت بحال الجراح
وأنتم من بكى منكم إذا تم عام يقول قد عيانى ذا البكا والنواح
فقلت احمام لو خضت بحر الضنى كان تبكى وترثى لى بدمع هتون
ولو كان بقلبك ما بقلبى أنا رماد كان يصير تحتك فروع الغصون
اليوم لى نقاسى الهجر كم من سنا حتى لا سبيل جملة ترانى العيون
ومما كسا جسمى النحول والسقم أخافنى نحولى عن عيون اللواح
لو جتنى المنايا كان نموت فى المقام ومن مات بعد يا قوم لقد استراح
ثم قال ابن خلدون: فاستحسنه أهل فاس، وولعوا به، ونظموا على
طريقته، وتركوا الإعراب الذى [ليس]^(١) من شأنهم، وكثر شياعه بينهم،
واستحفل فيه كثير منهم، ونوعوه أصنافا، إلى المزدوج، والكازى، والملبة،
والغزل؛ واختلفت أسماؤها باختلاف ازدواجها، وملاحظاتهم فيها.

فمن المزدوج ما قاله ابن شجاع، من فحولهم، وهو من أهل تازا^(٢):
المال زينة الدنيا وعز النفوس ييهى وجوها ليس هى باهيا
فها كل من هو كثير الفلوس ولوه الكلام والرتبة العاليا
يكبروا من كتر ماله ولو كان صغير ويصغر عزيز القوم إذا يفتقر
من ذا ينطبق صدرى ومن ذا يغير وكاد ينفقع لولا الرجوع للقدر

(١) التكملة عن مقدمة ابن خلدون.

(٢) ابن خلدون ج ١ ص ٥٣٠.

حتى يلتجى من هو فى قومه كبير
لقد ينبغى نحزن على ذى العكوس
أدى صارت الأذنان أمام الرؤوس
ضعف الناس عمل ذا أو فساد الزمان
أدى صار فلان اليوم يصبح بو فلان
عشنا والسلام حتى رأينا عيان
كبار النفوس جدا ضعاف الأسوس
يروا أنهم -والناس يروهم تيوس -
لمن لا أصل عندو ولا لو خطر
ونصبغ عليه ثوبى من راس خابيا
وصار يستفيد الواد من الساقيا
ما ندرىو على من نكثرو ذا العتاب
ولو ريت وكيف حتى يرد الجواب
أنفاس السلاطين فى جلود الكلاب
هم فى ناحيا المجد فى ناحيا
وجوه البلد والعمد الراسيا

ثم ذكر ابن خلدون كلاما آخر لابن شجاع. ثم قال: وكان منهم على ابن المؤذن بتلمسان. وكان لهذه العصور القريبة من فحولهم بزروهون من نواحى مكانسة رجل يعرف بالكفيف، أبدع فى مذاهب هذا الفن؛ ومن أحسن ما علق له بمحفوظى قوله رحلة السلطان أبى الحسن وبنى مرين إلى إفريقيا، يصف هزيمتهم بالقيروان، ويعزيهم عنها، ويؤنسهم بما وقع غيرهم، بعد أن عيبتهم على غزاتهم إلى إفريقيا فى ملعبة من فنون هذه الطريقة، يقول فى مفتتحها، وهو من أبدع مذاهب البلاغة فى الإشعار بالمقصد فى مطلع الكلام وافتتاحه، ويسمى براعة الاستهلال:

سبحان مالك خواطر الأمرا بنواصيها فى كل حين وزمان^(١)
إن طعنناه أعظم لنا نصرا وإن عصيناه عاقب بكل هوان

(١) ابن خلدون ج ١ ص ٥٣١.

إلى أن يقول فى السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص :

كن مرعى قل ولا تكن راعى	فالراعى عن رعيته مسئول ^(١)
واستفتح بالصلاة على الداعى	للإسلام والرضى السنى المكمول
للخلفا الراشدين والأتباع	واذكر بعدهم إذا تحب وقول
أحجاجا تخللوا الصحرا	ودروا شرح البلاد مع السكان
عسكر فاس المنيرة الغرأ	أين سارت به عزائم السلطان
أحجاج بالنبى الذى زرتم	وقطعتهم لو كلاكل البيدا
عن جيش الغرب جيت نسألکم	المتلوف فى افريقيا السودا
وأمير كان بالعطا يزودکم	ويدع برية الحجاز رغدا
قام كل كلسد صادف الجزرا	ويعجز شوط بعد ما لحقان
وتركوا دم ولهب فى الغبرا	أدى صار إذ غار له سيحان
لو كان ما بين تونس الغربا	وبلاد الغرب سد الاسكندر
مبنى من شرقها إلى غربا	طبقا بحدبد وثانيا بصفر
لا بد للطير كان يجى بنبا	أو يأتى الريح عنهم بفرد خبر
ما أعوصها من أمور وما شرا	لو تقرا كل يوم على الوديان
لجرت بالدم وانصدع حجرا	وهوت الاجراف وجفت الغدران
ادرى لى بعقلك الفحاص	وتفكر لى بخاطرك جمعا

(١) ابن خلدون ج ١ ص ٥٣١ .

إن كان يعلم حمام ولا رقاص
 بكتاب عبد المهيمن القواص
 إلا قوم عارين بلا ستر
 لم يديروا كيف يصيروا الكسرا
 أمولاي بو الحسن خطينا الباب
 فى غنى كنا عن الجريد والزاب
 ما بلغك عن عمر بن الخطاب
 ملك الشام والحجاز وتاج كسرى
 كان إذا تذكر له كره ذكرا
 هذا الفاروق زمرد الأكوان
 وبقت حمى إلى زمن عثمان
 لما دخلت غنائمها الديوان
 وافترق الناس على ثلاث أمرا
 إذا كان ذا فى مدة البررا
 وأصحاب الجفر فى كتيباتا
 تذكر فى صحفها وأبياتا
 ابن مـرّين إذا انكبت براياتا
 قد ذكرنا ما قال سيد الوزرا
 عن السلطان شهر وقبله سبعا
 وعلامات تنشر على الصمعا
 مجهولين لا مكان ولا إمكان
 أو كيف دخلوا مدينة اليروان
 بقضة سيرنا إلى تونس
 وايش لك بعرب إفريقية القونس
 الفاروق فاتح القرى المونس
 ولم يفتح من افريقيا دكان
 ويقول اسمها يفرق الإخوان
 صرح فى افريقيا بذا التصريح
 وفتحها ابن الزبير عن تصحيح
 مات عثمان وانقلب علينا الريح
 وبقي ما هو السكوت عنو إيمان
 إيش نعمل فى أواخر الأزمان
 وفى تاريخ كاتبا وكيوانا
 شق وسطيح وابن مـرّانا
 لجدار تونس فقد سقط شانا
 عيسى بن الحسن الرفيع الشان

قال لى رينا وانا بها أدرى لكن إذا جاء القضا عمت الأجفان
ويقول لك ما رمى المرينيا من حضرة فاس إلى عرب دياب
راد المولى يموت أبو يحيى سلطان تونس وصاحب العناب
ولقد كان قبل ذا الأشياء جعل اولاد أبو الحسن أنساب
ثم أخذ فى ترحيل السلطان وجيوشه إلى آخر رحلته ومنتهى أمره مع
أعراب إفريقية وأتى فيها بكل غريبة من الإبداع.

وأما أهل تونس فاستحدثوا فن الملعبة أيضاً على لغتهم الحضرية إلى أن
أكثره ردىء ولم يعلق بمحفوظى [منه شىء]^(١) لرداءته.

وكان لعامة بغداد أيضاً فن من الشعر يسمونه المواليا، وتحتة فنون كثيرة،
يسمون منها القوما، وكان وكان، و[منه مفرد ومنه فى بيتين ويسمونه]^(١)
دوبيت، على اختلاف الموازين المعتبرة عندهم فى كل واحد منها، وغالبا
مزدوجة من أربعة أغصان، وتبعهم فى ذلك أهل مصر والقاهرة، وأتوا فيها
بالغرائب، وتجاروا فيها بأساليب البلاغة، بمقتضى لغتهم الحضرية، فجاءوا
بالعجائب.

ورأيت فى ديوان الصنفى الحلى من كلامه أن المواليا من بحر البسيط
وهو ذو أربعة أغصان وأربع قواف يسمى صوتا وبيتين وأنه من مخترعات أهل
واسط وأن كان وكان فى قافية واحدة وأوزان مختلفة فى أشطاره والشطر
الأول من البيت أطول من الشطر الثانى ولا تكون قافيته إلاّ مردفة بحرف
العلة وأنه من مخترعات البغداديين وأنشد فيه.

(١) التكملة عن ابن خلدون.

ثم ذكر ابن خلدون عدة مقطعات من المواليا ومنها^(١):

ناديتها ومشيبى قد طوانى طى جودى على مقبله فى الهوى يا مى
قالت وقد تركت داخل فؤادى كى ما ظن القطن يغشى فم من هو حى
ومنها:

يا حادى العيس ازجر بالمطايا زجر وقف على منزل أحبابى قبيل الفجر^(٢)
وصح فى حيهم ما من يريد الأجر ينهض يصلى على ميت قتيل الهجر
ومنها:

عينى التى كنت أركام بها باتت ترعى النجوم وبالتسهيد اقتات^(٣)
وأسهم الين صابتنى ولا فاتت وسلوتى -عظم الله أجركم- ماتت
ثم قال: ومن الذى يسمونه ذو بيت:

قد أقسم من أحبه بالبارى أن يبعث طيفه مع الأسحار
يا نار أشواقى به فاتقدى ليلا عساه يهتدى بالنار
واعلم أن الذوق من معرفة البلاغة منها كلها إنما يحصل لمن خالط تلك
اللغة وكثر استعماله لها ومخاطبته بين أجيالها حتى يحصل ملكتها كما قلناه
فى اللغة العربية فلا يشعر الأندلسى بالبلاغة التى فى شعر أهل المغرب ولا
المغربى بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمشرق ولا المشرقى بالبلاغة التى

(١) ابن خلدون، المقدمة ص ٥٣٣.

(٢) ابن خلدون، المقدمة ص ٥٣٣.

(٣) ابن خلدون، المقدمة ص ٥٣٣.

(٤) ابن خلدون، المقدمة ص ٥٣٤.

فى شعر أهل الأندلس والمغرب لأن اللسان الحضرى وتركيبته مختلفة فىهم
وكل واحد منهم مدرك بلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من أهل بلده وفى
خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم آيات للعالمين .

انتهى كلام ابن خلدون فى ديوان العبر ببعض الاختصار .

قلت : كأن بمتقد ليس له خبره يسد سهام الاعتراض ويتولى كبره
ويقول : ما لنا وإدخال الهزل فى معرض الجد الصراح ؟ والذى أحوجنا إلى
ذكر هذا المنحى والأليق طرحة كل الاطراح ؟ فنقول فى جوابه على الإنصاف :
لم تزل كتب الأعلام مشحونة بمثل هذه الأوصاف وليس مرادهم إثارة
الهزل على غيره ، وإنما ذلك من باب ترويح القلب ، وهو أعون على خيره ،
وللسلف فى مثل ذلك حكايات يطول جلبها ، ولا يقدر ذلك فى سكينتهم ،
ولا يتوهم لسببه سلبها ويرحم الله تعالى عياض إذ قال :

قل للأحبة والحديث شجون ما ضر أن شاب الوقار مجون
الآيات الآتية فى محلها .

وليس قصدنا نحن بهذا ، علم الله غرضنا فاسدا ، ننفق منه فى سوق
الهزل كاسدا ، وإنما غرضنا صحيح ، وزندنا غير صحيح . على أن المقصود
الأعظم مدح النبى ﷺ بهذه الأوزان ، وكل ما سيق وسيلة إلى ذلك مما راق
أوزان .

واعلم أيها الناظر ، أذهب الله عن ساحتك الأشجان ، أن كثيرا من
الأئمة مدحوا بذلك المبعوث رحمة إلى الإنس والجان صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه صلاة وسلاما يتضوع نشرهما فى المشارق والمغرب ، ويتألق نورهما
فيهدى به قائلهما لقضاء الأغراض والمآرب . فمن ذلك قول بعض من كرع
من منهل حبه العذب المشارب ، من موشح لم أقف منه إلا على قوله :

الببل فى الرياض لما نشدا	بالقول شدا
والغصن له يميل حتى سجد	مما وجدا
قد مدّ له الأكف من غير ندا	يُمّتاح ندى
والورق شدت بصوتها الملحان	دون العلق
لما ذكر بأطيب الألحان	رب الفلق
يا أشرف مرسل به الله هدى	من رام هدى
بالمدح لديك عبد وهاب غدا	يرجوك غدا
يا من مديحه جلا كل صدا	ممن رصدا
يا ملجأ كل خائف أو جانى	بالذنب شقى
لا زال حماك روضة للجانى	والمتشقى
يا عُرْبَ تهامة حماكم أربى	فيه العربى
فالسعى لغير أرضكم لم يجب	حث النجب
فالفضل لكم مع كمال الحسب	عند النسب
من مدحكم تصرمت أحزانى	والفرح بقى
عندى أبدا وفوح أوزانى	مسك العبق

ومن ذلك قول بعض العدول من أهل العصر القريب من عصرنا
رحمهم الله تعالى^(١):

يا عُرَيْبَ الحَيِّ من حى الحمى أنتم عيلى وأنتم عرسى

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٦٢ .

لم يحل عنك ودادى بعدما
 من عذيرى فى الذى أحبته
 بدر تم أرسلت مقلته
 إن تبدى أو ثنى خلته
 تطلع الشمس عشاء عندما
 وترى الليل أضواء منهزما
 يا حياة النفس صل بعد النوى
 قد براه السقم حتى ذا الهوى
 آه من ذكرى حبيب باللوى
 كنت أرجو الطيف يأتى حلما
 هل يعود الطيف الصبا مغرما
 همت فى أطلال ليلى وأنا
 ما مرادى رامة والمنحى
 إنما سؤلى وقصدى والمنى
 [أحمد المختار طه من سما
 خاتم الرسل الكريم المنتمى
 ولم أقف من هذه الموشحة على غير هذا القدر، وهو عجيب، عارض
 موشحتى ابن سهل وابن الخطيب السابقتى الذكر.

(١) ما بين الحاصرتين من نفح الطيب ج ٧ ص ٦٣.

ومن ذلك جملة موشحات، انتقيتها من كلام الشيخ الإمام الصالح الزكى الصوفى، أبى عبد الله محمد بن أحمد بن الصباغ الجذامى، وقد ألف ذلك بعض الأئمة فى تأليف رفعه للسلطان المرتضى صاحب مراکش، وأطال فيه من موشحات هذا الشيخ وسائر نظمه، ولم أذكر من موشحاته إلا الغرر، على أنها كلها غرر، فمن ذلك قوله رحمه الله:

ألف المضى الشجوناً	وارتضى الأحزان دينا
فوق صفح الوجنتين	أهمل الدمع الهتونا
يقطع الأيام حـزنا	وبكاء وعـويلا
فارحموا صبا معنى	قلبه يذكى غليلا
ملهب الأحشاء مضى	بالنوى أضحى عليلا
ذاب شوقا وحنينا	وسقاما وأنينا
يال له من حلف بين	يرتضى فيك المنونا
أترى عهدا تقضى	منكم هل لى يعود
فمتى عنى ترضى	قد برى جسمى الصدود
لم أطق والله نهضا	فبحق الحق جودوا
وارحموا صبا مهينا	كم شكى البين سينا
وشئون المقلتين	تسكب الدمع المعينا
قد ذوى غصن الشباب	ومضى عمرى وولى
آن لى وقت الإياب	كم أسلى النفس جهلا

هذه عرس المتاب	فى قباب الوصل تجلى
حسنوا فيها الظنونا	وادخلوها آميننا
قد وصلنا كل بين	وعفونا ورضينا
نحو هاتيك الربوع	فاجهدوا كد الحمول
والى قبر الشفيع	أعملوا سير الرحيل
إن تكن خلى مطيعى	يَمَنَّ خير رسول
كن لى يا رب معيننا	وصل الصب الحزيننا
قبل أن يحين حينى	وأرى الموت يقيننا
نم ريحان التدانى	وسرت ريح الوصال
قد صفا ورد الأمانى	فانتفض نحو المعالى
صاح كم هذا التوانى	فاستمع عذب المقال
وبلينا وابتليننا	واشْ يقول الناس فينا
قم بنا يا نور عينى	نجعل الشك يقيننا
وقوله فى الشوق إلى مكة وطيبة، على ساكنها الصلاة والسلام:	
زهر شيب المفارق	تفتحت عنه الكمام
فابك الزمان المفارق	وحاك فى النوح الحمام
عوضت بالصبح الأصيل	وقد عرا البدر انكساف
ألم بالغصن الذبول	وكان لنا ذا انعطاف

ريح الصبا كان تميل	كأن سقى صرف السلاف
حتى رمى القلب راشق	وفوقت نحو السهام
ولسان الحال ناطق	يخبرنى أن لا دوام
يا بدر أيام الشباب	هل للأفول منك طلوع
أضحى فؤادى ذا المذاب	حليف أشجان فزوع
ونار حزنى فى ألهاب	تذكى بأحناء الضلوع
فإن هفا البرق خافق	ذكرت عهدى بالخيام
وإن تأوه عاشق	ساجلت فى دمعى الغمام
ولى الشباب وانقضى	فدمع عينى فى انهمال
وفى الحشى جمر الغضا	لفقد هاتيك الليال
يا عهد أيام الرضا	هل رجعة تُدنى الوصال
تحيا بها نفس وامق	مضنى الفؤاد مستهام
نحو العذيب وبارق	يحدو به حادى الغرام
يهيج له البوارق	من طيبة حين تشام
فإن تعقنى العوائق	ألصقت خدى بالرغام
يا دار هل يدنو المزار	فيعقب الليل الصباح
لهفى على بعد الديار	وقص أرياش الجناح
متى أرى أحدو القطار	فقد برانى الانتزاح

أشدو المطايا السوابق مزمزما عند المقام
ثغر الزمان الموافق حياك منه بابتسام
وقوله رحمه الله :

رسوم ظاهر البلى بكل رسم طاسم عنوان
وربعهم ما أشكلا منها لك حازم تبيان
قف بالديار واعتبر إن كنت من أهل العبر
وانظر لها وازدجر فإنَّ فيها الأجر
كم معلم قد دثر فلم يبن منه أثر
تبكيه ورق الفلا وفي بُكا الحمام أشجان
فلننتدب إلى الطلا ففى فؤاد الهائم أحزان
سماعا من الوجود عنه تفاهم العقول
فغيبية وشهود كلاهما عين الدليل
حتى متى يا مريد تختال فى ثوب الخمول
تشكو لنا العللا وأنت بالمآثم جـذلان
فلذ بعز العـلا فعندنا للنادم إحسان
فناء أهل الطريق هو الوجود المطلق
فكل معنى دقيق بوصفهم يحقق
أنوارهم فى شريق بها استضـا الموفق

قد أوضحوا السُّبُلَا فهم لنا فى العالم برهان
 فاجنح إليهم ولا تُغفل للمواسم إبان
 يا ناسيا لوصلنا أيقظ من النوم الجفون
 سلم إلينا فعلنّا ما كان منه أو يكون
 لا حول إلا حولنا فانف الشكوك والظنون
 يا غادرا قد سلا أقصر فليس يجمل سلوان
 لله ما أجملّا من بات وهو بالهوى نشوان
 يا طالبا للندى يبغي السماحة والنوال
 يم - فديت - أحمدا بدر العلا شمس الكمال
 وعد عمن شدا واستغرق المدح وقال:
 إن جئت أرض سلا تلقاك بالمكارم فتيان
 هم سطور العـلا ويوسف بن القاسم عنوان
 وقوله رحمه الله:

بأرض طيبة معهد شوقى إليه مجدد
 هل لى بتلك الطلول
 من زورة ومقـليل
 يا قبر خير رسول
 متى يراك فيسعد صب ببعـدك مكمد

مذ قد براه انتزاح
وقص منه الجناح
له إليك ارتياح
بالغرب أضحي مقيد والضعف والشيب يشهد
ربع التواصل أقوى
فمن على الهجر يقوى
قد صير الجسم نضوا
سهم بعاد مسدد لقد رمانى فأقصد
متى يتاح التدانى
لمكمد القلب عانى
يشدو بكل لسان
عسى الذى كنت أعهد مما تقضى يجدد
يا بغيتى يا مرادى
أشكوك فرط بعادى
فى كل وادٍ أنادى:
مالى غيرك مقصد فكيف بالهجر أقصد
فوضت أمرى إليكا
فذاك وقف عليكا

مالى شفيع لديكا

إلا بكائي سـرمـد فـمن عـلى الحـزن^(١) يسـعد

بى فافعل ما تشا

أضحى لى منك الرجا

فـكـل داء دوا

وكل رأى مـسـدد وكل أمر مـرشد

وقوله رحمه الله :

قم وناج الله فى داجى الغلس تنتشى الأرواح

والتمس للعفو فيه ملتمس وانتبه قد فاح

عرف أزهار الرضا ثم اقتبس نور رشـد لاح

وانتشق يا صاح أرواح السحر يا لها مشموم

عرفه إن هب فى إثر الزهر ينعش المزكـوم

مرغ الخـد ونادى بالنحيب واهمل الأجفان

قف بمغناهم وقوف مستريب حالف الأشجان

واشك إن وافقت إصغاء الطبيب علة الهـجران

فعسى بالوصل تحيى ما دثر ويطيب النعيم

فالنوى ما إن عليه مصطبر والبـعاد أليم

يا رحيم الخلق رحماك فقد جئت مغنى رحيب

(١) فى سائر الأصول: «الحسن» ولعل ما أثبتناه أولى.

ليس للعبد على النار جلد وهو عبد مريب
 عبد سوء لحماك قد قصد يشتكى بالذنوب
 من له يوم ترامى بالشـرر زفرات الجحيم
 فيهاب الخلق من خير البشر عافنى يا رحيم
 أنا ما بين مقامين مقيم أورثانى شجـا
 فى فؤادى من دموعى كلوم قلمـا تـرتجى
 واعتلاقى بجناب الكريم مشعر بالنجا
 هأنا فى الحالتين فى خطر والفؤاد سليم
 سلك التوحيد فيه بالنظر سبل نهج قويم
 أحليف الحزن تشكو بالعباد لذ بمجد أثيل
 فى قباب المجد تحظى بالمراد حيث حل الرسول
 عنده يشفى صداه الفؤاد واسألن من يقول:
 «ليتنى رملة الحرّة»

وقوله رحمه الله:

نأت بى الأوطان عن حضرة الإحسان ولا معين
 فمن لذى أحزان لطيبة قد كان له حنين
 شطت بى الدار فى شوقاه ليثرب
 أحبابه ساروا والبين أقصاه بالمغرب

ففى قلبه نار	تذكىه أمراه	فلتعجب
لو سابق الإخوان	فى ذلك الميدان	أضحى مكين
فحالف الأشجان	واصحب مع الأحيان	قلبا حزين
للمورد العذب	والمنهل السلسل	شدوا الرحيل
فيا ظما قلبى	لذلك المنهل	هل من مقليل
بساحة القرب	فيبرد السلسل	حر الغليل
إنَّ أمكن الإمكان	أنَّ يكرع الظمآن	من المعين
فى مشرب الرضوان	فذاك سعد دان	للرائدين
يا حادى الظعن	وسائق الركب	إلى العقيق
أسفت للبين	فهل إلى القرب	يلفى طريق
متى النوى تدنى	من مطلع الشهب	قلبا خفوق
فيثرب بستان	للروح والريحان	فيه فنون
ودوحه المزدان	تحيا به الأكوان	فى كل حين
يا خير مرسول	للحر والعبد	بالمعجزات
نداء مخبول	نادى على بعد	خوف الممات
أنتم منى سولى	وأنتم قصمدى	ولى صفات
تمجها الأذان	وتقتضى الهجران	فما يكون
من ذى شجونٍ عان	يحكى بدوح البان	شادى الغصون

يا صاح والقصد أن يظفر الأواه بقصده
إن شفق البعد فثق بعفو الله عن عبده
ودع فتى يشدو واللهو قد ألهاه عن رشده
جنان يا جنان اجن من البستان الياسمين
وخل الريحان بحرمة الرحمن للعاشقين
وقوله رحمه الله تعالى :

لأحمد المصطفى مقام
جل علا فلا يرام
بنوره يهتدى الأنام
فأى شمس وأى بدر قد أطلعت له لنا السعود
بنوره تشرق الشموس
فى حبه تخلع النفوس
يأيتها المسمع الرئيس
أدر علينا كئوس فخر من ذكره تعط ما تريد
أمدح خير الروى نعيم
نحن أناس بها نهيم
يا مادحيه بالله قوموا
خوضوا بنا موج بحر فخر من مات فيه فهو شهيد

الشطح فى حله مباح
 ونحن قوم لنا ارتياح
 قلوبنا حشوها جراح
 من نأى مغناه ليت شعرى متى يرى قبره العميد
 إن سمح الدهر بالوصول
 لقبر خير الورى الرسول
 السيد الأرفع الجليل
 فثم نخلع ثياب طهر وتوفى روحى لمن تريد
 وقوله أيضاً:
 لهفى على عمرى مضى والشيب فى الفود بدا وما قضيت الغرضا
 أيام ريعان الشباب ولت ولم تنو الإياب
 فنار حزنى فى التهاب ودمع عينى فى انسكاب
 يا عهد أيام الرضا هل رجعة تشفى الصدى حقاً وتبقى المرصاً
 إن كنت من أهل الصفا دع عنك أوصاف الجفا
 واذكر لرسم قد عفا وهم بمدح المصطفى
 الهاشمى المرتضى تاج العلا شمس الهدى لا تبغ منه عوضاً
 وشم ربوعاً للحبيب وانزل بمغناه الرحيب
 ولذ بمرعاه الخصب فهو لما تشكو الطبيب

ناد به معرضاً هل تقبلون مكمداً قد كان عنكم اعرضاً

رمت فـؤادى النوى وغصن عمرى قد ذوى

والشوق قلبى قد كوى واهماً على فقدى القوى

قضى النوى ما قد قضى هل يستطيع الجلداً قلب على جمر الغضى

لقـد تناءت الديار وشط بى عنها المزار

لو كان لى حكم اختيار ما قر بى عنها قرار

ما شاءه حكم القضا يجرى ولو طال المدى فلا تكن معترضاً

وقوله رحمه الله :

أطلع الصبح راية الفجر فتبدى المكتوم من سرى

إن تكن باحثاً عن الأسرار فانتشق صاح نفحة الأسحار

وأطل فى الأصائل الأذكار فهى أذكى من عاطر الأزهار

أين طيب المسك شذا الزهر فى دجى الليل من شذا الذكر

آه من أدمعى ومن حزنى فجعة البين كم ترى تضنى

جسم مشتاق دمی الجفن يا عذولى عليهم عنى

عبراتى تنهل كالقطر وفؤادى يذكى على الجمر

شفنى الوجد فاجبروا صدعى يوم بنتم عن ساحتى سلع

خدد الخد ساكب الدمع إن تعودوا متيم الجزع

بدل العسر منه باليسر وأتته السعود بالبشر

ليس للعبيد منكم بُدُّ قد برانى وشفنى البعد
 من لصب أذابه الوجـد بات فى دوح حزنه يشدو
 فى هواكم لقد فنى عمرى فالطفوا بى وأمناو ذعري
 سيدى أنت ملجأ الصب فَأَجِرْ مِنْ ضَنِ النوى قلبى
 إن تكن لى أو إن تكن حَسْبى فيك أشدو مقال ذى عجب
 جرر الذليل أيما جر وصل الشكر منك بالشكر
 وقوله رحمه الله تعالى:

لأحمد بهجته كالقمر الزاهر فى أبراج السعد
 علاؤها يسبى بنوره الباهر كل سنى مجد
 فى عالم القدس قدس عليهاه ففاق فى الحمد
 بالبدر والشمس يزرى محياه فجـل عن ند
 للجن والإنس أرسله الله يهدى إلى الرشـد
 أذل بالحجـه وأمره الظاهر من خان للعهد
 بالشرق والغرب ثناؤه العاطر أندى من الند
 يا خير مرسول من خيرة الخلق أذابنى البعد
 إليك يا سُـوْلَى قد قادنى شوقى فكم أرى أشدو
 بصوت مخبول حكى غنا ورق هيجا الوجد
 غرقت فى لجـه وليس لى ناصر على جوى البعد

إلا يا حسبي وأدمع الناظر تنهل فى الخـد
إنَّ عاقنى ذنبى عن ذلك المغنى فليس لى حول
وكيف بالقرب للهائم المُضنى وبيننا سبيل
تذيب بالكرب جسما ذوى حزناً وشفه الخبل
إليكم وجهه وجهها غدا حائر والدمع فى الخـد
ينهل كالسحب وزفرة خاطر تلهب بالوقـد
يا سامع النجوى إليك أوصابى تشكو بأوجـالى
تركتنى نضوا ألوذ بالباب مقسم البال
إنَّ كان بالبلوى لطول أغـيابى أسأتم حـالى
فقلبيكم رجَّه بها أرى حاسر إنَّ لم تكن ندى
أعوذ بالحب من أمرك الأمر بالبعد للبعد
بحب من تحدى لقبره النجب السيد الطاهر
هم دائما وجداً يأيها الصب وعد عن خاطر
من قال إذ أودى بقلبه الحب قولاً غد سائر
بدائع البهجة ونزهة الناظر وجنة الخلد
وبغية القلب وراحة خاطر فى ذلك الخـد

وقوله، رحمه الله تعالى :

لأحمد تعنو الأَعمار	فعدد فخاره
وانظم ثناه أشعار	ولازم وقاره
لأحمد بدر الأفق	وشمس المعالي
تأجج نار الشوق	وكيف احتيالي
لئن فاز أهل السبق	بذاك الكمال
وحلوا بهاتيك الدار	وحازوا جواره
ففى القلب نار الأفكار	قد أذكت أواره
حادى الركب بلغ عنى	سلاما كثيرا
وقل مغرم ذو حزن	قد أضحى أسيرا
أصمته سهام البين	لم يلف نصيرا
وقد أبعدته الأقدار	والحزن أثاره
فى القلب تنائى الأقطار	يضمرم ناره
إذا لاح لمع البرق	من اكناف نجد
دعانى إليه شوقى	وإفراط وجدى
إلى قبر خير الخلق	سأجهد جهدى
لعلى أقضى الأوطار	وأعطى مزاره
فعنى تمحى الأوزار	إذا زرت داره

يا حادى شوقى زمزم	بذكر الحبيب
يا حر وجدى ضرم	نيران الوجيب
يا دمع عينى ارقم	بخد الكثيب
رسوم سطور التذكار	لربع أناره
سنا نور وجه المختار	قد أعلى مناره
أيا رب بالمختار	والصحب الكرام
قرب قرب نائى الدار	من ذلك المقام
واغفر قول ذى إصرار	غنى فى هيام
من يرونى دار العطار	بذرا المناره
ثيابى وما تحوى الدار	نعطه البشاره

وقوله رحمه الله تعالى :

آه من فرط الوجيب	أورثت قلبى خبلا
زفرات شوق مدنف	منكم لم يعط وصلا
قد أذابته الشجون	والبكاء والأئين
نحوكم له حنين	أبدا به يدين
دمع خديه الهتون	دميت منه الجفون
يا سقامى يا طبيبى	عفوكم عنى أولى
لم تزل باللطف توصف	فأنل عبدك فضلا

لم تزل بى فى أمورى	سيدى مولى لطيفا
أنت مولاي نصيرى	فاجبر العبد الضعيفا
من عذيرى أو مجيرى	إن أطلت بى الوقوفا
يا ليومى العصيب	وسجل الصحف يتلى
وقلوب الخلق ترجف	ولنار الخوف تصلى
بالنبي بالعلى	بالرفيع القدر أحمد
وعتقيق الرضى	وأبى حفص المجد
والشهيد وعلى	غرر الفجر المؤبد
نحو ساحات الحبيب	فلتيسر لى سبلا
فمتى بالقرب أسعف	أو أرى لـذاك أهلا
يا حداة العيس عنى	فاحملوا نحو العقيق
أسفى وطول حزنى	وبكائى وشهيقى
علنى بالخفيف أجنى	زهر إبان اللـحوق
هل لصب من نصيب	فيعود الهجر وصلا
يا زمان القرب إعطفْ	وأئل مضناك شملا
سيدى قد ذبت حزنا	لا تخيب فيك قصدى
وأئلنى منك حسنى	قد برانى طول بعدى
واغتفر قول معنّى	هائمما يشكو بوجدى

يا فلان إنَّ زرت حَبِيَّ اِفْتِلِ اذنو وبالرسيلا
ليش أخذ عنق الخشيف وسرق فم الحجيلا
انتهى ما قصدته من موشحة هذا الشيخ النبوية .

وأما نظمه فى غير الموشحات ، فمنه قوله رحمه الله :

هب النسيم بطيب ذكر الهادى	فتأرجت نفحات عرف النادى
يا شاديا يشدو بمدح محمّد	كرر فديتك مدحه يا شادى
كرر على الأسماع ذكر محمّد	فلذكره برد على الأكباد
وأعد علينا نظم فخر هلال من	بهر الورى من حاضر أو بادى
هو ذروة المجد الأثيل وقطبه	هو صفوة الأشراف والأمجاد
هو بحر جود فاض عذب نواله	وصفت موارده لدى الورد
هو خير خلق الله والمختار من	أعلى نـجـار جل عن أُنـدـاد
هو منتهى أملى وملجأ مفزعى	هو شمس إيمانى وبدر رشادى
هو عصمتى مما أخاف وحبّه	يوم القيامة للخطوب عمادى
إشراق كل النيرات وحسنها	من نور حسن شهابه الوقاد
لا تعجبوا فعناية المختار قد	خرقت قياس العقل فى المعتاد
شوقى إلى ذاك المقام أثاره	حزن تلهب لفحه بفؤادى
يا ويح مكتئب وما قد شفه	من فرط أحزان وطول بعاد
كم رام قرب الدار من أحبابه	لو أسعف المقدور بالإسعاد

كم رام أن يشفى بزورته ظمأ
أيام أطلع بدر حسن شبابه
فالآن قد لعبت به أيامه
شيب وضعف وانتزاح مواطن
لهفى على عمر تصرم وانقضى
فلا تزنح مدافعى أسفا على
يا حادى الأضعان يأمل طيبة
وانزل بهاتيك الربوع وقف على
هذا أسير بعادكم أجفانه
فمتى على بعد الديار وشحطها
فعليكم منى سلام طيب
وقوله رحمه الله :

سأنظم من فخر النبى محمد
تضوع طيبا عرفها فكأنه
سجايأ أبت إلا السماكين منزلا
خلال إذا لاحت قباب لدى علا
إذا يمموا يوما إمام مكارم
فكم ذو علا أو ما لدرك مقامها
لآلى لا يبلى جديد نظامها
تضوع أزهار بدت من كمامها
ففاق على العليا علق مقامها
تنيف فتعلوها قباب خيامها
فأحمد قد أضحى إمام إمامها
فمر ولم يدرك مرامى مرامها

وكم ظاميٍّ قد رام يروى بريها فآب وقد أضحي عليل أوامها
لذاك العلا قلبي مشوق بحبهم وقد شوقت نفسي بطول مقامها
فله عين لا تمل بكاءها وقد حرمت فيه لذيذ منامها
ونفس على بعد الدار قريحة تطارح في البلوى حمام حمامها
وعمر مضت أيام شرخ شبابه وقد قدَّ صرف الدهر غصن قوامها
فيا نسمة الأسحار من نحو يثرب ألمى بنفس قد ذوت بضرامها
ويا حادى الأظعان نحو قبابهم ألا فاخصص العليا بطيب سلامها
ومن ذلك قوله رحمه الله مخمسا شعرا لغيره:

ألا هل إلى وادى العقيق طريق
فقد هاج شوقا للديار مشوق
يقول وفي الأكباد منه خفوق
دموعى على وادى العقيق عقيق ولى زفرة تحدو بها وتسوق
إذا ما حدا فى ظلمة الليل دالج
تحركنى نحو العقيق لواعج
وعندى من الشوق المبرح هائج
وفى كبدى من لوعة البين لاعج يهيج بها بين الضلوع حريق
وكمّا جرت بى نحو طيبة أسعدى
وبلغت آمالى وأوتيت مقصدى

وأوردني التوفيق أعظم مورد
نظرت فقالوا إنَّ ذا قبر أحمد وذاك أبو حفص وذاك عتيق
فما ذاك إلاَّ أننى شمتت بارقا
ففت الجوى منى ضلوعا خوافقا
وأبديت وجدا للعوائد خارقا
فما ملكت عيني دموعا سوابقا ولا هدأت لى زفرة وشهيق
بذكرك يا خير الأنام تلذذى
وباسمك من خطب البعاد تعوذى
وما زال قلبى بامتداحك يَغْتَدَى
ألا يا رسول الله حبك منقذى وإنى لفى بحر الذنوب غريق
عليك مدى الأحيان تنهل أدمعى
وفيك وإن أبعدت ما زال مطمعى
شفيعى حى للنبي المرفع
وهل تحرقن النار قلبى وأضلعى وحبك فى قلبى وأنت رفيق
ثناؤك ريحانى ومسكى ومندلى
عليك رسول الله كل معولى
حنانيك للقلب المتيم فابذل
فكم فيه من مثقال حبة خردل وربك بالوعد الكريم حقيق

قلت: ولنجعل آخر ما أوردناه من أمداحه النبوية قوله:

تركت امتداح العالمين ولذت من مدائح خير الخلق بالعروة الوثقى
سأجعلها كهفى وحصنى وملجئى لعلى بالأمداح أستوجب العتقا
نسأل الله بجاء هذا النبى الشرف القدر العظيم المزية أن يعتقنا من النار
ويجيرنا فى الدنيا والآخرة من كل مصيبة ورزية وأن يسهل علينا زيارته
العظيمة البركات وأن يلطف بنا فى السكنات والحركات.

وقد عن لى لما ذكرت كلام ابن خلدون فى الموشحات أن أذكر كلام
الإمام ابن خاتمة.

قال رحمه الله تعالى فى كتابه «مزية ألمرية» فى باب محمد ما نصه:

«محمد بن عبادة يكنى أبا بكر ويعرف بالقزاز، وأحسبه من أهل مالقة،
كان من صدور الأدباء، ومشاهير الشعراء والألباء، وممن له باع فسيح، فى
طريقة التوشيح، حتى طار اسمه فيها كل مطار، واشتهر بها نظمه أى
اشتهار. وهذه الطريقة من مخترعات أهل الأندلس، ومبتدعاتهم الآخذة
بالأنفس، هم الذين نهجوا سبيلها ووضعوا محصولها.

قال أبو الحسن بن بسام: وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا
واخترع طريققتها فيما بلغنى محمد بن محمود القبرى الضرير، وكان يصنعها
على أعاريض أشطار الأشعار، غير أن أكثرها على الأعاريض المهمة، غير
المستعملة، يأخذ اللفظ العامى أو العجمى، يسميه المَرَكَزُ ويضع عليه

الموشحة، من غير تضمين فيها ولا أغصان. وقيل إنَّ أبا عمر بن عبد ربه صاحب كتاب العقد هو أوَّل من سبق إلى هذا النوع من الموشحات.

وحكى الكاتب أبو الحسن على بن سعيد العنسى فى كتابه «المقتطف من أزهار الطرف» أنَّ الحجارى ذكر فى كتابه «المسهب فى غرائب المغرب» أنَّ المخترع لها بجزيرة الأندلس المقدم بن معافى القبرى من شعراء الأمير عبد الله المروانى وأخذه عنه أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد ثم غلبهما عليه المتأخرون. وأوَّل من برع فيه منهم عبادة بن القزاز شاعر المعتصم صاحب ألمرية.

قال الأستاذ أبو الحسن على بنى سعد الخير البَلَنْسِيّ فى كتابه: «نزهة الأنفس وروضة التأنس فى توشيح أهل الأندلس» ضمنه عشرين وشاحا على طريقتهم فى الإجابة والإحسان.

العُباديون ثلاثة: ابن ماء السماء، وهو عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن ماء السماء بن أفلح بن الحسين بن سعيد بن قيس بن سعد بن عبادة الحزرجى الأنصارى، من أهل مالقة. وعبادة بن محمد بن عبادة بن الأقرع ومحمد بن عبادة القزاز هذا.

قال الأستاذ أبو جعفر: وكان محمد بن عبادة من شعراء المعتصم، فوشحه منها بكل در منتظم، وعقد بمعنى البلاغة والبراعة ملتم. ومن أظرف ما وقع له فى المديح من التوشيح موشحته التى أولها:

كم فى قدود البان تحت اللمم من أقمار عواطى

ومن أظرف ما وقع له من خلالها من حسن الالتئام وسهولة النظام، ما يندر وجود مثله فى منشور الكلام، وذلك فى أحد مراكزها حيث يقول:

لما غدا قادرا أضحي قليل المعذله

يا حاكما جائرا قتلت من لا ذنب له

سطوت بالهيمن ظلمنا ولم تستبصر يا ساطي
خفف سطوة الرحمن إذا حاكم بين البرى والخطا طي
ويخرج فى هذه الموشحة على قوله:

ما أملح المهرجان وفل ينم كالعنبر للسطا طي
والفلك كالعقبان والمعتصم بالعسكر فى الشاطي
ثم قال ابن خاتمة: «ومن شعره ما أنشد أبو أحمد جعفر بن إبراهيم بن
الحاج المعافى فى كتابه محك الشعر ونسبه إليه:

أودع فؤادى حرقا أو دع ذاتك تردى أنت فى أضلعى
وارم سهام اللحظ أو كفها أنت بما ترمى مصاب معى
موقعها قلبى وأنت الذى مسكنه فى ذلك الموضع
وله رحمه الله^(١):

انظر إلى البدر الذى لاح لك فى وسط اللجة تحت الحلك
قد جعل البحر سماء له واتخذ الفلك مكان الفلك

وحضر مجلس المعتصم ابن صمادح وبين أيديهم ورد مصبوب فبرز من
داخل ورده منها الحيوان الأخضر الموجود فى الورد وتسميه العرب القيقزان
فقال له المعتصم: صفه فقال:

(١) فى النفع لم ينسب له إلا الشطر الأول أما باقى الأشر (فى وسط اللجة تحت
الحلك . . . مكان الفلك) فهو لابن قابلة السبتي .

وأخضر حمادى فى الورد لائح على صفح ورد حسنه متناهى
كما أخذت حسناء فص زمرد بصفرة مسواك وحمرة شفاه

وكتب يوما إلى المعتصم وقد تأخرت صلات شعرائه :

يأيها الملك الذى حاز العلا معن أبوه وخاله المنصور
بفناء قصر كعصبة أدبية لا زال وهو بشملهم معمور
زفوا إليك بنات أفكارهم واستبطئوك فهم لهن قصور
انتهى كلام ابن خاتمة رحمه الله تعالى .
